سُلَّمُ الأَرْوَاحِ
كَيْفَ اسْتَخْدَمَ المُتَصَوِّفَةُ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ في بِنَاءِ النَّفْسِ وَالسُّلُوكِ
دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي ضَبْطِ الأَحَادِيثِ الحَدِيثِيَّةِ دَاخِلَ البُنْيَةِ الصُّوفِيَّةِ لِكَشْفِ كَيْفَ تَحَوَّلَ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ إِلَى سِلَاحٍ لِلدَّفْعِ الزُّهْدِيِّ
وَمِصْبَاحٍ لِلْهِدَايَةِ الذَّوْقِيَّةِ فِي مَسِيرَةِ المُرِيدِ
المؤلف
بهاء الدين محمد أنور محمود

سُلَّمُ الأَرْوَاحِ

كَيْفَ اسْتَخْدَمَ المُتَصَوِّفَةُ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ فِي بِنَاءِ النَّفْسِ وَالسُّلُوكِ

قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ فِي نَمَطِ الأَرْبَعِينَاتِ الحَدِيثِيَّةِ ذَاتِ النَّزْعَةِ الصُّوفِيَّةِ، تَكْشِفُ كَيْفَ تَحَوَّلَ الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ إِلَى سُلَّمٍ لِلتَّرَقِّي الرُّوحِيِّ، وَمِصْبَاحٍ لِلهِدَايَةِ الذَّوْقِيَّةِ فِي مَسِيرَةِ المُرِيدِينَ

المؤلف

بهاءالدين محمد أنـور محمود

فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

سُلّمُ الأَرْوَاحِ

كَيْفَ اسْتَخْدَمَ الْمُتَصَوَّفَةُ الحَدِيثَ النَّبَوِيّ فِي بِنَاءِ النَّفْسِ وَالسُّلُوكِ

تأليف

بهاءالدين محمد أنور محمود

رقم الإيداع: ٢٠٢٦/٢١١٧٧م

الترقيم الدولي: **978-977-95-8205-4**

ISBN: 978-977-95-8205-4

الْإِهْدَاءُ

إِلَى مَنْ كَانُوا سِرَاجَ طَرِيقِي فِي لَيْلِ التَّعَلُّمِ، أَسَاتِذَتِي وَمَشَايِخِي، الَّذِينَ غَرَسُوا فِي قَلْبِي بُذُورَ الْمَعْرِفَةِ، وَسَقَوْهَا بِنُورِ الْإِخْلَاصِ، وَلِكُلِّ مَنْ مَدَّ لِي يَدًا بَيْضَاءَ فِي دَرْبِ الْعِلْمِ وَالسُّلُوكِ، أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ الْمُتَوَاضِعَ، ثُمَّ أَخُصُّ بِالْإِهْدَاءِ أَرْوَاحَ أَجْدَادِي الْأَجِلَّاءِ، سَادَاتِي الْوَاصِلِينَ، الَّذِينَ ارْتَحَلُوا إِلَى جِوَارِ اللَّهِ وَتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ أَثَرًا لَا يُمْحَى:

- **فَضِيلَةَ الشَّيْخِ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دِرَازٍ**
- **وَفَضِيلَةَ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ**
- **وَفَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ**
- **وَفَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْحَاجِّ مَكَّاوِيٍّ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ**
- **وَفَضِيلَةَ الشَّيْخِ خَالِدٍ ابْنِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ**

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَ قُبُورَهُمْ رِيَاضًا مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سَحَائِبَ رَحْمَتِهِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاهُمْ فِي زُمْرَةِ الْمَحْبُوبِينَ، تَحْتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

وَإِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ اللَّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، مِمَّنْ طَابَ ذِكْرُهُمْ وَعَمَلُهُمْ..

أُهْدِي هَذَا الْجُهْدَ، رَجَاءَ الْقَبُولِ وَالنَّظَرِ بِرَحْمَةٍ.

بَهَاءُالدِّينِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَنْوَرَ بْنِ مَحْمُودٍ

الباب الأول: الإطار التمهيدي للبحث

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد؛

فإنّ أي بحث علمي رصين يقوم على بنية منهجية واضحة، تبرز من خلال تحديد الإطار التمهيدي الذي يضيء معالم الطريق ويعرّف بموضوع الدراسة، وسياقها العام، ومشكلتها المركزية، وأهدافها، ويُعدّ هذا الباب من الأبواب الجوهرية في البحوث الأكاديمية؛ لأنه يشكّل القاعدة التي تُبنى عليها المباحث التالية، ويوفر الخلفية اللازمة لفهم دوافع الدراسة وأهميتها.

وفي ضوء ذلك، يهدف هذا الباب إلى رسم الصورة العامة للبحث، عبر تحديد موضوعه بدقة، وبيان دواعي اختياره، والسياق العلمي الذي يندرج فيه، مع صياغة المشكلة البحثية التي يسعى إلى معالجتها، والأسئلة المحورية التي يتناولها، كما يعرض الباب أهم الأهداف التي يتوخى البحث تحقيقها، وبيان الدراسات السابقة التي تُشكّل الخلفية المعرفية له.

ويحظى هذا الباب بأهمية خاصة في هذه الدراسة، التي تتناول ظاهرة التصنيف في كتب الأربعينات الحديثية ذات الطابع الصوفي، لكونه يسلّط الضوء على ملامح هذه الظاهرة من حيث التوجه العام، والدوافع التربوية والروحية التي أثّرت في بنيتها، والموقع الذي تحتله في خريطة التأليف الحديثي، كما يمهّد هذا الإطار التمهيدي للدخول إلى فصول البحث المتخصصة، ويتيح فهمًا أوضح للأبعاد المعرفية والمنهجية التي يقوم عليها.

الفصل الأول: الخلفية العلمية والموضوعية للبحث

تمهيد:

تُشكّل كتب الأربعينات الحديثية إحدى الظواهر الفريدة في التراث الإسلامي، حيث انتقل التأليف فيها من مجرد جمعٍ عددي إلى بنية معرفية تحمل في طيّاتها مقاصد تعليمية، وتربوية، وروحية، وقد شغلت هذه الظاهرة حيّزًا واسعًا لدى المحدّثين، كما استثمرها الصوفية في خدمة مقامات السلوك والتزكية، فامتزج فيها النص النبوي بروح الذوق الصوفي، وظهر من خلالها جهدٌ تأليفي يربط بين الصناعة الحديثية من جهة، والمنظومة التربوية الروحية من جهة أخرى.

ويهدف هذا الفصل إلى تأصيل الخلفية العلمية والموضوعية للبحث من خلال مقاربة جذرية لهذه الظاهرة التأليفية؛ باستقراء نشأتها التاريخية، وتحليل مناهجها ومقاصدها، وبيان موقعها في السياق العام للعلوم الإسلامية، لا سيما علاقتها بالتوجهات الصوفية في التأليف الحديثي.

وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث أساسية، يعالج كل منها زاوية محددة في تكوين هذه الظاهرة وتطورها، كما يُمهّد لقراءة تحليلية لاحقة في البابين الثاني والرابع.

ففي المبحث الأول، يُتناول البعد التاريخي لظهور هذا اللون من التصنيف، وتتبع أوائل المؤلفات الأربعينية ودوافعها المعرفية.

وفي المبحث الثاني، يتم تسليط الضوء على تطور مقاصد المؤلفين من مجرّد الحفظ إلى غايات علمية وتربوية متنوعة، تكشف عن عمق في الوعي المنهجي.

ثم يُخصص المبحث الثالث لتحليل العلاقة العضوية بين كتب الأربعينات والنسق الصوفي، من حيث التوظيف الذوقي للنص الحديثي، واشتغالها على بناء المقامات الروحية.

ويُختتم الفصل بـالمبحث الرابع الذي يعرض نماذج منتقاة من كتب الأربعينات الصوفية، مع تقديم قراءة تحليلية أوليّة لمنهجها، ومقاصدها، وخصائصها، ويُعد هذا الفصل بوابة منهجية لفهم السياق العلمي للبحث، كما يوفر أرضية نقدية لتحليل الظاهرة في ضوء تفاعل علم الحديث والتصوف ضمن النسيج المعرفي الإسلامي.

المبحث الأول: النشأة التاريخية لكتب الأربعينات الحديثية

تمهيد:

يُعدّ نمط "الأربعينات الحديثية" من الأنماط المتميزة في التأليف الإسلامي، والذي ارتبط بالسنة النبوية بوصفها مصدرًا أصيلاً من مصادر المعرفة والتربية في الإسلام، وقد نشأ هذا النمط من التصنيف في بيئة علمية تهتم بجمع الأحاديث وحفظها وتداولها، ليكون وسيلة لترسيخ مفاهيم تربوية وعقدية وسلوكية، وتيسير حفظ الحديث النبوي وفهمه، ثم تطوّر في مناهجه ومقاصده عبر العصور.

أولًا: بدايات التأليف الأربعيني في القرن الثاني الهجري:

ترجع أصول هذا النمط إلى بدايات القرن الثاني الهجري، حيث تُنسب أول محاولة في جمع أربعين حديثًا إلى الإمام عبد الله بن المبارك (ت: 181هـ)، وإن لم تكن على النحو الذي اشتهر لاحقًا من الترتيب الموضوعي أو الغرضي، وقد جاء هذا التأليف في سياق اهتمام مبكر بجمع الأحاديث النبوية القصيرة في مجموعات يمكن حفظها بسهولة، وكانت هذه المحاولة قائمة في الأساس على الجمع دون التبويب أو التحليل.

وقد وافقت هذه المحاولة نزعة تربوية وعملية في التعليم الديني، حيث سهلت من مهمة المتعلمين في حفظ الأحاديث النبوية واستحضارها في مجالس الذكر والتدريس، كما لبّت حاجة الوعّاظ والخطباء في الاستشهاد بنصوص موجزة ذات دلالات قوية.

ثانيًا: تبلور النمط الأربعيني في القرن الثالث والرابع الهجري:

في القرنين الثالث والرابع، بدأ هذا النمط يأخذ شكلاً أكثر نضجًا، فقد سلك بعض العلماء مسلك الترتيب الموضوعي، فصنّفوا الأربعين على أبواب الفقه أو الأخلاق أو الترغيب والترهيب، كما فعل محمد بن أسلم الطوسي (ت: 242هـ)، الذي رتّب أربعينه على الموضوعات الفقهية.

وقد ساعدت عوامل علمية وتربوية على انتشار هذا النمط، من أبرزها:

- تطور منهج الشرح والتحليل للأحاديث.
- الحاجة إلى تلخيص المعاني الشرعية في متون يسهل استيعابها.
- تداخل التصنيف مع أغراض تربوية ودعوية وأحيانًا صوفية.

ومن الأمثلة البارزة في هذه الفترة: "الأربعين التي حثّ النبي ﷺ على حفظها" للآجري (ت: 360هـ)، وهو أول من بدأ بشرح الأربعين وبيان معانيها.

ثالثًا: العصر الذهبي للأربعينات في القرنين الخامس والسادس:

بلغت كتب الأربعينات الحديثية أوج ازدهارها في القرنين الخامس والسادس، حيث تميّزت بالتنوع المنهجي والغنى الموضوعي، وظهر اتجاه واضح نحو التحقيق الحديثي والتخريج، كما عند الإمام البيهقي (ت: 458هـ) في "الأربعين الصغرى"، والفراوي وابن عساكر وغيرهم.

كما ظهر نمط الأربعين البلدانية الذي يجمع فيه المؤلف أربعين حديثًا يروي كلًّا منها عن شيخ من بلد مختلف، وهو ما يعكس الوعي الإسنادي والجغرافي في جمع الحديث، ويمثل هذا النمط مرحلة النضج الكامل للوعي السندي في التأليف الأربعيني.

رابعًا: استمرار التصنيف في العصور المتأخرة والمعاصرة:

لم يتوقف التأليف في كتب الأربعينات عند العصورالأولى، بل استمر في العصور المتأخرة، وبلغ في العصر الحديث درجة من التنوع الهائل، سواء في الموضوعات (العقيدة، التزكية، الأخلاق، النبوءات...) أو الأغراض (التعليم، الدعوة، الترغيب، الذكر).

وقد أحصى بعض الباحثين المعاصرين (مثل سهل بن رفاعي العود) أكثر من 500مؤلَّف في هذا الباب، ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، مما يدل على رسوخ هذا النمط في الوجدان العلمي الإسلامي، وقدرته على مواكبة حاجات الأمة العلمية والتربوية في مختلف العصور.

وخِتاما: إن نشأة كتب الأربعينات الحديثية وتطورها عبر العصور تعكس دينامية واضحة في توظيف الحديث النبوي لأغراض متعددة، علمية وتربوية وروحية، كما تبرز قدرة علماء الإسلام على صياغة مناهج تعليمية مبتكرة مستلهمة من نصوص السنة، وقد هيأت هذه النشأة التراكمية الساحة لبروز اتجاهات متمايزة في التأليف، أبرزها الاتجاه الصوفي، الذي سيناقشه البحث لاحقًا بوصفه نمطًا ذا طابع ذوقي وتربوي مميز.

المبحث الثاني: التطور المنهجي لمقاصد التأليف في كتب الأربعين

تمهيد:

لم يكن التأليف في كتب الأربعين الحديثية مجرّد استجابة لظاهرة عددية أو شكلية، بل تطوّر هذا النمط بمرور الزمن من الجمع العفوي إلى بناء علمي وتربوي هادف، وقد تعدّدت المقاصد التي دفعت العلماء لتأليف كتب الأربعين، فكانت تعبيرًا عن وعي منهجي متجدد، يربط بين علوم الحديث والمقاصد الشرعية، وبين النقل العلمي والتزكية السلوكية، ويهدف هذا المبحث إلى تتبّع التحوّلات التي طرأت على دوافع ومقاصد التأليف الأربعيني، منذ نشأته وحتى اكتماله في النماذج الصوفية والتربوية.

أولًا: المقصد التوثيقي في المرحلة التأسيسية:

في البدايات، كان مقصد التأليف في الأربعينات الحديثية توثيقيًا بحتًا، يتمثّل في جمع عدد من الأحاديث الصحيحة حول موضوع عام، أو من خلال إسناد واحد، أو على لسان راوٍ بعينه. وكان هذا الأسلوب أشبه بتدريبات علمية لطلبة الحديث في الإسناد، يعبّر عن قدرة المحدث على جمع الأربعين حديثًا بسند واحد، أو من أربعين شيخًا، أو في أربعين مجلسًا، ولم تكن الغاية حينئذٍ تربوية مباشرة، بل كانت مرتبطة أكثر بـ"فن الرواية" و"التمكن السندي" .

ثانيًا: المقصد العلمي الفقهي والتعليمي:

في مرحلة تالية، تطوّرت كتب الأربعينات لتخدم مقاصد فقهية وتعليمية، فبدأ المؤلفون يرتبون الأحاديث موضوعيًا بحسب أبواب العبادات أو المعاملات أو الآداب، وظهر ما يمكن تسميته بـ"الكتاب المدرسي الحديثي"، أي كتاب مختصر يُعلّم الطالب أهم أحاديث الدين في باب معين.

وقد واكب هذا المقصد تطور المدارس الفقهية والحديثية، وظهور الحاجة إلى تلخيص المادة الدينية في وحدات قابلة للحفظ والاستيعاب.

ثالثًا: المقصد التربوي والتزكوي:

برزت في القرون اللاحقة، خاصة مع تطور التصوف الإسلامي، مقاصد تربوية روحية جديدة لكتب الأربعينات، حيث اتجه المؤلفون إلى اختيار الأحاديث ذات الحمولة الأخلاقية والوجدانية، وربطوها بمقامات السلوك مثل: التوبة، الزهد، الإخلاص، المحبة، الصبر، الخوف، الرجاء، وغيرها، وتميّز هذا النمط بمنهجية ذوقية تعتمد على:

- انتقاء الأحاديث التي تخاطب الباطن لا الظاهر فقط.
- الشرح الإشاري الذي يتجاوز المعنى الظاهري للنص إلى أبعاده التربوية.
- ترتيب الأحاديث وفق منازل السالك، لا وفق أبواب الفقه.

وتُعد هذه المرحلة ذروة التفاعل بين الحديث النبوي والمنهج التربوي الصوفي، حيث تم دمج الوظيفة السندية بالوظيفة السلوكية في بناء نفسي وروحي متكامل.

رابعًا: المقاصد المعرفية والتقريبية في العصر الحديث:

مع تطور مناهج التعليم الحديث، وظهور الحاجة إلى تبسيط العلوم الشرعية لعامة الناس، بدأت كتب الأربعينات الحديثة تخدم مقاصد معرفية وتقريبية، منها:

- تقريب مفاهيم السنة.
- نشر الوعي الشرعي المبسّط.
- تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية.

ويلاحظ في هذه المؤلفات اعتماد اللغة المعاصرة، والتفسير الاجتماعي والتربوي، ما يجعلها امتدادًا حداثيًّا لتلك الأغراض الكلاسيكية.

وختامًا؛ تكشف مسيرة كتب الأربعينات الحديثية عن تحوّلٍ منهجيٍّ عميق في مقاصد التأليف، انتقل فيه الاهتمام من التركيز على الإسناد والتوثيق إلى العناية بالتزكية والتعليم والتربية، بما يعكس تطورًا لافتًا في فهم دور الحديث النبوي في تشكيل الحياة الإسلامية وتوجيهها. وقد أتاح هذا التحوّل بروز مدارس متعددة في التأليف الأربعيني، كان أبرزها المدرسة الصوفية، التي أعادت توظيف الحديث في سياق ذوقي وتربوي خاص، يمزج بين المرجعية الشرعية والتجربة الروحية.
وسيكون هذا البعد الصوفي في التأليف موضع تحليل موسّع في المباحث اللاحقة من هذا البحث، للكشف عن منطق هذه المصنفات الداخلي، وخصائصها المنهجية والتربوية.

المبحث الثالث: العلاقة بين كتب الأربعينات والتصوف الإسلامي

تمهيد:

مثّلت كتب الأربعينات الحديثية ظاهرة متعددة الأبعاد في التراث الإسلامي، وقد كان من أبرز تجلياتها ارتباطها العميق بالتصوف الإسلامي، لا من حيث الموضوع فقط، بل من حيث المنهج والمقصد والروح؛ إذ أدرك المتصوفة باكرًا الإمكانات التربوية الكامنة في الحديث النبوي، فجعلوه محورًا لتزكية النفس، وتربية القلب، وتأسيس السير والسلوك، وجاء توظيفهم له ضمن مصنفات الأربعين تجسيدًا لتلك الرؤية الذوقية التربوية، ويسعى هذا المبحث إلى بيان أوجه العلاقة بين كتب الأربعينات والمنهج الصوفي، وشرح كيفية توظيف الحديث النبوي في سياق التربية الروحية والسلوك الأخلاقي.

أولًا: وحدة الغاية بين التصوف والأربعينات الحديثية:

يتقاطع مقصد كتب الأربعين مع غاية التصوف في بناء النفس وتطهيرها وتهذيبها، فقد كان جمع أربعين حديثًا – كما ورد في بعض الروايات – وسيلة لنيل الأجر والدخول في معية النبوة. وهذه المعاني تتناغم مع رؤية الصوفية في "الاقتراب من النبي ﷺ" عبر التخلّق بأخلاقه والامتثال لهديه.

فكما كان علم التصوف يسعى إلى التخلية والتحلية، كانت كتب الأربعينات الصوفية تسعى إلى اختزال جوهر السنة في أبواب سلوكية واضحة، وتقديمها للمريدين في صورة عملية، قابلة للحفظ والعمل والتأمل، مما يجعل الغاية التربوية المشتركة هي الجسر الأعمق بين الجانبين.

ثانيًا: تأصيل المسلك الصوفي بالحديث النبوي:

حرص المتصوفة منذ القرن الثالث الهجري على تأصيل طريقتهم التربوية والنفسية بنصوص من الكتاب والسنة، ردًّا على من اتهم التصوف بالبدعة أو الغلو، فجاءت كتب الأربعين لتكون شاهدًا على هذا التوجّه، ولم تكن الأحاديث المختارة في هذه المصنفات انتقاءً عشوائيًّا، بل كانت تعكس فهماً ذوقياً لمقامات الطريق، وتعتمد على "توجيه نبوي مباشر" في تهذيب النفس وبيان مراتب الإيمان والإحسان.

ثالثًا: النزعة التربوية الذوقية في منهج الصوفية:

تميّز الصوفية في تأليفهم الأربعيني بمنهج فريد، يقوم على:

- اختيار الأحاديث بحسب مقامات السلوك)كالتوبة، الإخلاص، المحبة، الخوف، الرجاء...).
- الشرح الإشاري، الذي يتجاوز ظاهر النص إلى دلالاته الباطنية والروحية.

- الترتيب الذوقي للأحاديث بما يحاكي مسيرة المريد في طريق الله.
- الاختصار والتكثيف، حيث تُعرض المعاني الكبيرة بصياغات موجزة ومُلهمة.

وهذا كله يجعل من كتب الأربعينات الصوفية خريطة ذوقية عملية للمريد، تبدأ من التوبة وتنتهي بالمحبة أو الرضا، ويُربّى فيها على الانتقال من مقام إلى مقام كما ينتقل من حديث إلى آخر.

رابعًا: المزج بين الحديث والحِكم الصوفية:

من ملامح العلاقة العميقة بين التصوف وكتب الأربعين، ميل بعض المتصوفة إلى مزج الحديث بالحِكم والأقوال الصوفية والشعر التربوي، مما يُنتج خطابًا تربويًا مركبًا يجمع بين النور النبوي وإشراق الذوق، وتأتي هذه الطريقة لتجعل من الحديث النبوي مصدرًا "حيًّا" لا يقرأ فقط، بل يُتذوَّق ويُعاش، ويُسقى بالحكمة لتُثمر في القلب.

خامسًا: تجذر النمط الأربعيني في الثقافة التربوية الصوفية:

تحوّلت كتب الأربعينات إلى أدوات تربوية، وأصبح حفظ "أربعين حديثًا في السلوك" شرطًا من شروط التربية الصوفية عند بعض الطرق، أو وسيلة لإقامة المجالس التعليمية للمريدين، وبهذا، لم تعد كتب الأربعين مجرد نصوص علمية، بل وظائف عملية في البناء السلوكي الفردي والجماعي، تُقرأ في المجالس، وتُتداول في التزكيات، وتُؤلف بحسب مقامات الطريق.

وختامًا؛ فإن العلاقة بين كتب الأربعينات الحديثية والمنظومة الصوفية تتجاوز كونها علاقة موضوعية سطحية أو مجرّد تقاطع عابر في مضامين النصوص، لتشكّل مظهرًا من مظاهر التفاعل العميق بين الرواية الحديثية والتجربة الروحية الإسلامية، فقد أسهم المتصوفة من خلال هذه المصنفات في توظيف الحديث النبوي توظيفًا ذوقيًّا وتربويًّا، لا يُفرّط في الأصالة العلمية، ولا يُغفل المقاصد السلوكية، إنها علاقة تأسيس وبناء، لا مجرد توارد؛ علاقة جعلت من الحديث النبوي سلّمًا للترقّي الروحي، وأداة لتشكيل الشخصية الإيمانية في أبعادها السلوكية والوجدانية، وهو ما يجعل دراسة هذه الكتب ضرورة علمية لفهم التكامل بين علوم الوحي ومسارات التزكية في الفكر الإسلامي.

المبحث الرابع: نماذج من كتب الأربعينات في التصوف (عرض وتحليل أولي)

تمهيد:

إن التوجه الصوفي في تأليف كتب الأربعينات الحديثية لم يكن تيارًا هامشيًا في مسار التأليف الإسلامي، بل شكّل نسقًا معرفيًا وروحيًا قائمًا بذاته، انبنى على مزج الحديث النبوي بذوق السلوك، وتأصيل التزكية بمتن السنة، وقد ظهرت عشرات المصنفات الأربعينية ذات الطابع الصوفي منذ القرن الرابع الهجري، عكست تنوعًا في المنهج والمقصد، واختلافًا في البناء الداخلي والتوظيف التربوي، ويهدف هذا المبحث إلى تقديم عرض تحليلي أولي لعدد من هذه النماذج، تمهيدًا لدراسة معمقة في الفصول اللاحقة.

أولًا: كتاب "الأربعين في التصوف" لأبي منصور الأصفهاني (ت:418هـ)

يُعد هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي ربطت بين الحديث النبوي والمقامات الصوفية بشكل مباشر؛ جمع فيه المؤلف أربعين حديثًا انتقاها بدقة لتعكس أهم أبواب السلوك، مثل: الإخلاص، التواضع، الزهد، الخشية، الرضا، وغيرها.

الخصائص المنهجية:

- يغلب عليه الشرح الإشاري الموجز، دون الخوض في الإسناد أو التخريج.
- يعتمد على الترتيب الذوقي لمنازل السير، حيث يبدأ بالتوبة وينتهي بالمحبة.
- يمزج بين الحديث والحكمة الصوفية، ويوظف الشعر الروحي توظيفًا تربويًا.

التحليل الأولي:

- يُعدّ هذا الكتاب شاهدًا مبكرًا على إدماج الحديث في البناء التربوي الصوفي.
- يعكس وعيًا بمقاصد التربية الذوقية أكثر من العناية بالصنعة الحديثية التقليدية.

ثانيًا: كتاب "الأربعين " لأبي نعيم الأصفهاني (ت:430هـ)

أبو نعيم من كبار المحدثين الذين دمجوا بين علم الرواية والتصوف، وقد ألف هذه الأربعين في إطار أخلاقي واضح، انتقى فيها أحاديث تعالج أمهات الفضائل السلوكية، وجعلها مرآة للسالكين.

الخصائص المنهجية:

- يورد الحديث بإسناده، مع اهتمام ظاهري بالثبوت.
- يشرح الأحاديث بعبارات مختصرة ذات طابع وعظي، تميل إلى التزكية لا الفقه.

- يربط المعنى الظاهري للسنة بـ"أخلاق الطريق"، كأن الحديث خريطة تهذيب.

التحليل الأولي:

- يمثل الكتاب تمازجًا واضحًا بين المنهج المحدثي والمدرسة الأخلاقية الصوفية.
- يفتح المجال لتوظيف السنة في التأمل الذاتي دون الإخلال بمرجعيتها الشرعية.

ثالثًا: أربعون حديثًا للسلمي (ت:412هـ) في مقامات السلوك

أبو عبد الرحمن السلمي يُعد من أوائل من أعطوا للحديث بعدًا وظيفيًا في مجال التربية الصوفية؛ جمع أربعين حديثًا في موضوعات ترتبط بأحوال القلوب، وجعلها أساسًا لمجالس الذكر والتعليم.

الخصائص المنهجية:

- يقدم الحديث دون إسناد طويل، مكتفيًا بالمتن المختار.
- يربط كل حديث بمقام: (الورع، المحاسبة، الصبر، التوكل، إلخ).

التحليل الأولي:

- يتضح في مؤلفاته أن الحديث ليس للبركة فقط، بل أداة إصلاح وتزكية.
- كتب السلمي تُعد من النماذج التأسيسية في التوظيف الذوقي التربوي للحديث.

وختاما؛ فإن النماذج المدروسة من كتب الأربعينات الصوفية تكشف عن طيف واسع من التوجهات المنهجية والمقاصد التربوية، لكنها تجتمع جميعًا في ركيزة أساسية :الاستمداد من الحديث النبوي لتأسيس السير والسلوك إلى الله، وقد جمعت هذه الكتب بين البعد الشرعي والبعد الذوقي، وأصبحت مع الزمن أدوات تربية قلبية وروحية، تُستثمر في المجالس، ولا تزال فاعلة حتى اليوم في بناء الشخصية الصوفية التربوية.

الفصل الثاني: إشكالية البحث وأهدافه

المبحث الأول: مشكلة البحث وتساؤلاته الرئيسة

تمهيد:

يمثّل تحديد المشكلة العلمية نقطة الانطلاق الأساسية لأي بحث أكاديمي؛ إذ إن صياغتها بدقة تكشف عن الوعي بالفراغ المعرفي الذي يسعى الباحث إلى ملئه، وتوجّه جهود البحث نحو معالجة ذلك الإشكال بصورة منهجية، وفي هذا السياق، تتبلور مشكلة هذا البحث في محاولة فهم الطبيعة المنهجية والتربوية لكتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، والكشف عن آليات توظيف الحديث النبوي في السياق الذوقي والسلوكي عند المتصوفة، مع تحليل تلك الظاهرة باعتبارها نمطًا من أنماط التأليف التربوي في علوم الحديث.

فمع وفرة الدراسات التي تناولت "كتب الأربعين" من منظور حديثي عام، وقلّة من تناولها من زاوية مقاصدية أو سلوكية، يبرز هذا البحث لسدّ فراغ معرفي في فهم الربط بين الصناعة الحديثية والمنهج التربوي الصوفي، وذلك عبر تحليل البنية المنهجية لهذه الكتب، ومقاصد التأليف فيها، وخصوصيتها داخل الحقل الصوفي، وتطورها عبر الزمان.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية هذا البحث حول التساؤل المركزي الآتي:

كيف وظّف المتصوفة الحديث النبوي في كتب الأربعينات لتأسيس خطاب تربوي وذوقي، وما الخصائص المنهجية والمقاصدية التي تميّز هذا النمط من التأليف عن غيره من مصنفات الحديث؟

ويتفرّع عن هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما السياق التاريخي والعلمي الذي نشأت فيه كتب الأربعينات الحديثية؟ وكيف تطوّر مقصد التأليف فيها؟
2. ما دوافع المتصوفة لتبنّي نمط الأربعين الحديثية تحديدًا؟ ولماذا فضّلوه على غيره من صيغ التدوين؟
3. كيف تتجلّى الرؤية الذوقية الصوفية في منهج اختيار الأحاديث وترتيبها وشرحها؟
4. ما الخصائص المنهجية لكتب الأربعينات ذات التوجه الصوفي مقارنة بالاتجاهات الحديثية التقليدية؟
5. كيف انعكست المقامات الصوفية والمفاهيم التربوية في بناء هذه الكتب؟ وهل يمكن اعتبارها أدوات تربية روحية متكاملة؟

6. ما النماذج البارزة من هذه الكتب؟ وما سماتها التربوية والذوقية؟
7. إلى أي مدى حافظت هذه الكتب على المعايير الحديثية؟ وهل وقع أصحابها في التجاوز أو الإهمال العلمي؟
8. ما مدى فاعلية هذه المؤلفات في الواقع الصوفي التربوي، وما أثرها في ثقافة التعليم الروحي داخل الزوايا والرباطات؟

خاتمة المبحث: إن تحديد هذه الإشكالية والتساؤلات المنبثقة عنها يمثّل الإطار الذي ينطلق منه هذا البحث، ويوجّه تحليل المادة العلمية ضمن فصوله ومباحثه المتعددة، كما أن هذه التساؤلات لا تُعالج من منطلق نظري مجرد، بل من خلال دراسة نصوص حقيقية لمؤلفات الأربعينات الصوفية، وتحليلها ضمن نسقها التاريخي والتربوي، للوصول إلى بناء علمي يدمج بين علوم الحديث والتصوف في ضوء منهج علمي متكامل.

المبحث الثاني: أهداف البحث

تمهيد:

تُبنى الأهداف البحثية في العمل الأكاديمي على ضوء الإشكالية المحددة وتساؤلاتها، حيث تعبّر هذه الأهداف عن الغايات المعرفية والمنهجية التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، وفي هذا السياق، فإن هذا البحث لا يقتصر على تقديم قراءة وصفية لكتب الأربعينات الحديثية ذات النزعة الصوفية، بل يسعى إلى تحليل بنيوي ومنهجي وتربوي يكشف عن خصوصيتها في النسق العلمي الإسلامي، ويُبرز أبعادها الذوقية والمقاصدية. وعليه، تنقسم أهداف البحث إلى أهداف عامة، وأخرى تفصيلية.

أولًا: الهدف العام:

يهدف البحث إلى: تحليل البناء المنهجي والمقاصدي لكتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، وبيان دورها في توظيف الحديث النبوي في سياق التربية الروحية والسلوك الذوقي، مع تقييم خصائصها العلمية ضمن الصناعة الحديثية.

ثانيًا: الأهداف التفصيلية:

1. رصد النشأة التاريخية لظاهرة الأربعينات الحديثية، وتتبع تطورها عبر العصور.
2. تحليل مقاصد التأليف في هذا النوع من الكتب، ومراحل تطور تلك المقاصد من التوثيق إلى التربية.
3. تسليط الضوء على العلاقة البنيوية بين التصوف وكتب الأربعينات، وبيان كيف شكّل التصوف إطارًا وظيفيًا لهذا النمط من التأليف.
4. دراسة المنهج الصوفي في اختيار الأحاديث وترتيبها وشرحها، وتحديد خصائصه مقارنة بالمناهج الحديثية التقليدية.
5. عرض نماذج مختارة من كتب الأربعينات الصوفية، وتحليل بنيتها الداخلية، ومناهجها، ومقاصدها.
6. تقييم مدى التزام هذه الكتب بالمعايير الحديثية من حيث الصحة والتخريج والسند.
7. استكشاف الأثر التربوي لهذه الكتب في الواقع الصوفي العملي، ومدى فاعليتها في ترسيخ مقامات السلوك عند المريدين.
8. المساهمة في إثراء الدراسات المعاصرة التي تربط بين الحديث النبوي والتربية الصوفية، وتقديم تصور منهجي جامع بين التراث العلمي والذوقي.

خاتمة المبحث: من خلال هذه الأهداف يسعى البحث إلى تجاوز الرؤية الشكلية لمصنفات الأربعين الصوفية، باتجاه تحليلٍ معمّقٍ يجمع بين النقد الحديثي والتحليل التربوي، كما تمثل هذه الأهداف محاور استراتيجية توجه الدراسة، وتساعد في بناء نتائج علمية دقيقة يمكن الإفادة منها في مجالات التأليف، والتعليم، والتزكية الروحية.

المبحث الثالث: أهمية الدراسة ودوافع اختيار الموضوع

تمهيد:

تتجلى أهمية أي بحث علمي من خلال مساهمته في ملء فجوة معرفية، أو تقديم معالجة جديدة لقضية قائمة، أو إضاءة جوانب مهملة في تراث الأمة الفكري والعلمي، وتبرز أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول موضوعًا مركّبًا يقع في تقاطع ميدانيْن معرفيَّيْن هما: علوم الحديث والتصوف الإسلامي، وذلك عبر نمط تأليفي فريد تمثّل في كتب الأربعينات الحديثية ذات النزعة الصوفية، وتكشف هذه الكتب عن رؤية تربوية عميقة للسنة النبوية، تستحق الوقوف عندها بالتحليل والموازنة.

أولًا: أهمية الدراسة:

1. كشف بعدٍ مهمّ من توظيف الحديث النبوي في المجال التربوي الصوفي، وهو مجال لم ينل حظه الكافي من الدراسة والتحليل ضمن علوم الحديث.
2. تسليط الضوء على نمط تأليفي تقليدي (الأربعينات) بوصفه أداة منهجية لبناء المقامات الروحية، مما يساعد على فهم آلية تحويل النص إلى خطاب ذوقي عملي.
3. المساهمة في تجسير العلاقة بين علم الحديث وعلم التصوف، وتجاوز النظرة القاصرة التي ترى التصوف منفصلًا عن أصول الوحي أو مقطوع الصلة بالمناهج العلمية.
4. تحليل الخطاب التربوي الصوفي من خلال مصادره الحديثية، بدلًا من النظر إليه كظاهرة ذوقية مجردة.
5. تقديم إطار علمي مقارن يمكن أن يُفيد الباحثين في علوم الشريعة والتربية الإسلامية عند دراسة أثر السنة في بناء الشخصية الروحية.
6. تحفيز الاهتمام الأكاديمي بالأنماط المختصرة من التأليف، مثل الأربعينات، والكشف عن وظائفها التربوية والتعليمية عبر العصور.

ثانيًا: دوافع اختيار الموضوع:

1. الفراغ البحثي الواضح في تناول ظاهرة "الأربعينات الصوفية" بمنهج يجمع بين التحليل الحديثي والدراسة التربوية.
2. الاهتمام الشخصي للباحث بمجاليْ علوم الحديث والتصوف، وما بينهما من تفاعل معرفي ومنهجي عميق.
3. رغبة الباحث في إعادة قراءة التراث التربوي الإسلامي في ضوء منهجية علمية تكشف عن أبعاده التطبيقية، بعيدًا عن القراءة الانتقائية أو الانطباعية.

4. أهمية الموضوع في الواقع المعاصر، حيث تتجدد الحاجة إلى نماذج تربوية متوازنة تستند إلى الوحي، وتقدّم التربية الروحية بأسلوب علمي موثوق.
5. إثراء المكتبة الأكاديمية العربية ببحث تخصصي يجمع بين الصناعة الحديثية والتحليل الذوقي التربوي.
6. إمكانية الإفادة العملية من نتائج البحث في مجالات التربية الإسلامية، والتعليم الصوفي، والبرامج التزكوية، والدعوة الإصلاحية.

خاتمة المبحث: تُبرز أهمية هذه الدراسة ودوافع اختيار موضوعها الحاجة الماسّة إلى تحليل مركّب يجمع بين البعد النصّي والبعد التربوي في النظر إلى الحديث النبوي، وتوظيفه في بناء السلوك الإيماني، كما تعكس حرص الباحث على المساهمة في بناء فهم علمي عميق لهذه الظاهرة التأليفية، بما يخدم تراث الأمة، ويُسهم في تجديد وظيفته في الحياة الروحية والتربوية المعاصرة.

الفصل الثالث: حدود البحث ومجاله

المبحث الأول: الحدود الموضوعية (نطاق الظاهرة الحديثية الصوفية)

تمهيد:

يمثل تحديد الحدود الموضوعية للبحث خطوة ضرورية في ضبط نطاق الدراسة وترشيد مسارها المنهجي، من خلال بيان ما يشمله البحث من مفاهيم ومحاور، وما يستثنيه من موضوعات متشابهة أو متداخلة، وفي هذا السياق، يركّز هذا البحث على ظاهرة معرفية خاصة داخل علوم الحديث، وهي كتب الأربعينات الحديثية ذات التوجه الصوفي، من حيث نشأتها، ومقاصدها، وبُنيتها المنهجية، وأثرها التربوي في التكوين الصوفي؛ وعليه، فإن هذه الدراسة لا تتناول جميع كتب الأربعينات، ولا جميع أشكال التأليف الصوفي، بل تختص بمقطع معرفي محدود ومعرّف بدقة.

أولًا: طبيعة الظاهرة المدروسة:

تُعنى هذه الدراسة بظاهرة "الأربعينات الحديثية الصوفية"، وهي مصنفات:

- تجمع أربعين حديثًا نبويًّا.
- تُنتقى فيها الأحاديث بناءً على مقامات السلوك وموضوعات التزكية.
- تُكتب بروح ذوقية وتربوية صوفية.
- تتسم بالشروح الإشارية، والترتيب المقامي، والتوظيف العملي للحديث.

وهذه الظاهرة تختلف عن:

- كتب الأربعين الفقهية أو العقدية أو العامة.
- كتب التصوف الخالية من البناء الحديثي.
- كتب الحديث الموسعة كالمسانيد أو الصحاح أو السنن أو الجوامع.

ثانيًا: الموضوعات التي تشملها الدراسة:

تتناول الدراسة الموضوعات التالية:

1. نشأة كتب الأربعينات وتطورها ضمن السياق العلمي الإسلامي.
2. دوافع التصوف في اختيار نمط الأربعين الحديثية.
3. خصائص التأليف الحديثي عند المتصوفة (انتقاء – ترتيب – شرح).

4. العلاقة بين الحديث النبوي والتربية الصوفية.
5. نماذج تطبيقية مختارة من كتب الأربعينات الصوفية.
6. تحليل المقاصد التربوية والمنهجية لهذه الكتب.
7. حدود الالتزام بالصنعة الحديثية في هذه المصنفات.

ثالثًا: الجوانب المستثناة من الدراسة:

لا تشمل هذه الدراسة الموضوعات التالية:

- دراسة تفصيلية لجميع كتب الأربعينات، سواء كانت فقهية أو حديثية عامة.
- دراسة الأسانيد تخريجًا وتحقيقًا مفصلًا.
- الحكم التفصيلي على صحة الأحاديث أو ضعفها.
- تحليل التصوف كعلم مستقل خارج سياق العلاقة مع الحديث النبوي.
- دراسة مقارنة شاملة بين كل مناهج التأليف الأربعيني في المذاهب الإسلامية.

خاتمة المبحث: تُحدّد هذه الحدود الموضوعية بدقة المجال المعرفي الذي تتحرك فيه الدراسة، وتضبط نطاقها ضمن "التأليف الأربعيني الصوفي الحديثي"، وهو مقطع معرفي خاص يجمع بين الصناعة الحديثية والرؤية الذوقية التربوية، وقد حرص الباحث على التقيّد بهذه الحدود لتحصيل الفائدة الأكاديمية المركّزة، وتجنب التوسع الذي قد يُضعف التركيز أو يخرج بالبحث عن مساره الأصلي.

المبحث الثاني: الحدود الزمانية والمكانية

تمهيد:

تمثّل الحدود الزمانية والمكانية أحد أبعاد ضبط مجال البحث، إذ إنها تسهم في تحديد السياق التاريخي والجغرافي للنصوص والمصنفات التي تقع ضمن نطاق الدراسة، وقد حرص الباحث في هذا البحث على رسم هاتين الدائرتين بوضوح، بما يخدم أهداف البحث ويضبط بياناته ومصادره.

أولًا: الحدود الزمانية:

تغطي الدراسة الفترة الممتدة تقريبًا من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)(، وهي المرحلة التي برز فيها التدوين الصوفي الحديثي بشكل واضح، وحتى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وهو الزمن الذي استقرت فيه معظم طرائق التصنيف الصوفي في كتب الأربعينات، وتبلورت فيه مناهج الزوايا والطرق.

وقد تم اختيار هذا الإطار الزمني لأسباب علمية، أبرزها:

- كون القرن الرابع هو البداية الحقيقية لظهور كتب الأربعين ذات الطابع الصوفي، كما عند أبي عبد الرحمن السلمي وأبي منصور الأصفهاني.
- توفّر المادة المخطوطة والمطبوعة في هذه الحقبة، ما يتيح قراءة تحليلية ونقدية لنصوص أصلية.
- ثبات مناهج التصنيف الصوفي في تلك الفترة، وتكرار بعض الخصائص البنيوية والتربوية التي تمثل النموذج الأوضح للظاهرة محل الدراسة.

أما ما بعد القرن العاشر الهجري، فإن كثيرًا من المؤلفات الأربعينية في التصوف بدأت تميل إلى التكرار، أو إلى صيغ أدبية وعظية لا تعكس المنهج التأصيلي الصوفي الأصيل الذي تشكّل في القرون السابقة، وإن كانت لا تخلو من أهمية تربوية.

ثانيًا: الحدود المكانية:

تركز الدراسة على نماذج من مؤلفات البيئة الإسلامية الشرقية، ولا سيما:

- خراسان وأصبهان (مركز نشاط السلمي وأبي نعيم).
- العراق والحجاز (مراكز العلم والحديث والزهد).
- الشام ومصر (حيث نشأت بعض المدارس الصوفية ذات العناية بالحديث).

- كما تُشير أحيانًا إلى نماذج من المغرب والأندلس، عند الحاجة، إذا كانت تنتمي بوضوح إلى النمط الصوفي في التأليف الأربعيني.

وقد تم اختيار هذه البيئة الجغرافية باعتبارها:

- مهد نشأة التصوف المؤصَّل بالحديث، لا سيما خراسان.
- بيئة حاضنة لكبار علماء الحديث والصوفية في وقت واحد.
- مراكز علمية نشط فيها التصنيف في الأربعينات، وتداخل فيها الخطاب الذوقي مع العلمي.

ولا تتناول الدراسة المؤلفات التي نشأت في البيئات المعزولة عن التقاليد الحديثية والصوفية الكبرى، أو المؤلفات المتأخرة التي فقدت العلاقة بالمنهج الصوفي الحديثي المبكر.

خاتمة المبحث: تُبرز هذه الحدود الزمانية والمكانية سعي الباحث إلى الالتزام بإطار معرفي دقيق، يسمح بدراسة الظاهرة في طور تشكّلها الأصيل ضمن سياقها الثقافي والتاريخي الطبيعي، وقد اقتُصِر على المرحلة التي برز فيها المزج الواعي بين الحديث النبوي والمنهج الصوفي، وعلى البيئات التي شهدت تفاعلًا حقيقيًا بين المحدثين والمتصوفة، لضمان التحليل العلمي الرصين وتجنّب التوسّع المخلّ بالمنهج.

المبحث الثالث: حدود الدراسة في ضوء الأهداف والإمكانيات البحثية

تمهيد:

إنّ نجاح أي بحث علمي يعتمد على مدى قدرة الباحث على تحديد حدوده الواقعية ضمن الإمكانات المتاحة، والهدف العلمي المنشود، وفي ضوء الإشكالية المطروحة، وتساؤلات البحث، والأهداف المحددة سلفًا، عمد الباحث إلى ضبط مجال الدراسة وتضييق نطاقها بما يتوافق مع الطاقة البحثية المتاحة، من حيث المصادر والزمن والمنهج، لضمان تحقيق نتائج دقيقة، وعدم الوقوع في التشتّت المنهجي.

أولًا: الاقتصار على النمط الصوفي في التأليف الأربعيني:

اقتصر هذا البحث على دراسة كتب الأربعينات الحديثية التي تحمل طابعًا صوفيًا واضحًا، سواء من حيث غايتها التربوية أو طريقتها الذوقية في الشرح والترتيب، وتمّ استبعاد:

- كتب الأربعينات ذات الطابع الفقهي أو العقدي الخالص.
- الأربعينات العامة التي تفتقد للمنحى الذوقي والتربوي.
- المؤلفات الحديثة التي تكرّرت فيها المضامين دون إضافة منهجية واضحة.

وجاء هذا الحصر لضمان التعمق في النموذج الصوفي، وتحقيق قراءة تحليلية لا وصفية فقط.

ثانيًا: التركيز على النماذج الأصلية المعتمدة:

نظراً لاتساع مادّة التأليف في الأربعينات، تم اختيار مجموعة مختارة من الكتب، تُعد ممثلة لهذا اللون من التأليف من حيث:

- قِدَم النشأة.
- أصالة الصياغة الصوفية.
- وفرة المضامين التربوية.
- توافر المخطوطات أو الطبعات المحققة.

ومن النماذج المدروسة: أربعينات أبي منصور الأصفهاني، أبي نعيم الأصفهاني، السلمي، وبعض النماذج المتأخرة التي حافظت على الروح الأصلية للتأليف الذوقي الحديثي.

ثالثًا: حدود المنهج التحليلي والوظيفي:

اقتصر الجانب المنهجي على:

- التحليل النصي للمحتوى الحديثي من حيث البنية، الترتيب، الشرح، المقاصد.
- القراءة الوظيفية التربوية للنص الحديثي في السياق الصوفي.
- التقييم العلمي العام لمدى التزام هذه الكتب بالمعايير الحديثية، دون التوسع في التخريج أو التحقيق الدقيق لكل حديث، إذ إن ذلك يتطلب مشروعًا مستقلاً.

كما لم يُركّز البحث على الرد أو الجدل العقدي حول التصوف، بل تناول التصوف بوصفه نسقًا تربويًا له منهجه وأدواته وتأليفه الخاص.

رابعًا: مراعاة الإمكانات الزمانية والمرجعية:

نظرًا لمحدودية الوقت والموارد، اقتصرت الدراسة على:

- الكتب المتوفرة في المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تم الوصول إليها.
- عدم الانخراط في المقارنة التفصيلية بين كل المدارس الصوفية، بل التركيز على البُعد المشترك في توظيف الحديث للتربية.

خاتمة المبحث: تساعد هذه الحدود في ضمان تركيز البحث على جوهر الظاهرة موضوع الدراسة، وتجنّب الإغراق في موضوعات جانبية أو موسعة قد تُضعف من دقة النتائج، وهي حدود منهجية مقصودة تعكس إدراك الباحث لطبيعة الظاهرة من جهة، ولإمكاناته البحثية والزمانية من جهة أخرى، ما يُسهم في إنتاج دراسة مركّزة يمكن البناء عليها مستقبلاً في دراسات أوسع وأشمل.

الفصل الرابع: الدراسات السابقة

تمهيد:

يمثّل الوقوف على الدراسات السابقة خطوةً جوهرية في البناء العلمي لأي بحث أكاديمي، إذ يُتيح للباحث فهم ما كُتب حول الموضوع، ويساعده على تحديد مواضع الالتقاء أو التمايز، ومواطن الإضافة أو التكرار، كما يتيح له فرصة لتقويم الجهد العلمي المبذول في المجال نفسه أو في مجالات متقاطعة معه، مما يرسّخ المنهجية ويعزز الموضوعية في معالجة الإشكالية البحثية، وفي هذا السياق، تتنوع الدراسات السابقة التي تتقاطع جزئيًا مع موضوع هذا البحث، ويمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

أولًا: دراسات علمية وقف عليها الباحث مباشرة: تندرج ضمن هذا القسم بعض البحوث التي تناولت كتب الأربعينات الحديثية بوجه عام، من حيث نشأتها أو بنيتها أو أهدافها، دون تخصيصها باتجاهٍ معيّن كالاتجاه الصوفي. وقد شكّلت هذه الدراسات خلفية مفيدة في تأصيل ظاهرة التأليف الأربعيني.

ثانيًا: دراسات لم يقف الباحث عليها مباشرة: ويدخل في هذا القسم بعض العناوين العلمية التي أُشير إليها في فهارس الرسائل الجامعية أو قواعد البيانات الإلكترونية، ولم يتمكّن الباحث من الاطلاع عليها بشكل مباشر، ولكنها –بحسب العناوين والمُلخّصات– تبدو متصلة بالموضوع من حيث العموم أو التداخل.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يقف –حتى تاريخ إعداد هذا البحث– على دراسات متخصصة تناولت كتب الأربعينات الصوفية تحديدًا من زاوية تجمع بين التحليل الذوقي والتقويم الحديثي، وهو ما يُبرز أهمية هذه الدراسة، ويُبيّن ما يمكن أن تُقدّمه من إضافة علمية في هذا المجال.

المبحث الأول: عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالأربعينات الحديثية

تمهيد:

شهدت العقود الأخيرة اهتمامًا متزايدًا من الباحثين بدراسة كتب الأربعينات الحديثية، سواء من حيث نشأتها التاريخية، أو أهدافها التربوية والعلمية، أو مناهج مصنفيها، أو أثرها في حفظ السنة النبوية، وتنوّعت هذه الدراسات بين رسائل علمية وأبحاث محكّمة ومقالات أكاديمية، غير أن أغلبها ركّز على الجوانب الحديثية العامة، أو السياق التصنيفي، بينما قلّما تناولت هذه الدراسات التوجه الصوفي الذوقي في التأليف الأربعيني بوصفه نسقًا مستقلاً يستحق دراسة خاصة، ويستعرض هذا المبحث أبرز ما كُتب حول موضوع "الأربعينات الحديثية"، سواء وقف الباحث عليها مباشرة، أو ورد ذكرها في الفهارس والهوامش العلمية، مع الإشارة إلى أهم مضامينها ومنهجياتها.

أولًا: دراسات علمية وقف عليها الباحث:

1. زياد عبد الوهاب أوزون:

- الأربعينات الحديثية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 27، عدد 1، 2011م.
- قدّم الباحث عرضًا تأصيليًا للأصل الذي دفع العلماء إلى هذا النمط من التصنيف، وبيّن من كانت له الريادة فيه، كما استعرض موضوعات شائعة في كتب الأربعين، وعرّف بمناهج مؤلفيها مرتبة على وفياتهم.
- القيمة العلمية: يُعد هذا البحث من أبرز الدراسات الوصفية التي تؤصل لظاهرة الأربعينات من منظور تاريخي ومقارن، دون التطرق إلى الأبعاد الذوقية أو الصوفية.

2. إسماعيل بن عبد الله:

- عناية علماء المغرب الأوسط بالأربعين حديثًا إلى غاية القرن العاشر الهجري، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة تلمسان، مجلد 16، عدد 1، 2020م.
- تناول الباحث جهود المحدثين في المغرب الأوسط في التأليف بالأربعينات، وتوقف عند وظائفها التعليمية والتربوية، ومكانتها ضمن أنواع الأجزاء الحديثية.
- القيمة العلمية: ركّز على البيئة المغاربية، مع اهتمام بامتداد التأليف إلى الجانب التربوي والدراسي، لكنه لم يتناول السياق الصوفي.

3. د. ياسر بن عبد الله السلمان:

- الأربعينات في السنة النبوية، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، مجلد 32، عدد 40، أكتوبر 2020م.
- بدأ البحث بنقد حديث "من حفظ على أمتي أربعين حديثًا"، مبرزًا ضعفه، ثم انتقل إلى مناقشة دلالة استمرار التأليف في الأربعينات رغم ضعف الحديث، واستعرض فوائد هذا اللون من المصنفات.
- القيمة العلمية: ناقش البعد النقدي الحديثي وموقف العلماء، مع إشارة غير مباشرة إلى المقاصد العامة، دون تناول البنية الصوفية.

4. أمين بن أحمد أنقيرة:

- إسهامات علماء الغرب الإسلامي في التصنيف في الحديث الشريف: الأربعينات الحديثية نموذجًا، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، مجلد 13، عدد 1، 2021م.
- تناول الأنواع المختلفة للأربعينات (حسب الأحاديث أو الأبواب)، وبيّن تنوع المقاصد، وأثر البيئة الثقافية، وختم بعرض لمخطوطات الغرب الإسلامي.
- القيمة العلمية: مفيد من زاوية التاريخ والتنوع المقاصدي، لكنه لا يتناول الشروح الصوفية أو الذوق التربوي.

5. يعقوب يوسف محمد، وقاسم بستاني:

- أسباب ظهور الأربعينات – دراسة تحليلية، مجلة ميسان، مجلد 17، عدد 32، 2021م.
- الأربعينات في الميراث الإسلامي عرض ونقد، مجلة ميسان، مجلد 20، عدد 41، 2021م.
- ناقش الباحثان في المقالتين أسباب ظهور كتب الأربعين، وتطورها عبر الحقب، وفوائدها العلمية والتربوية، مع عرض نقدي لمفاهيم التأليف.
- القيمة العلمية: تقدّم المقالتان قراءة فكرية وتحليلية في الخلفيات الثقافية والفكرية، دون التعمق في خصوصيات الاتجاه الصوفي.

6. شمس الدين بابي وآخرون:

- الأربعينات الحديثية في أدبيات ماليزيا، مجلة معالم القرآن والسنة، مجلد 19، عدد 2، 2023م.
- استعرضت المقالة نماذج من التأليف الأربعيني في السياق الماليزي، مبيّنة وفرتها وتنوع محتواها.
- القيمة العلمية: دراسة وثائقية محلية مفيدة، لكنّها خلت من المعالجة المنهجية أو الذوقية للصياغة التربوية.

7. سمير بدر محمد إبراهيم:

- البلدانيات الحديثية: دراسة في المنهج والأهمية التاريخية والحضارية، مجلة المؤرخ العربي، مجلد 2، عدد 31، 2023م.
- تناول ظاهرة البلدانيات ضمن مصنفات الأربعينات، كوثائق تاريخية تدل على تنوّع المدارس وامتدادها.
- القيمة العلمية: مهم في فهم إحدى صور التأليف الأربعيني (البلدانيات)، لكنه لا يعالج الجوانب التربوية أو الصوفية.

ثانيًا: دراسات لم يقف الباحث عليها مباشرة:

1. عبد القادر كاراهان: الأربعين حديثًا في الأدب الإسلامي، مجلة كلية الشريعة جامعة القرويين، المغرب، 1418هـ / 1997-1998م.
   - لم يتمكن الباحث من الحصول على نسخة، لكنها بحسب العنوان تتناول الجانب الأدبي للأربعينات.
2. محمد عويس عبد الرحيم محمود:
   - أثر الاتجاهات الثقافية في مختارات الأربعينات من كتب الحديث مع تحقيق كتاب الأربعين لأبي طاهر السلفي، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2006م.
   - بحسب الفهارس، يُتوقع أن تكون دراسة تحليلية ثقافية تهتم بالتوجهات الفكرية للمؤلفين.
3. محمد باعيسى: كتب الأربعين، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 2015م.

4. شيماء عباس أحمد:

- كتب الأربعين في التصنيف الإسلامي: دراسة في الأسس والمناهج، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2021م.

خاتمة المبحث: يتضح من هذا العرض أن الدراسات السابقة حول "كتب الأربعينات الحديثية" قد قدّمت جهدًا مهمًا في توثيق الظاهرة وتصنيفها وتحليل بعض جوانبها، ولا سيما في سياقها الحديثي والتاريخي، غير أن المنهج الصوفي في تأليف الأربعينات، وما يتفرع عنه من شروح ذوقية، ومقاصد تربوية، ونظم خاص للمقامات الروحية، لا يزال يحتاج إلى معالجة مستقلة ومركّزة، ومن هنا تأتي مساهمة هذا البحث في سد هذه الثغرة العلمية، عبر تحليل تأصيلي وتطبيقي لأبرز المصنفات الصوفية في هذا الباب.

المبحث الثاني: تقييم النقد الموضوعي لمضمون الدراسات السابقة

تمهيد:

إن تحليل الدراسات السابقة لا يكتمل بعرضها فحسب، بل يستلزم تقييمًا نقديًا موضوعيًا لمدى إسهامها في تطوير المعرفة المتعلقة بموضوع البحث، وذلك من خلال الوقوف على نقاط القوة والضعف، وحدود التناول، ومجالات التميز أو القصور، وفي ضوء عرض الدراسات المتعلقة بكتب الأربعينات الحديثية في المبحث السابق، يتبين أن هذه الدراسات – على تنوعها – أسهمت في تمهيد الطريق، لكنها لم تتناول الظاهرة موضوع البحث تناولًا شاملًا أو مركّبًا يجمع بين الصنعة الحديثية والمنهج الصوفي التربوي، وهو ما يسعى هذا البحث إلى تحقيقه.

أولًا: نقاط القوة في الدراسات السابقة:

1. غزارة المادة الوصفية والتوثيقية: برزت عدة دراسات، مثل دراسة زياد أوزون وسهل العود، في تقديم رصد واسع لأسماء المؤلفات الأربعينية، ومناهج التصنيف فيها، مما يشكّل أرضية توثيقية قوية يستفيد منها هذا البحث.
2. الاهتمام التاريخي والنشأتي: ركزت بعض الدراسات على البعد التاريخي لنشوء هذا النمط من التأليف، كالذي فعله يعقوب يوسف محمد وقاسم بستاني، بما يسهم في تتبّع تطور الظاهرة عبر العصور.
3. محاولة تصنيف الأغراض والمقاصد: حاول بعض الباحثين تحليل الأهداف من تأليف كتب الأربعين، كأمين أنقيرة، وإن جاء ذلك في إطار عام دون تعمق في مدارس محددة.
4. الربط بين التأليف الحديثي والثقافة الإسلامية: برز في بعض الدراسات تقديرٌ لدور الاتجاهات الثقافية والاجتماعية في تشكيل موضوعات الأربعينات، كما في دراسة محمد عويس (حسب الفهرسة)، مما يساعد في فهم الخلفية الفكرية للمؤلفين.

ثانيًا: أوجه القصور والفراغات البحثية:

1. غياب الدراسة المركبة للمنهج الصوفي الحديثي: لم تُخصّص أي من الدراسات السابقة – فيما وقف عليه الباحث – تحليلًا خاصًا للنمط الصوفي في كتب الأربعينات، من حيث خصائصه البنيوية، وطرائق اختياره للأحاديث، وتفسيره الذوقي، ومقاصده التربوية.
2. التعامل مع كتب الأربعين كظاهرة تصنيفية فقط: انطلقت معظم الدراسات من منظور شكلي أو موضوعي، غافلة عن الأثر الروحي والتربوي العميق الذي تمثّله هذه الكتب داخل البيئة الصوفية.

3. قلّة الدراسات التطبيقية على نماذج محددة: كثير من الأبحاث بقيت في مستوى العموميات، ولم تتناول تحليل النصوص، أو دراسة نماذج كاملة، أو إجراء قراءات داخلية لكتب الأربعين بنَفَس نقدي أو ذوقي أو سلوكي.
4. التركيز على الجوانب الحديثية النقدية التقليدية: رغم أهمية البعد الحديثي، إلا أن الاقتصار عليه – كما في بعض الدراسات التي ناقشت صحة الأحاديث أو ضعفها فقط – حجّم القدرة على اكتشاف الوظيفة التربوية التي اضطلع بها النص في البيئة الصوفية.

ثالثًا: تميز هذا البحث عن الدراسات السابقة:

يسعى هذا البحث إلى معالجة ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، وذلك من خلال:

1. تحليل النمط الصوفي في كتب الأربعينات بوصفه منهجًا تربويًا قائماً بذاته، لا مجرّد اتجاه روحي عام.
2. إجراء قراءات تطبيقية لنماذج محددة من كتب الأربعين الصوفية، تحليلاً لمضامينها، وتفكيكًا لبُنيتها.
3. الجمع بين أدوات التحليل الحديثي والمفاهيم التربوية الذوقية، بما يعكس وحدة العلوم الإسلامية وتكاملها.
4. اقتراح تأصيل نظري لمقاصد التأليف الصوفي في الأربعينات، وربطها بالتصور الإسلامي لمنازل السلوك الإيماني.

خاتمة المبحث: على الرغم من الأهمية الكبيرة التي تمثلها الدراسات السابقة في إرساء الأساس الوصفي والتوثيقي لظاهرة الأربعينات الحديثية، إلا أن غياب المعالجة المتخصصة للنموذج الصوفي داخل هذا النمط من التأليف لا يزال يمثل فراغًا معرفيًا ملحوظًا، ومن هنا، فإن هذا البحث يسعى إلى المساهمة في سدّ هذه الثغرة، من خلال تقديم دراسة تحليلية تربوية لمنهج التصوف في بناء كتب الأربعين الحديثية، بما يخدم علوم الحديث والتربية الإسلامية في آنٍ واحد.

المبحث الثالث: التميّز والإضافة التي يقدمها هذا البحث

يمثل هذا البحث محاولة علمية رصينة للكشف عن ظاهرة "كتب الأربعينات الحديثية في التصوف الإسلامي" بمنهج يجمع بين الدقة الحديثية والرؤية التربوية الصوفية، ويُسهم في سدّ فراغ ملحوظ في الدراسات الحديثية المقارنة، ويمكن تبيين أوجه التميز والإضافة في النقاط الآتية:

أولًا: الجمع بين العِلمين (الحديث والتصوف) في إطار واحد:

لعل أبرز ما يميز هذا البحث هو جمعه بين المنهج التحقيقي لعلم الحديث، والذوق التربوي لعلم التصوف، دون إلغاء أحدهما لحساب الآخر، فقد تناول الباحث الأربعينات الحديثية الصوفية من منظور علمي رصين، قائم على تخريج النصوص وتحليلها سندًا ومتنًا، وفي ذات الوقت كشف عن مقاصد التصوف التربوية التي تتوسل بالأحاديث لتحقيق التزكية والسلوك.

ثانيًا: الإضافة المنهجية في تصنيف كتب الأربعينات:

أضاف البحث بعدًا تصنيفيًّا جديدًا يتمثل في قراءة كتب الأربعينات من حيث المقصد الصوفي والتربوي، وبيّن تميز هذه الكتب عن غيرها من المصنفات الحديثية بأنها ليست فقط وسيلة لنقل الحديث، بل وسيلة لبناء السلوك الروحي عند المريد، من خلال الترتيب الذوقي، والشرح الإشاري، والاقتصار على الأحاديث المؤثرة في النفس.

ثالثًا: تقديم تحليل دقيق لمناهج الصوفية في التأليف الأربعيني:

سعى البحث إلى تحليل البنية الداخلية لكتب الأربعينات الصوفية، وكشف عن منهج خاص للتصنيف عند الصوفية، يتجاوز المناهج الحديثية التقليدية، إلى بناء تربوي مقصود، يراعي السير والمقامات، ويخاطب القلب كما يخاطب العقل، وهو طرح لم يُعتنَ به تفصيليًا في أغلب الدراسات السابقة.

رابعا: إثراء الدراسات المقارنة في العلوم الإسلامية:

يسهم هذا البحث في تعزيز ميدان الدراسات المقارنة بين الأنماط التأليفية في التراث الإسلامي، خصوصًا ما بين النمط العلمي (الحديثي) والنمط التربوي (الصوفي)، ويُعدّ خطوة تأسيسية لدراسات لاحقة تربط بين علوم النقل وعلوم التربية الروحية.

خامسًا: معالجة إشكال في الدراسات السابقة:

يشير البحث إلى وجود فراغ علمي واضح في معالجة هذا النوع من الكتب، حيث لم يُفرد من قبل بحث أكاديمي شامل يستوعب نشأة ومناهج وأهداف كتب الأربعينات الصوفية، ويُبرز هذا التمايز المعرفي، مما يجعل هذا العمل من أوائل الدراسات التي تُعنى بهذه الظاهرة في صورتها المتكاملة.

الباب الثاني: مناهج البحث وإجراءاته

يُعد هذا الباب من أهم أبواب البحث، إذ يُبرز الإطار المنهجي الذي انطلق منه الباحث في دراسة موضوعه، ويُبين الأسس النظرية والتطبيقية التي اعتمد عليها في التحليل والتفسير والاستنتاج، فالمنهج العلمي لا يقتصر على كونه أداة تنظيمية للبحث، بل يمثل البنية التي تحدد كيفية تناول المادة العلمية وتفسيرها وتقييمها، وتُسهم في منح البحث طابعه الأكاديمي المتميز، وضمان دقته ومصداقيته.

وقد رُوعي في هذا الباب الجمع بين الجانب التأصيلي للمفاهيم والمناهج، والجانب التطبيقي المرتبط بخطوات تنفيذ البحث ومصادره؛ لذا، جاء هذا الباب في ثلاثة فصول متكاملة:

- الفصل الأول: يُعنى بتأصيل المفاهيم والمناهج العلمية، حيث يُوضّح المفاهيم الأساسية مثل "البحث"، و"المنهج"، وأنواع "المناهج العلمية"، ويعرض بالتفصيل أبرز المناهج العامة التي استند إليها الباحث، مثل المنهج التاريخي التحليلي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، مبرزًا دور كل منها في تحقيق أهداف البحث.
- الفصل الثاني: يتناول المناهج التحليلية والنقدية الأكثر تخصصًا، والتي كان لها دور محوري في تحليل النصوص الصوفية الحديثية، مثل المنهج النقدي المقارن والمنهج التحليلي المفهومي، مع بيان كيفية توظيفها في الكشف عن الفروق المنهجية وبناء الفهم العميق للمفاهيم.
- الفصل الثالث: يعرض الإجراءات العملية التي اتّبعها الباحث في تنفيذ الدراسة، بدءًا من تحديد مراحل البحث وخطواته، إلى بيان مصادر البيانات، وأدوات جمعها، وآليات التحقق من صدقيتها وملاءمتها لموضوع البحث.

ومن خلال هذا الباب، تتضح الرؤية المنهجية التي اعتمدها البحث، وتتكشف الخيوط العلمية التي نُسج منها التحليل، مما يعزز الثقة في نتائجه، ويُبرز التوازن بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

الفصل الأول: المفاهيم والمناهج العلمية

تمهيد:

يمثل هذا الفصل الأساس النظري الذي يستند إليه البحث في بناء تصوراته المنهجية ومساراته التحليلية، فمن غير الممكن الانطلاق في دراسة علمية معمقة دون ضبط المفاهيم المركزية التي تُكوِّن بنية البحث، وتحديد الأطر المنهجية التي تنظّم عملية التحليل والتفسير.

ويُعنى هذا الفصل بتأصيل عدد من المفاهيم الأساسية، مثل مفهوم البحث العلمي، والمنهج، والمناهج العلمية، مع إبراز الفروق الدقيقة بينها، وبيان علاقتها بموضوع الدراسة، كما يتناول الفصل أهم المناهج العلمية العامة التي اعتمد عليها البحث في تتبع ظواهر التأليف في كتب الأربعينات الحديثية الصوفية، وتحليل بنيتها، واستخلاص معالمها.

وقد تم توزيع محتوى الفصل في أربعة مباحث متكاملة:

- يتناول المبحث الأول المفاهيم النظرية الأساسية التي تشكل قاعدة الانطلاق لأي مشروع بحثي منهجي.
- بينما يُعنى المبحث الثاني بعرض المنهج التاريخي التحليلي، بوصفه الأداة الأساسية لتتبع النشأة والتطور الزمني لظاهرة الأربعينات الصوفية.
- أما المبحث الثالث فيرصد معالم المنهج الوصفي التحليلي، ويُبرز أدواته في دراسة النصوص ومقاربتها بنيويًا ودلاليًا.
- ويأتي المبحث الرابع ليُبرز دور المنهج الاستقرائي في جمع الجزئيات، وتحليلها، ثم بناء صورة كلية متكاملة عن الظاهرة المدروسة.

وبهذا التأسيس النظري، يمهّد هذا الفصل للانتقال إلى المناهج التحليلية والنقدية الأكثر تخصصًا، التي يتم تناولها في الفصل التالي.

المبحث الأول: المفاهيم الأساسية: البحث – المنهج – المناهج العلمية

تقوم البحوث العلمية الرصينة على أسس مفاهيمية واضحة ومنضبطة، تُشكّل الخلفية المعرفية التي يعتمد عليها الباحث في بناء دراسته وتحليل معطياتها، ويُعدّ ضبط المفاهيم من أولى الخطوات المنهجية التي لا غنى عنها، إذ يؤدي الغموض أو التداخل بينها إلى إرباك في التوجّه البحثي، وتضارب في المسارات التحليلية.

وفي هذا السياق، يعرض هذا المبحث ثلاثة مفاهيم مركزية تُعدّ مدخلًا ضروريًا لفهم طبيعة البحث ومرتكزاته المنهجية، وهي: مفهوم البحث العلمي، ومفهوم المنهج، ومفهوم المناهج العلمية، وسيتناول كل مفهوم على حدة، مع بيان خصائصه ووظائفه وعلاقته بسياق البحث الحالي.

أولًا: مفهوم البحث:

البحث لغةً: مأخوذ من مادة (بَحَثَ)، وتعني: الحفر والتنقيب ويأتي بمعنى الاجتهاد وبذل الجهد في موضوع ما وجمع المسائل التي تتصل به. [1]

أما اصطلاحًا: فالبحث العلمي هو: هو مجموعة منظمة من المباديء العامة والطرق الفعلية التي يستعين بها الباحث في حل مشكلات بحثه مستهدفا بذلك الكشف عن جوهر الحقيقة. [2]

وفي ضوء هذا التعريف، يظهر أن البحث ليس مجرد جمع معلومات، بل هو نشاط عقلي ومنهجي يسعى إلى فهم الظواهر وتحليلها وتفسيرها، وذلك في ضوء إشكالية علمية محددة، تتطلب التعمق والتمحيص والربط بين النتائج والاستنتاجات.

ثانيًا: مفهوم المنهج:

المنهج لغة: هو الطريق الواضح ومنه نهج الطريق بمعنى أبانه وأوضحه وسلكه. [3]

أما اصطلاحًا، فقد تعددت تعاريفه عند العلماء تبعًا لتنوّع الحقول العلمية، ومن أبرز تلك التعاريف:

---

[1] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، جـ1، صـ 40.

[2] حسين عبد الحميد رشوان، **ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي**،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م) صـ100.

[3] محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت:المكتبة العصرية 1999م) صـ 320.

- عرّفه بعضهم بأنه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.[4]
- كما عرفه آخرون بأنه: فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون.

ومن خلال هذا التعريف الأخير يتبيّن أن هناك اتجاهين رئيسين للمناهج من حيث الغاية والوظيفة:

- أحدهما يهدف إلى الكشف عن الحقيقة، ويُطلق عليه منهج الاختراع.
- والآخر يهدف إلى البرهنة أو التصحيح لمفاهيم سائدة، ويُعرف بـ منهج التصنيف. [5]

ويُعدّ المنهج بذلك إطارًا منظِّمًا لخطوات البحث، يُوجّه فكر الباحث، ويحدد أدواته، ويضمن الوصول إلى نتائج تتسم بالعلمية والموضوعية، ومن ثم فإن اختيار المنهج المناسب لطبيعة الدراسة هو من أهم ما يجب أن يعتني به الباحث عند إعداد خطته العلمية.

ويُعَدُّ المنهج العمود الفقري للبحث العلمي، إذ يوجه عملية التفكير، ويُحدد آليات جمع المعلومات، وتحليلها، وإنتاج نتائج يمكن الوثوق بها، وقابلة للفحص والمراجعة

ثالثًا: المناهج العلمية:

تتعدد المناهج العلمية في الدراسات الإنسانية والإسلامية، ويختار الباحث منها ما يتناسب مع طبيعة بحثه، ومن أبرز هذه المناهج التي تم توظيفها في هذا البحث:

1. المنهج التاريخي التحليلي:

المواضع التطبيقية:

- دراسة نشأة التصوف وتطوره عبر العصور (الباب الثالث).
- تتبع نشأة كتب الأربعينات الحديثية وتطورها (الباب الثاني).
- رصد التحولات المنهجية في التأليف الصوفي (الباب الرابع).

وظيفته:

- تتبع التطور الزمني للأفكار والأنماط.

---

[4] عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، (الكويت: وكالة المطبوعات 1977 م) صـ 5.
[5] محمد زيان عمر، **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**، (جدة: دار الشروق 1983 م) صـ 48.

- بيان الظروف الاجتماعية والتاريخية المؤثرة.
- تحليل السياقات الزمنية لنشوء المدارس والتيارات العلمية.

2. المنهج الوصفي التحليلي:

المواضع التطبيقية:

- وصف خصائص كتب الأربعينات، عمومًا وصوفيًا.
- تحليل المقاصد والتوجهات المنهجية للمؤلفين.
- دراسة نماذج تطبيقية تمثل مراحل التأليف الأربعيني.

وظيفته:

- تحليل البناء الداخلي للنصوص.
- تفكيك البنية المنهجية والفكرية للمؤلفات.
- بيان طرائق اختيار الأحاديث وشروحها.

3. المنهج الاستقرائي:

المواضع التطبيقية:

- جمع وتحليل نماذج متفرقة من كتب الأربعينات.
- تتبع خصائص الشرح الصوفي واستخلاص سماته العامة.

وظيفته:

- الانطلاق من الجزئيات والنصوص نحو قواعد كلية.
- بناء استنتاجات علمية على أساس بيانات تفصيلية.

4. المنهج النقدي المقارن:

المواضع التطبيقية:

- المقارنة بين مناهج المحدّثين والصوفية.
- التمييز بين الشرح الذوقي والشرح التحقيقي.
- تحليل تعريفات السنة لدى المحدثين والفقهاء والأصوليين.

وظيفته:

- إبراز نقاط التباين والتكامل بين الاتجاهات.
- تقييم جوانب القوة والقصور في الأنماط المنهجية المختلفة.

5. المنهج التحليلي المفهومي:

المواضع التطبيقية:

- تحليل المفاهيم الأساسية مثل: السنة، التصوف، الأربعين، الذوق، المقام.
- ربط المصطلحات الصوفية بدلالاتها الشرعية والتاريخية.

وظيفته:

- توضيح المفاهيم من الزاويتين اللغوية والاصطلاحية.
- إدراج المصطلح في سياقه المنهجي وتحليل تطوره.

خاتمة المبحث: إن تحديد المفاهيم الأساسية للبحث، والمنهج، والمناهج العلمية المستخدمة، يمثل خطوة تأسيسية ضرورية لضبط مسار الدراسة، وتأصيل أدواتها، وضمان تماسكها المنهجي. ومن خلال المزج بين المناهج التاريخية والوصفية والتحليلية والمقارنة، سعى هذا البحث إلى تقديم قراءة علمية متكاملة لظاهرة الأربعينات الحديثية في التصوف، بوصفها نمطًا تأليفيًا يجمع بين الصنعة الحديثية والرؤية التربوية الروحية.

المبحث الثاني: المنهج التاريخي التحليلي ودوره في تتبع النشأة والتطور

يُعد المنهج التاريخي التحليلي أحد المناهج الرئيسة في البحث العلمي، وخصوصًا في مجالات العلوم الإنسانية والشرعية، لما له من قدرة على تتبّع النشأة الأولى للظواهر، وتحليل مراحل تطورها وتحولاتها، وربطها بالسياقات الزمنية والاجتماعية والعلمية التي نشأت فيها، وتتجلى أهميته في إعادة بناء الصورة التاريخية بدقة، والكشف عن العوامل المؤثرة في تشكل الفكر أو النصوص أو الاتجاهات.

أولًا: تعريف المنهج التاريخي التحليلي:

المنهج التاريخي التحليلي: هو الطريق الذي يختاره الباحث في تجميع معلوماته وبياناته العلمية في دراسة الموضوع، والذي يسلكه في التحليل والتفسير، وتبيان الحقائق، من خلال تتبع الظواهر في سياقها الزمني، وربط المراحل التاريخية المختلفة ببعضها للوصول إلى فهم شامل للنشأة والتطور.[6]

فإذا هو منهج علمي يقوم على دراسة الظواهر والنصوص والأفكار في سياقها الزمني، مع تحليل العوامل التي أسهمت في نشأتها وتطورها، وفهم العلاقات التي تربط بين مراحلها المختلفة، وهو لا يكتفي بالسرد الزمني أو الإخباري، بل يتعداه إلى التحليل والتفسير والتقويم، بما يكشف عن الصلات بين الماضي والحاضر، ويسهم في بناء رؤية معرفية متكاملة.

ثانيًا: خصائص المنهج التاريخي التحليلي:

1. الاعتماد على التوثيق الدقيق: باستخدام المصادر الأصلية والموثوقة.
2. التسلسل الزمني: تتبع الظاهرة من النشأة إلى التحولات والتطورات أو الانقطاع.
3. التحليل النقدي للمصادر: فحص درجة الموثوقية والظروف التي أنتجت النص أو الفكرة.
4. الربط بين الزمان والفكر: فهم الظاهرة أو النص في ضوء سياقه الثقافي والاجتماعي والسياسي.

[6] عقيل، عقيل حسين، **فلسفة مناهج البحث العلمي**، (القاهرة:مكتبة مدبولي1999م) صـ58.

ثالثًا: أدوات المنهج التاريخي التحليلي:

1. المصادر الأولية: كالوثائق الأصلية، والمخطوطات، والروايات المباشرة.
2. المصادر الثانوية: مثل كتب التاريخ والدراسات الحديثة والتحقيقات.
3. المقارنة التاريخية: لتحليل الاختلافات بين الروايات أو المراحل.
4. التفسير السياقي: لفهم الظروف المؤثرة على النشأة والتطور.
5. التحقيق التاريخي :التثبت من نسبة النصوص ومعرفة مدى انتشارها وتأثيرها.

رابعًا: دور المنهج التاريخي التحليلي في دراسة النشأة والتطور:

يُستخدم هذا المنهج في دراسة نشأة المؤلفات واتجاهاتها، كما في حالة كتب الأربعينات الحديثية، حيث تمّت ملاحظة:

- الجذور الأولى لهذا النمط التأليفي، انطلاقًا من الأحاديث النبوية الحاثّة على حفظ أربعين حديثًا.
- تحليل دوافع التأليف، كالباعث التربوي، أو الاستجابة للتوجيه النبوي، أو إثبات الانتماء الصوفي أو الفقهي.
- تتبع التحولات، سواء في بنية الكتب، أو موضوعاتها، أو مناهج ترتيبها.
- ربط الماضي بالحاضر، من خلال بيان استمرار هذا النمط التأليفي في العصور المتأخرة، وتطوره إلى أشكال جديدة من التصنيف.

خامسًا: أهمية المنهج التاريخي التحليلي:

تبرز أهمية هذا المنهج في:

- إعادة بناء الخلفيات المعرفية والنصية للظواهر.
- تمييز مراحل التجديد أو الجمود في مسار التأليف.
- الكشف عن أثر البيئة الثقافية والاجتماعية في صياغة الأفكار والمصطلحات.
- فهم الظواهر الفكرية ضمن سياقها الزمني والمعرفي المتكامل.

المنهج التاريخي التحليلي في هذا البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي باعتباره الأداة الرئيسة في تتبع ظاهرة كتب الأربعينات الحديثية، خصوصًا في السياقين الصوفي والعلمي، وذلك لما لهذه الظاهرة من امتداد زمني طويل، وتحولات في البنية والمقاصد والمنهج. وقد تم توظيف المنهج في جانبين:

أولًا: الجانب التاريخي:

- تتبّع النشأة الأولى لكتب الأربعينات الحديثية، ابتداءً من القرن الثاني الهجري، مرورًا بمرحلة الازدهار في القرنين الخامس والسادس.
- تحليل السياقات الفكرية والدينية التي أنتجت هذا اللون من التصنيف، سواء في الأوساط الصوفية أو في حلقات العلم الحديثية.
- بيان تطور الأغراض من حفظ أربعين حديثًا للنجاة، إلى بناء منظومة تربوية أو تصنيف منهجي في العقيدة والفقه والسلوك.

ثانيًا: الجانب التحليلي:

- دراسة البنية الداخلية للمصنفات: من حيث عدد الأحاديث، أسلوب الترتيب، وجود الشروح من عدمها.
- تحليل مناهج التأليف: مثل اعتماد الترتيب الذوقي في كتب المتصوفة، والترتيب الموضوعي الفقهي عند المحدثين.
- كشف أوجه التمايز والتلاقي بين الاتجاه الصوفي التربوي، والاتجاه العلمي التحقيقي، من خلال استقراء النماذج التأليفية وتحليلها.

وبهذا المنهج، استطاع البحث أن يربط بين التاريخ والتحليل، ويقدّم رؤية علمية متكاملة تُظهر تطور هذا النوع من المصنفات، وتُفسر دوافعه وتوجهاته في سياقات متعددة، وتُسهم في إحياء الوعي بتاريخ التصنيف الحديثي ومرجعياته التربوية والعلمية.

المبحث الثالث: المنهج الوصفي التحليلي وأدواته في تحليل النصوص والمناهج

يُعد المنهج الوصفي التحليلي من أكثر المناهج العلمية استخدامًا في الدراسات الإنسانية عمومًا، والعلوم الشرعية واللغوية خصوصًا، وذلك لما يتمتع به من مرونة في التعامل مع النصوص، وقدرة على الجمع بين الوصف الدقيق والتحليل العميق لبنية النص ومضامينه، وهو منهج يُتيح للباحث الوقوف على خصائص النصوص والظواهر، وتفكيك عناصرها، ثم إعادة تركيبها لفهم مقاصدها وسياقاتها.

أولًا: تعريف المنهج الوصفي التحليلي:

المنهج الوصفي التحليلي: هو المنهج الذي يعمل على دراسة وتحليل الظاهرة وتحديد مكوناتها وخصائصها وظروف نشأتها، أي يصف الظاهرة من حيث كيفية وطريقة تكونها وبنائها وعملها، كما يعمل على وصف طبيعة العلاقات المكونة لها أو تلك التي تربطها بظواهر.[7]

فإذا هو منهج علمي يُعنى بوصف الظاهرة أو النص كما هو قائم، ثم تحليل مكوناته وعناصره، بغرض الوصول إلى فهم دقيق لطبيعته وبنيته، واكتشاف أبعاده ودلالاته، فهو لا يكتفي بعرض المعلومات، بل ينفذ إلى تفسيرها، واستنباط المعاني الكامنة فيها، وربطها بسياقها العلمي أو التاريخي أو الاجتماعي.

ثانيًا: خصائص المنهج الوصفي التحليلي:

1. التركيز على الواقع النصي: يتعامل مع النص كما هو، دون إسقاطات خارجية مسبقة.
2. التحليل المنهجي: يعمد إلى تقسيم الظاهرة أو النص إلى وحدات، وتحليل كل وحدة وفق معايير علمية.
3. الحياد والموضوعية: يلتزم القراءة المحايدة، مع الاعتماد على الشواهد الداخلية والخارجية للنص.
4. التركيب والتفسير: يعيد بناء العلاقات بين عناصر النص لفهمه في ضوء أهداف البحث.

ثالثًا: أدوات المنهج الوصفي التحليلي:

1. القراءة السياقية: تحليل النص في إطار سياقه التاريخي والثقافي.

---

[7] أحمد عبد الله اللحلح ومصطفى محمود أبو بكر، **البحث العلمي: تعريفه خطواته مناهجه المفاهيم الإحصائية**، (القاهرة: مكتبة الدار الجامعية 2002م) صـ 51.

2. التحليل اللغوي: دراسة الألفاظ والتراكيب والمصطلحات لاستخراج دلالاتها.
3. التحليل الموضوعي: تحديد الموضوعات الرئيسة التي يدور حولها النص.
4. التحليل البنيوي: فحص بنية النص وأساليبه وتنظيمه الداخلي.
5. التحليل النقدي: إبراز نقاط القوة والضعف، وتقييم النص وفق معايير علمية.

رابعًا: توظيف المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث:

إلى جانب المنهج التاريخي، اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة بنية كتب الأربعينات الحديثية وتحليل مضامينها ومناهجها، للكشف عن الأساليب التأليفية التي اعتمدها المؤلفون، سواء في التصنيف أو الترتيب أو الشرح أو التوجيه التربوي والمعرفي، وقد تجلى ذلك في المحاور التالية:

1. الوصف الموضوعي للمادة العلمية:

تم تقديم وصف تفصيلي لكتب الأربعينات من حيث:

- بنيتها الهيكلية (عدد الأحاديث، تقسيم الأبواب، تنوع المصادر)
- طبيعة موضوعاتها (فقهية، صوفية، عقدية، تربوية...).
- السياقات التي ظهرت فيها، كالسياق التربوي الصوفي أو التعليم الشرعي أو ترسيخ العقيدة.

2. التحليل النقدي للمضامين:

تجاوز البحث مجرد الوصف، ليتناول تحليل مضمون النصوص الحديثية المنتقاة، من خلال:

- دراسة توظيف الحديث النبوي لخدمة مقاصد تربوية أو سلوكية أو تعليمية.
- بيان العلاقة بين المتن والشرح، خاصة في الكتب الصوفية التي يغلب عليها الشرح الإشاري الذوقي.
- تحليل مدى التماسك بين اختيارات المؤلف ومقاصده العامة.

3. الكشف عن الخصائص المنهجية:

تم استثمار المنهج الوصفي التحليلي في استنباط الخصائص الفنية والمنهجية لتصنيف هذه الكتب، من خلال:

- المقارنة بين الترتيب الموضوعي عند المحدّثين، والترتيب الذوقي المقامي عند المتصوفة.
- تمييز بين التوظيف العلمي الصرف للنصوص وبين التوظيف التربوي والروحي.
- بيان الفوارق بين أساليب الشرح التحليلي (اللغوي والفقهي)، والشرح الذوقي التأملي.

خامسًا: أهمية المنهج الوصفي التحليلي:

تبرز أهمية هذا المنهج في كونه:

- يجمع بين الرصد والتحليل، ويُتيح فهماً عميقًا للنصوص من داخلها.
- يُسهم في تفسير الظواهر النصية بصورة علمية دقيقة.
- يُساعد في بناء صورة متكاملة عن البنية الداخلية للمصنفات.
- يُمكّن الباحث من استخلاص نتائج موضوعية، مدعومة بالشواهد والأدلة.

المبحث الرابع: المنهج الاستقرائي ودوره في تتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات

يُعدُّ المنهج الاستقرائي من أبرز المناهج العقلية في البحث العلمي، ويعتمد على الانطلاق من الجزئيات والملاحظات المفردة، ثم تتبعها وتحليلها بهدف التوصل إلى قواعد عامة أو نتائج كلية، ويُستخدم هذا المنهج على نطاق واسع في الدراسات الشرعية واللغوية والحديثية، لا سيما في تتبع النصوص والأقوال والاستعمالات الجزئية لبناء تصور شامل قائم على الاستنتاج المدعوم بالشواهد.

أولًا: تعريف المنهج الاستقرائي:

المنهج الاستقرائي هو الانطلاق من الجزئيات إلى الكليات.[8]

وهو منهج علمي يبدأ بملاحظة الوقائع الجزئية وتتبعها، ثم تحليلها وتجميعها من أجل الوصول إلى تعميمات أو قواعد كلية، ولا يعتمد هذا المنهج على افتراضات سابقة، بل على الملاحظة الدقيقة والاستنتاج المبني على تتبع الشواهد.

ثانيًا: خصائص المنهج الاستقرائي:

1. الانطلاق من الجزئيات إلى الكليات: بعكس المنهج الاستنباطي الذي يبدأ من القاعدة إلى الفرع.
2. الاعتماد على التتبع الواسع: فلا يُبنى الحكم إلا بعد رصد عدد كافٍ من الأمثلة.
3. الحيادية: لا يُفرض الحكم مسبقًا، بل يُستخلص من المادة المدروسة.
4. المرونة والقابلية للتعديل: إذ يمكن إعادة النظر في النتائج بناءً على ظهور شواهد جديدة.

ثالثًا: أدوات المنهج الاستقرائي:

1. الرصد والتتبع: تحليل المادة الأصلية وتتبع النماذج ذات الصلة.
2. التصنيف والتجميع: ترتيب الجزئيات وفق محاور أو خصائص مشتركة.
3. التحليل والمقارنة: لتمييز أوجه الشبه والاختلاف بين النماذج.
4. الاستنتاج: استخلاص القواعد أو الأنماط العامة انطلاقًا من المعطيات المفصّلة.

رابعًا: توظيف المنهج الاستقرائي في هذا البحث:

---

[8] محمد قبيسي ونجوى الحسيني، **الأصول المنهجية لكتابة البحث العلمي** (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة 2016)، صـ70

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي في دراسة كتب الأربعينات الحديثية، بهدف الكشف عن السمات المنهجية والتأليفية التي تحكم هذا النمط من المصنفات، وقد تم توظيف هذا المنهج في الخطوات الآتية:

1. استقراء النماذج التأليفية: تم حصر عدد كبير من كتب الأربعينات، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة، وتحليل بنيتها ومحتواها لاستخلاص الأنماط العامة لأساليب التأليف، وأهداف المؤلفين، وخلفياتهم العلمية أو التربوية أو الصوفية.
2. رصد الخصائص المتكررة: اتضح من خلال التتبع أن هناك سمات مشتركة تتكرر في غالب هذه المصنفات، منها:

- اعتماد العدد "أربعين" أو ما يقاربه كأساس للتصنيف.
- تكرار بعض المقامات التربوية أو الروحية في كتب المتصوفة.
- توظيف نفس الأحاديث أو الألفاظ في أكثر من كتاب، مع اختلاف في الشرح أو الترتيب أو السياق.

3. استخلاص الاتجاهات العامة: بناءً على الاستقراء السابق، تم استنتاج قوانين شبه عامة تحكم تأليف هذا النوع من الكتب، مثل:

- تأثير الخلفيات الروحية أو الفقهية للمؤلف في اختيار الأحاديث وطريقة شرحها.
- حضور المقاصد التربوية أو السلوكية في كتب الصوفية، مقابل الضبط العلمي والتحقيقي في كتب المحدّثين.
- مركزية الحديث النبوي في بناء التصورات الأخلاقية والسلوكية عند التيارات الصوفية.

خامسًا: أهمية المنهج الاستقرائي:

تبرز أهمية هذا المنهج من خلال:

- تأسيس النتائج على الملاحظة والتتبع لا على الافتراضات.
- فهم الواقع العلمي بعمق عبر تتبع تفاصيله ومظاهره الجزئية.
- الوصول إلى قواعد منهجية راسخة ناتجة عن شواهد متعددة، مما يمنح البحث حُجية علمية أكبر.
- تمييز الأنماط التأليفية وتفسير تنوّعها ضمن رؤية علمية منضبطة.

الفصل الثاني: المناهج التحليلية والنقدية في الدراسة

تُعدُّ المناهج التحليلية والنقدية من الأدوات الرئيسة في البحوث الإنسانية والاجتماعية، إذ تتجاوز مجرد العرض والوصف إلى فهم الظواهر وتحليل مضامينها، والكشف عن بُناها العميقة وأبعادها الخفية، وتقديم رؤية نقدية علمية لما يُعرض من مفاهيم أو نصوص أو ممارسات.

وفي سياق هذا البحث، يكتسب استخدام هذه المناهج أهميةً خاصة، لما يتيحه من إمكانية تفكيك بنية النصوص المدروسة، وتتبع سياقاتها الداخلية والخارجية، ورصد ما تحمله من دلالات فكرية، وقيم معرفية، ومقاصد منهجية، كما يتيح التقييم الموضوعي للمنطلقات والأساليب التي اعتمدها المؤلفون في بناء نتاجهم العلمي أو الأدبي.

يسعى هذا الفصل إلى بيان أسس هذه المناهج، وأدواتها، وآليات توظيفها في الدراسة، مع التركيز على مدى مناسبتها لطبيعة النصوص المدروسة، وقدرتها على الإسهام في فهمٍ أعمق وأدق لموضوع البحث، سواء من جهة المحتوى أو المنهج أو البنية الخطابية.

المبحث الأول: المنهج النقدي المقارن ودوره في التقييم والتحليل وتحديد الفروق المنهجية

يمثّل المنهج النقدي المقارن أداة فاعلة في البحث العلمي، خاصة في الدراسات التي تهدف إلى فحص الآراء، وتحليل الاتجاهات الفكرية، ومقارنة المناهج والتوجهات المتعددة. ويُعد من أنجع الوسائل في الكشف عن الفروق الدقيقة، وإبراز أوجه التميز أو القصور، وتحديد مناطق الاتفاق والاختلاف بين النصوص والمدارس.

أولًا: تعريف المنهج النقدي المقارن:

المنهج النقدي المقارن: هو منهج يسلك سبيل الربط بين الموضوعات المتعددة، لاستخلاص أوجه الشبه أو الخلاف بينها، ثم الخروج من ذلك بحكم تدعمه نتائج العملية.[9]

فهو أسلوب علمي يُعنى بالمقارنة بين ظاهرتين أو أكثر، أو بين نصوص ومناهج مختلفة، بهدف تحليل أوجه التشابه والاختلاف، ثم إصدار أحكام علمية قائمة على معايير نقدية دقيقة. ويمزج هذا المنهج بين التحليل العقلي والتقويم الموضوعي، مما يجعله فعالًا في التقييم العلمي الرصين.

[9] مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1983م) صـ189

ثانيًا: خصائص المنهج النقدي المقارن:

1. الجمع بين المقارنة والنقد: فلا يكتفي بعرض أوجه الاختلاف، بل يقيّمها.
2. الاستناد إلى معايير علمية: مثل الدقة، والانسجام المنهجي، والأصالة، والشمول.
3. المرونة المنهجية: يتعامل مع نصوص من بيئات علمية وفكرية متباينة.
4. التحليل العميق: لا يكتفي بالمظاهر، بل يتعمق في الخلفيات والنتائج.

ثالثًا: أدوات المنهج النقدي المقارن:

1. تحليل النصوص والمضامين: لفهم كل نموذج على حدة.
2. تصنيف عناصر المقارنة: كالهدف، المنهج، المصادر، الأسلوب، النتائج.
3. تحديد المعايير النقدية: لضبط الحكم وتحديد التميز أو الخلل.
4. التفسير السياقي: لفهم أسباب الاتفاق أو التباين.
5. إصدار حكم تقويمي علمي: يوازن بين الإيجابيات والسلبيات دون تعصب.

رابعًا: تطبيق المنهج النقدي المقارن في هذا البحث:

استعان هذا البحث بالمنهج النقدي المقارن لتحليل المفارقات المنهجية والمقاصدية بين نمطين من أنماط التأليف في كتب الأربعينات الحديثية، هما:

- المدرسة الصوفية ذات الطابع الذوقي والتربوي.
- المدرسة العلمية/الحديثية ذات النزعة التوثيقية والتحقيقية.

وقد تجلّى هذا التوظيف في المحاور الآتية:

1 .المقارنة بين المقاصد:

- ركّز المتصوفة على التزكية وتهذيب النفس والسلوك الروحي، مع حضور الشرح الذوقي والإشاري.
- أما المحدثون والعلميون فاهتموا بضبط الرواية، وتوثيق المتن، وتحقيق الأسانيد، والتخريج العلمي الدقيق.

2. المقارنة بين المنهجية التأليفية:

- استخدم الصوفية ترتيبًا ذوقيًّا قائمًا على التدرج المقامي والروحي.

- بينما اتبع العلماء ترتيبًا فقهيًّا أو موضوعيًّا دقيقًا، مستندًا إلى أبواب العلم أو مباحث العقيدة أو الفقه.

3. التحليل والنقد:

لم تتوقف الدراسة عند المقارنة، بل قدّمت نقدًا علميًا للأساليب والمضامين، مثل:

- مدى التزام كتب الأربعينات الصوفية بضوابط الصناعة الحديثية.
- جدوى الشروح الذوقية وتأثيرها في إيضاح المعاني الحديثية أو تشويشها.
- قيمة الإسناد والتوثيق عند المحدّثين مقارنة بالتأويل الإشاري عند الصوفية.

وقد أتاح هذا التحليل النقدي المقارن إبراز الثراء المنهجي الكامن في هذه الكتب، وفتح المجال لفهم تعدد أنماط التأليف وتنوع مقاصده، دون الوقوع في إلغاء أحد الاتجاهين لصالح الآخر، بل من خلال رؤية تكاملية تراعي الخلفيات العلمية والروحية والاجتماعية لكل مدرسة.

خامسًا: أهمية المنهج النقدي المقارن:

تبرز أهمية هذا المنهج في:

- تنمية الوعي المنهجي لدى الباحث، والابتعاد عن التلقي العفوي أو غير الواعي.
- تمييز المناهج وتحليلها وفق معايير علمية دقيقة.
- اختيار الأجود والأرجح من بين الآراء أو النماذج التأليفية.
- تطوير الفهم المقارن والقدرة على قراءة الاتجاهات المختلفة ضمن نسق علمي متكامل.

المبحث الثاني: المنهج التحليلي المفهومي وأثره في تفكيك المصطلحات وبناء الفهم الدقيق

يمثّل المنهج التحليلي المفهومي أداةً أساسية في البحوث التي تتناول المصطلحات العلمية والدينية والفكرية، لاسيما في مجالات العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية، حيث يهدف إلى تحليل المفاهيم المستخدمة في النصوص والدراسات، واستكشاف دلالاتها وحدودها، وتتبع تطورها عبر الزمن وسياقاتها التداولية.

أولًا: تعريف المنهج التحليلي المفهومي:

المنهج التحليلي المفهومي: هو منهج علمي يُعنى بتفكيك المفاهيم والمصطلحات المركزية في موضوع البحث، من أجل الوصول إلى فهم دقيق لها، من خلال تحديد معانيها اللغوية والاصطلاحية، وسياقات استخدامها، وتحليل أبعادها المعرفية والوظيفية.

ثانيًا: خصائص المنهج التحليلي المفهومي:

1. التركيز على المفاهيم المركزية: لا يركّز على الوقائع أو السرد التاريخي، بل على البنية الدلالية للمصطلحات.
2. التفكيك والتركيب: يُفكّك المفهوم إلى عناصره الأساسية، ثم يُعيد تركيبه في صورة أكثر وضوحًا.
3. التحليل المقارن: يقارن بين استخدامات المفهوم في السياقات المتعددة.
4. السياقية: يدرس المفهوم ضمن السياق المعرفي والثقافي الذي ورد فيه.
5. الربط بين المفاهيم: يُظهر العلاقات المفهومية بين المصطلحات المتقاربة أو المتعارضة.

ثالثًا: أدوات المنهج التحليلي المفهومي:

1. التحليل المعجمي: الرجوع إلى المعاجم اللغوية لفهم الجذر والمعاني الأصلية.
2. التحليل الاصطلاحي: تتبع استعمال المفهوم في المصادر المتخصصة.
3. التاريخ الدلالي: تتبع تطور المصطلح عبر العصور والمدارس المختلفة.
4. التحليل المقارن: مقارنة المفهوم بمفاهيم أخرى ذات صلة أو متقاربة.
5. استخلاص التعريف الإجرائي: تقديم تعريف مناسب للسياق البحثي المعتمد.

رابعًا: توظيف المنهج التحليلي المفهومي في هذا البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي المفهومي في تحليل المصطلحات المحورية المرتبطة بكتب الأربعينات الحديثية، في كلٍّ من السياق الصوفي والسياق العلمي، وذلك من خلال:

1. تحليل المفاهيم التأسيسية

تم تحليل عدد من المفاهيم المركزية في البحث من حيث:

- الأصل اللغوي.
- الاستعمال الاصطلاحي في العلوم المختلفة (الحديث، التصوف، التربية...).
- التحولات التاريخية في دلالة المفهوم.

ومن أبرز المفاهيم التي تم تحليلها: السنة النبوية، الأربعينات، التصوف، السلوك، المقام، الذوق، التربية الصوفية، الصناعة الحديثية، الإخلاص، التزكية، الشرح الإشاري.

2. التمييز بين المفاهيم المتقاربة

سعى البحث إلى توضيح الفروق الدقيقة بين المفاهيم المتشابهة أو الملتبسة في الاستعمال، مثل:

- الفرق بين التصوف والزهد.
- الفرق بين الشرح التحليلي والشرح الذوقي.
- الفرق بين المقام والحال في الأدبيات الصوفية.

3. الكشف عن البنية المفهومية للمدارس المختلفة

أبرز هذا المنهج تباين البنى المفهومية بين المدرستين:

- المدرسة الصوفية التي تتبنى مصطلحات ذات طابع ذوقي وتربوي.
- المدرسة الحديثية التي ترتكز على مفاهيم التحقيق والضبط.

وقد ساهم هذا التحليل في رسم خريطة معرفية دقيقة لتوجهات المؤلفين في كتب الأربعينات، ونقد كيفية توظيفهم للمصطلحات في ضوء المقاصد التأليفية.

خامسًا: أهمية المنهج التحليلي المفهومي:

تبرز أهمية هذا المنهج في:

- الوصول إلى فهم دقيق ومنضبط للمفاهيم المركزية.
- تفادي الخلط الاصطلاحي، خاصة مع تداخل التخصصات وتعدد السياقات.

- بناء قاعدة معرفية واضحة تنظم المادة العلمية وتوجّه الاستنتاجات.
- دعم التحليل المقارن والتقويم المنهجي لاتجاهات التأليف والشرح.

الفصل الثالث: الإجراءات التطبيقية ومصادر البيانات

بعد أن استعرض البحث الأُطر المفاهيمية والمناهج العلمية التي شكّلت الخلفية النظرية للتحليل، ثم عرض المناهج التحليلية والنقدية المتخصصة التي وُظّفت في قراءة النصوص الصوفية الحديثية، يأتي هذا الفصل لبيان الجوانب التطبيقية والإجرائية التي اعتمدها الباحث في تنفيذ دراسته ميدانيًا ومنهجيًا.

يهدف هذا الفصل إلى توضيح المسار العملي الذي سلكه البحث، بدءًا من تحديد مراحله الأساسية وخطواته المنهجية، مرورًا بتحديد المصادر المعتمدة في جمع البيانات، وانتهاءً بأدوات الجمع والتحليل التي ساعدت في استخلاص النتائج. كما يُبرز هذا الفصل الطبيعة النوعية للبحث وأدواته القائمة على التحليل النصي والمقارنة العلمية، ويشرح كيفية التعامل مع النصوص التراثية، سواء المخطوطة أو المطبوعة، في سياق علمي منضبط.

ويتضمن هذا الفصل مبحثين رئيسين:

- يتناول المبحث الأول إجراءات البحث ومراحله التطبيقية، من تحديد المشكلة وصياغة الفرضيات، إلى تحليل النصوص ومناقشة النتائج.
- ويعرض المبحث الثاني لأهم مصادر البيانات التي اعتمد عليها البحث، مع بيان أدوات جمعها، مثل القراءة التحليلية، والمقارنة الموضوعية، والتوثيق العلمي للنصوص.

وبذلك يُمثل هذا الفصل العمود الفقري للجانب العملي في البحث، حيث تتجلى فيه العلاقة بين النظرية والتطبيق، وبين التخطيط والتنفيذ، مما يُضفي على البحث طابعه العلمي المنهجي المتكامل.

المبحث الأول :إجراءات البحث ومراحله

تُعدُّ الإجراءات المنهجية في أي بحث علمي حجر الزاوية في ضمان موضوعيته ودقته؛ إذ تمثل الخطوات العملية التي تُترجم الإطار النظري إلى واقع تطبيقي، ومن ثمّ، فإن الوقوف على إجراءات البحث ومراحله يُعد ضرورة لفهم السياق الذي أُجريت فيه الدراسة، وكيفية بنائها وتحليلها، ويتناول هذا المبحث عرضًا تفصيليًا للخطوات التي سار عليها الباحث منذ اللحظة الأولى لتحديد مشكلة البحث، مرورًا بصياغة الأسئلة والفرضيات، واختيار المناهج المناسبة، وجمع المادة العلمية وتحليلها، وانتهاءً بصياغة النتائج ومناقشتها، كما يُبرز المبحث المعايير التي التزم بها الباحث لضمان أصالة العمل ودقته، من حيث التوثيق العلمي، والتحقق من مصادر المعلومات، والتدرج المنهجي في التعامل مع النصوص والبيانات، ويُظهر هذا المبحث تداخل المسارين النظري والتطبيقي في الدراسة، وكيف أُنجز البحث في ضوء منهجية علمية تراعي الخصائص الخاصة للنصوص الصوفية الحديثية، مع الحرص على الموضوعية والتحليل النقدي الرصين، ومرّ البحث بعدة مراحل منهجية متكاملة، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1. مرحلة القراءة التمهيدية:
    - تم خلالها الاطلاع الواسع على الدراسات السابقة.
    - التحقق من مدى جدّة الموضوع.
2. مرحلة جمع المصادر والمراجع: شملت النصوص التراثية المطبوعة والمخطوطة، والرسائل العلمية، والمجلات المحكمة، والفهارس.
3. مرحلة التصنيف والتبويب: تم فيها تصنيف الكتب الأربعينية وتحليلها وفق فئات موضوعية وتاريخية ومنهجية.
4. مرحلة التحليل والمقارنة: تحليل الخصائص، وربط الأنماط، واستخلاص التوجهات.
5. مرحلة التحرير والكتابة: كتابة فصول الرسالة بلغة علمية دقيقة، تربط بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

المبحث الثاني: مصادر البيانات وأدوات جمعها

تُعدُّ مصادر البيانات وأدوات جمعها من الركائز الأساسية في أي بحث علمي، إذ تُمثل المنابع التي يُستقى منها المحتوى العلمي الذي يُبنى عليه التحليل والاستنتاج، وكلما كانت هذه المصادر موثوقة ومتنوعة، وكانت أدوات الجمع دقيقة ومنهجية، ارتفعت جودة النتائج ومصداقية البحث.

وفي سياق هذه الدراسة، التي تتناول موضوعًا تراثيًا ذا طابع حديثي وصوفي، فإن طبيعة المصادر تجمع بين المخطوطات والمطبوعات، وبين المؤلفات الأصيلة والدراسات الأكاديمية الحديثة. كما أن أدوات الجمع لم تقتصر على الاستقراء النصي المباشر، بل شملت التحليل الوثائقي، والمقارنة النقدية، والتفكيك المفاهيمي.

ويهدف هذا المبحث إلى بيان طبيعة المصادر التي اعتمد عليها البحث، وتصنيفها من حيث النوع والأهمية، بالإضافة إلى توضيح الأدوات المنهجية التي استخدمها الباحث في جمع مادته العلمية. كما يتعرض المبحث لكيفية التعامل مع النصوص الصوفية الحديثية بوصفها مادة تحتاج إلى قدر عالٍ من الفهم السياقي، والتحليل الدقيق، والوعي بالخصوصيات التعبيرية والمنهجية.

أولًا :المصادر الأساسية (الأولية):

- كتب الأربعينات الحديثية (الصوفية والعلمية).
- كتب التصوف وعلوم السلوك والمقامات.
- دواوين السنة النبوية وشروحها.
- كتب الرجال والجرح والتعديل والمصطلح.

ثانيًا :المصادر الثانوية:

- الرسائل العلمية والأبحاث الحديثة.
- الموسوعات الإلكترونية (مثل الشاملة، الدرر السنية).
- الفهارس والمكتبات الرقمية.
- المجلات المحكمة المتخصصة.

ثالثًا :أدوات جمع البيانات:

- التحليل النصي المباشر.
- بطاقات تحليل المحتوى والمقارنة.
- أدوات التخريج والتحقيق.
- الموازنة المنهجية والجدولة الموضوعية.

وختاما؛ بعد استعراض الأسس المنهجية والنظرية التي انبنى عليها هذا البحث، يتبيَّن أن المنهج العلمي لم يكن مجرد إطار شكلي، بل كان أداة فاعلة في بناء الرؤية التحليلية والنقدية للدراسة. فقد تناول البابُ في فصوله الثلاثة أبرز المناهج التي وُظّفت في تتبع النشأة، وتحليل النصوص، والمقارنة بين الاتجاهات، إلى جانب الإجراءات العملية التي سارت عليها خطوات البحث.

أوضح الفصل الأول المفاهيم العلمية الأساسية، وعرّف بالمنهج التاريخي، والوصفي، والاستقرائي، وهي مناهج كُلِّية ساعدت في رسم الخلفية المنهجية العامة، أما الفصل الثاني فركّز على المناهج التحليلية المتخصصة، كالنقدي المقارن، والتحليلي المفهومي، اللذين شكّلا أداة لتفكيك النصوص الصوفية الحديثية وفهمها في ضوء المعايير العلمية، ثم جاء الفصل الثالث ليعرض الإجراءات التطبيقية، من مراحل البحث، إلى مصادر البيانات، وأدوات جمعها، مما أضفى على الدراسة صبغة منهجية متكاملة تجمع بين التأصيل النظري والدقة التطبيقية.

وبذلك يُمهِّد هذا الباب الطريق للفصول القادمة، التي ستُعالج المادة العلمية ذاتها، من خلال تطبيق هذه المناهج والإجراءات على النصوص المختارة، بما يحقق أهداف البحث ويفتح آفاقًا جديدة في دراسة الأربعينات الصوفية الحديثية بمنظور علمي منهجي.

الباب الثالث

كتب الأربعينات الحديثية في السياق المعرفي للسنة النبوية: دراسة في المفهوم والنشأة والمناهج

تُعَدُّ كتب الأربعينات الحديثية ظاهرة متميزة في التراث الإسلامي، حيث برزت بوصفها نمطًا تأليفيًا اختص بجمع عدد محدد من الأحاديث، غالبًا أربعين حديثًا، يدور موضوعها حول مقصد معرفي أو خلقي أو تعبدي، وقد شهد هذا النمط ازدهارًا خاصًا في عصور مختلفة من التاريخ الإسلامي، نتيجة دوافع علمية وتربوية وروحية، جعلت من هذه المصنفات وسيلة محببة لحفظ السنة النبوية ونشرها في الأوساط العلمية والعامة على السواء، ولم تكن هذه المصنفات مجرَّد تجميع عددي، بل اتسمت بمنهجية دقيقة واختيارات واعية تعبّر عن التوجهات الفكرية والمدارس الحديثية والفقهية، بل والتربوية والصوفية لأصحابها. فبعضها أُلِّف لإحياء السنن المهجورة، وبعضها لخدمة مقاصد الشريعة، وبعضها لتقريب السنة إلى العامة بأسلوب تربوي، وبعضها الآخر لخدمة طريق السلوك والتزكية عند الصوفية، وفي سياق تطور علم الحديث، يمكن قراءة هذه الكتب الأربعينية كنافذة تكشف تحولات النسق المعرفي المرتبط بالسنة النبوية، من حيث غايات التدوين، وأنماط الترتيب، وأدوات الشرح، ومقاصد التعليم. كما تتيح دراسة هذه المصنفات فَهْمًا أعمق للكيفية التي تم بها توظيف الحديث النبوي لخدمة البناء العلمي والتربوي للمجتمع المسلم، وإن هذا الباب يسعى إلى مقاربة كتب الأربعينات الحديثية من زاوية علمية تحليلية، عبر تتبع مفهومها، واستجلاء مراحل نشأتها، واستكشاف مناهج تأليفها، مع إبراز السياق المعرفي الذي احتضن هذه الظاهرة، تأثرًا وتأثيرًا، في تكوين الوعي السنّي والتربوي للمسلمين.

تمهيد:

تأسيس المعرفة الحديثية بالسنة النبوية

المطلب الأول :تعريف السنة النبوية لغة:

السنة في اللغة: هي الطريقة المحمودة المستقيمة. [10]

أو هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ سَنَنْتُ الشَّيْءَ بِالْمِسَنِّ إِذَا أَمْرَرْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِيهِ سَنًّا أَيْ :طَرِيقًا، وَقَالَ الْكِسَائِيُّ :مَعْنَاهَا الدَّوَامُ فَقَوْلُنَا: سُنَّةٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِالْإِدَامَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَنْتَ الْمَاءَ إِذَا وَالَيْتَ فِي صَبِّهِ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَصْلُهَا الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ، فَإِذَا أُطْلِقَتِ انْصَرَفَتْ إِلَيْهَا، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا مُقَيَّدَةً، وَقِيلَ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُعْتَادَةُ، سَوَاءٌ كَانَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً. [11]

المطلب الثاني: تعريف السنة النبوية في اصطلاح المحدثين:

قالوا: السنة هي كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلُقية، أو خِلْقية، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام، سواء كان ذلك قبل البعثة أن بعدها، وسواء تعلق به حكم شرعي أم لا.

وزاد المحققون: ما أضيف إلى الصحابة والتابعين كذلك من أقوال، و أفعال، وتَقْريرَات، تتعلق بالدين. [12]

فالقول: يشمل جميع أقوال النبي ﷺ التي نُقلت عنه، سواء كانت في مجال العقيدة أو الأحكام أو الآداب أو غير ذلك.

والفعل: يشمل جميع أفعال النبي ﷺ التي نُقلت عنه، سواء كانت في مجال العبادات أو المعاملات أو غير ذلك.

والتقرير: يشمل كل ما أقره النبي ﷺ من أقوال أو أفعال صدرت عن الصحابة في حضرته، ولم ينكرها.

---

[10] ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي. **لسان العرب،** (بيروت: دار صادر 1414هـ) ج13، ص226.

[11] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،** تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، (دمشق: دار الكتاب العربي1419هـ) ج1، ص91

[12] أحمد معبد عبد الكريم. **الحافظ العراقي وأثره في السنة،** (الرياض: مكتبة أضواء السلف1425هـ)،ج 1، ص27.

والصفة الخُلقية :تشمل الصفات المعنوية التي اتصف بها النبي ﷺ مثل الصدق والأمانة والشجاعة والكرم.

والصفة الخَلقية: تشمل الصفات الجسمانية التي اتصف بها النبي ﷺ مثل طوله ولون بشرته وشعره.

والسيرة: تشمل جميع جوانب حياة النبي ﷺ من ولادته إلى وفاته.

المطلب الثالث: تعريف السنة النبوية في اصطلاح الفقهاء:

هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب. [13]

فالسُّنَّةُ في الاصطلاح الفقهي تطلق على ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما لم يكن على جهة الإيجاب أو الفرض، فهي تُعبِّر عن الطريقة المتبعة في الدين مما ليس بواجب، وتُقابل الفرض أو الواجب في مرتبة الحكم الشرعي التكليفي، وقد يُعبَّر عنها بألفاظ مترادفة عند جمهور الفقهاء مثل: المندوب، والمستحب، والتطوع، والنفل، مع وجود فروق دقيقة بين هذه المصطلحات في اصطلاح بعضهم. ويقابل هذا النوع من السنة، من حيث الحكم، ما يُعرف بالبدعة، كما في قولهم: "طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا"، أي ما وافق هدي النبي ﷺ في الفعل، وما خالفه.

وقد اعتنى الفقهاء في هذا السياق بتتبع أفعال النبي ﷺ وأقواله التي تفيد الاستحباب أو الندب، واستنباط الأحكام الشرعية منها، باعتبارها دليلاً شرعيًّا معتبرًا دون أن تبلغ مرتبة الإلزام.

المطلب الرابع: تعريف السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين:

السنة في اصطلاح الأصوليين: تطلق على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي عليه السلام وقد تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان هاهنا، ويدخل في ذلك أقوال النبي عليه السلام، وأفعاله وتقاريره. [14]

وباختصار: هي ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير. [15]

---

[13] محمد عجاج الخطيب، **السنة قبل التدوين**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، صـ17

[14] الآمدي، أبو الحسن، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي، (الرياض: مؤسسة النو١٣٨٧ هـ)ج1، ص169

[15] الشيخ عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**، ص36

المطلب الخامس: تباين تعريف السنة بين المحدثين والفقهاء والأصوليين:

اختلفت تعريفات "السنة" باختلاف التخصصات العلمية للمشتغلين بها، إذ نظر كل فريق من العلماء إلى السنة من الزاوية التي تخدم مقصده في العلم، مما أدى إلى تنوع في التعريفات الاصطلاحية، دون تعارض في الجوهر، بل من باب التكميل والتكامل.

1. فعند المحدثين: تُطلق "السنة" على كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، فهم ينظرون إلى النبي ﷺ بوصفه قدوة كاملة، ويُعْنَون بجمع كل ما يتصل به، من أقواله وأفعاله وسيرته، وحركاته وسكناته، لذا جاء تعريفهم أشمل وأوسع.
2. أما عند الفقهاء: فالسنة تُطلق على ما ثبت عن النبي ﷺ مما ليس فرضًا ولا واجبًا، ويُقصد بها في اصطلاحهم الحكم الشرعي الذي يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه، كالمندوب والمستحب. فهم ينظرون إلى السنة من جهة الحكم والتكليف، أي في مقابل الفرض والمكروه.
3. وأما عند الأصوليين: فالسنة تُعرَّف بأنها ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما يُعد دليلًا شرعيًّا على الأحكام، أي أنها عندهم مصدر من مصادر التشريع، يُحتج به ويُستدل به، بعد القرآن الكريم.

الخلاصة المنهجية:

1. المحدثون: يُعنون بالرواية والنقل والتوثيق.
2. الأصوليون: يُعنون بالاستدلال والتقعيد التشريعي.
3. الفقهاء: يُعنون بالتطبيق واستخراج الأحكام العملية.

ولهذا، فإن تعريف المحدثين هو الأشمل من حيث المادة والرواية، بينما تعريف الأصوليين والفقهاء أدق في الجانب التشريعي والتكليفي.

الفصل الأول: نشأة التأليف في كتب الأربعينات الحديثية وتطوره
المبحث الأول: المفاهيم والنشأة

المطلب الأول: تعريف الأربعينات لغة واصطلاحًا:

أولا: تعريف الأربعينات الحديثية لغة:

الأربعينات لغة: مفردها الأربعين، وهو عدد معروف مأخوذة من العدد أربعة، فالراء والباء والعين أصول ثلاثة، أحدها جزء من أربعة أشياء وهو المراد هنا، والآخر الإقامة، والثالث الإشالة والرفع، فأما الأول فالربع من الشيء،يقال: ربعت القوم أربعهم، إذا أخذت ربع أموالهم، وربعتهم أربعهم، إذا كنت لهم رابع[16]، فالأربعون في اللغة يراد بها هنا العدد المعروف المكون من أربع عشرات .

ثانيا: تعريف الأربعينات الحديثية اصطلاحا: هي مؤلفات حديثية، صغيرة الحجم حيث يشتمل كل منها على أربعين حديثا، أو أزيد قليلا، مع تنوع مقاصد ومناهج مؤلفيها، من حيث السند أو المتن أو كليهما. [17]

وقد تتخذ هذه الكتب طابعًا تربويًا، أو فقهيًا، أو عقديًا، أو وعظيًا، وتُصنَّف أحيانًا في موضوع معين، أو تُنتقى على معيار مشترك بين الرواة أو الصحابة أو الشيوخ.

ثالثا: الأربعينات الحديثية في التصوف: هي مؤلفات تُعنى بجمع أحاديث نبوية تُوظَّف في الاستدلال على أخلاق الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم السلوكية، وتُبرز الأبعاد الروحية والتربوية في المنهج الصوفي.

ويختلف منهج التأليف فيها، فقد:

1. يُجمَع فيها أربعون حديثًا نبويًا متعلقًا بالتصوف.
2. أو تُقسَّم إلى أربعين بابًا يتناول كل باب منها خلقًا أو مقامًا أو حالًا من أحوال السالكين.
3. أو تُبنى على روايات منقولة عن أربعين شيخًا من شيوخ التصوف.
4. وقد يزيد عدد الروايات أو الأبواب على الأربعين حسب اجتهاد المصنف.

وتُعدّ هذه الكتب من مظاهر الجمع بين علم الحديث والتصوف، حيث تعكس حرص المتصوفة على تأصيل مسلكهم بالسنّة النبوية

المطلب الثاني: نشأة التأليف في كتب الأربعينات الحديثية وتطوره:

---

[16] القزويني، أحمد بن زكريا الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر1399هـ) جـ2، صـ 479

[17] أحمد معبد عبد الكريم، **الحافظ العراقي وأثره في السنة**، جـ 5، صـ 1928

لقد بدأ التأليف في كتب الأربعينات الحديثية منذ وقت مبكر من العصور الإسلامية، وتطور مع مرور القرون في الشكل والمضمون، حتى أصبح نمطًا مميزًا في المكتبة الحديثية الإسلامية. ويمكن تتبع هذا التطور عبر المراحل التالية:

أ. القرن الثاني الهجري: البدايات الأولى للتصنيف:

يُعد القرن الثاني الهجري نقطة الانطلاق الأولى في تأليف كتب الأربعينات، حيث يُنسب أول تصنيف في هذا الباب إلى الإمام عبد الله بن المبارك (ت:181هـ).[18]

وقد اتّسم عمله حينئذٍ بسرد الأحاديث دون تبويب أو ترتيب موضوعي، مما يدل على بساطة البناء في المرحلة التأسيسية لهذا النمط التصنيفي.

ب. القرن الثالث الهجري: الانتقال إلى التبويب الفقهي:

في القرن الثالث، شهدت كتب الأربعينات تطورًا في منهج التأليف، حيث بدأ التبويب على الطريقة الفقهية، أي تصنيف الأحاديث حسب الموضوعات الفقهية أو الموضوعات العامة، ومن أوائل من سلك هذا النهج الإمام محمد بن أسلم الطوسي (ت: 242هـ)، الذي ألّف كتابًا في الأربعين على هذا النحو، ممهدًا بذلك لمرحلة أكثر تنظيمًا في التأليف الأربعيني.

ج. القرن الرابع الهجري: بداية الشروح والعصر الذهبي للتأليف:

يُعد القرن الرابع مع القرن الخامس الهجريين العصر الذهبي لكتب الأربعينات الحديثية، إذ تكاثر فيهما التأليف وازداد تنوع الكتب ومجالاتها، ومن أبرز معالم هذا العصر: بدء شروح كتب الأربعينات، كما فعل أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: 360هـ) في كتابه الأربعين التي حث النبي ﷺ على حفظها، حيث جمعها وشرحها وبيّن معانيها، ما يعكس وعيًا متزايدًا بضرورة تيسير السنة وفهمها.

د. القرن الخامس والسادس الهجريين: العناية بالصناعة الحديثية والتخريج:

في هذين القرنين ظهر اتجاه جديد في التأليف الأربعيني، يتمثل في الاعتناء بصنعة الحديث تخريجًا ودراسةً للأسانيد، ولم تعد الكتب تكتفي بجمع الأحاديث بل أضيف إليها التحقيق العلمي الحديثي.

ومن أبرز من خدم هذا الاتجاه:

---

[18] البكري، صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد، **كتاب الأربعين حديثا**، تحقيق: محمد محفوظ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1400هـ) صـ24؛ الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السن المشرفة**، تحقيق :محمد المنتصر(بيروت: دارالبشائر الإسلامية1421هـ) صـ102.

1. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ) في كتابه الأربعين الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله وأخلاقهم.
2. الإمام محمد بن الفضل الصاعدي الفُراوي (ت: 530هـ) في كتابه الأربعين من المساواة، وقد جمع فيها أحاديث اشتركت في السند بين الأئمة الخمسة: البخاري، مسلم، أبو داود، الترمذي، والنسائي.
3. الحافظ علي بن عساكر (ت: 571هـ) الذي ألّف أربعين حديثًا لأربعين شيخًا من أربعين بلدة.
4. أبو طاهر أحمد بن السِّلفي (ت: 576هـ) في كتابه الأربعين البلدانية، المسمى الأربعين المستغنى بما فيها عن المعين.

ويُلاحظ أن بعض هذه الكتب مزج بين المنهج الجغرافي (كما في الأربعين البلدانية) ومنهج الرواية بالسند، مما أضفى طابعًا توثيقيًا وعلميًا مميزًا، و تُعدّ الأربعينات البلدانية أحد أنواع التصنيف في كتب الأربعينات الحديثية، وهي مصنفات يُلتزم فيها بأن يُروى أربعون حديثًا، كلّ واحد منها عن أربعين شيخًا، كلّ شيخ منهم من بلد مختلف، أي أن كل حديث يُسند إلى راوٍ من مدينة أو بلدة مختلفة عن الأخرى.

وقد عرّفها العلماء بأنها: مجموعة من الأحاديث يُجمع كل منها عن شيخ من شيوخ الحديث، شرط أن يكون كل شيخ من بلد مختلف، وقد يُذكر اسم البلدة التي ورد فيها الحديث، سواء كان الراوي من أهلها أو من الوافدين إليها. [19]

ويمتاز هذا النوع من التأليف بخصوصية شرط تنوّع البلدان، الذي اعتُبر قيدًا أساسيًا في هذا الباب، وقد يضيف بعض المؤلفين شروطًا أخرى، مثل أن يكون جميع الشيوخ ثقاتًا، أو أن تكون الأحاديث على نسق موضوعي معين، كما يظهر في بعض المصنفات المتأخرة، ورغم فرادة هذا النوع من كتب الأربعينات، إلا أنه لم يشتهر انتشارًا واسعًا كغيره من أنماط التأليف الأربعيني، والسبب في ذلك أن تحقيق شرط اتساع الرحلة والتنقل بين البلدان المختلفة ليس ميسورًا لكل العلماء، بل يتطلب جهدًا كبيرًا وتفرغًا وسعة وقت ومال، ولذلك اقتصر تصنيفه على بعض الحفّاظ الكبار الذين عُرفوا بكثرة الترحال، ويُعد السِّلفي أول من صنّف في البلدانيات، وكتابه مشهور في هذا الباب.

وقد صار هذا النمط من التصنيف مظهرًا من مظاهر الرحلة في طلب الحديث، ووسيلةً لإبراز سعة التحمل، وتعدد المشايخ، وتنوع الأسانيد، مما يُضفي على الكتاب قيمة علمية وسندية فريدة.

هـ. استمرار التأليف إلى العصر الحديث:

---

[19] البكري، صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد، **كتاب البلدانيات**، تحقيق: محمد الزاهي، (بيروت : دار الكتب العلمية1441هـ) مقدمة المحقق صـ 8

لم يتوقف التأليف في هذا الباب عند العصور المتقدمة، بل استمر حتى العصر الحديث، حيث أُلفت عشرات الكتب المعاصرة على نمط الأربعين، بأساليب حديثة أحيانًا، ووفق أغراض متنوعة، تربوية وعلمية وروحية.

وقد صرّح الباحث سهل بن رفاعي العود في مقدمة كتابه المعين على معرفة كتب الأربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ، أن عدد كتب الأربعينات الحديثية بلغ أكثر من خمسمائة كتاب، تتنوع بين ما هو مخطوط ومطبوع ومفقود، مما يدل على اتساع هذا اللون من التصنيف، ودوامه في وجدان علماء الأمة وطلاب العلم.

المطلب الثالث: نماذج من كتب الأربعينات الحديثية:

أولاً: مصنفات الأربعينات الحديثية المطبوعة:[20]

أ- من القرن الثاني الهجري:

كتاب الأربعين – تأليف: الإمام عبد الله بن المبارك (ت: 181هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد بن محمد حسن بخاري، طبع ضمن كتاب: الإمام عبد الله بن المبارك المروزي المحدث الناقد (صـ186–200) مكتبة الرشد.

وعدد أحاديثه المطبوعة: سبعة عشر فقط، والباقي مفقود.

[20] مصطفى عمارمنلا، **معجم ما طبع من كتب السنة**، (المدينة المنورة :دار البخاري للنشر والتوزيع 1417هـ) صـ15-22. محمد خير رمضان، **المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف**، (الرياض: مكتبة الرشد 1423هـ) جـ1، صـ 1091

محي الدين عطية، وصلاح الدين حفني، ومحمد خير رمضان، **دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة**، (بيروت، دار ابن حزم1416هـ) جـ1، صـ 659

ب- مصنفات من القرن الثالث الهجري:

يُعدّ القرن الثالث الهجري مرحلة انتقالية في تأصيل منهج التأليف في الأربعينات، حيث بدأت تظهر فيه مصنفات حديثية مرتبة على طريقة الأبواب الفقهية أو ذات طابع موضوعي أولي. ومن أبرز ما وصل إلينا من هذا القرن:

1. كتاب الأربعين
   - المؤلف: الإمام محمد بن أسلم الطوسي (ت: 242هـ)
   - الوصف: يُعد من أقدم ما صُنّف على طريقة الأربعين، وهو أول من رتّب الأحاديث على الأبواب الفقهية، بخلاف مَن قبله ممن كان يسردها سردًا.
   - التحقيق: مشعل المطيري
   - الناشر: دار ابن حزم، بيروت1421هـ.
2. كتاب الأربعين
   - المؤلف: أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي (ت: 303هـ)
   - الوصف: مصنَّف حديثي مستقل جمع فيه أربعين حديثًا، أغلبها في فضائل الأعمال، ويظهر فيه اهتمام مبكر بانتقاء الأحاديث ذات السند القوي.
   - التحقيق: محمد ناصر العجمي
   - الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت1414هـ.

ملاحظات علمية:

1. يلاحظ في هذه المرحلة أن المصنفين بدأوا يتجاوزون مجرد الجمع العددي للأحاديث، إلى الترتيب الموضوعي والانتقاء السندي.
2. المصنفات الأربعينية في هذا القرن كانت غالبًا صغيرة الحجم، لكنها مهدت لظهور التنوع المنهجي في القرون اللاحقة.

ج- مصنفات من القرن الرابع الهجري:

شهد القرن الرابع الهجري ازدهارًا ملحوظًا في التأليف في كتب الأربعينات، حيث بدأ الاتجاه نحو تنويع موضوعات الأربعين الحديثية، وظهر الاهتمام بالتفسير والشرح، مع تمايز في المقاصد بين الوعظ والفقه والحديث المحض. ومن أبرز مصنفات هذا القرن ما يلي:

1. كتاب الأربعين التي حثّ النبي ﷺ على حفظها
   - المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرّي (ت: 360هـ)
   - الوصف: جمع فيه أربعين حديثًا مما ورد في الحث على طلب العلم، والتخلق بأخلاق الإسلام، مع ميل إلى الشرح والتفسير، وهو من أوائل الشروح الأربعينية.
   - التحقيق: محمود النقراشي السيد علي
   - الناشر: مكتبة دار العليان، 1407هـ.
2. كتاب الأربعين
   - المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ (ت: 381هـ)
   - الوصف: ضم أربعين حديثًا بأسانيده، مرتبة وفق اختيار المؤلف، ويُعد من المصنفات التي تُظهر بداية العناية بالسند والاختيار الخاص.
   - التحقيق: محمد زياد عمر تكلة
   - الناشر: مكتبة العبيكان، 1421هـ.
3. أربعون حديثًا من مسند بريد بن عبد الله عن جده أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
   - المؤلف: الحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت: 385هـ)
   - الوصف: اختص فيه المؤلف بجمع أربعين حديثًا مما رواه بريد بن عبد الله عن جده أبي موسى الأشعري، في توجه مبكر نحو الجمع على أساس الراوي.
   - التحقيق: محمد بن عبد الكريم بن عبيد
   - الناشر: جامعة أم القرى، 1420هـ.

د- مصنفات من القرن الخامس الهجري:

يمثل القرن الخامس الهجري نقطة تحوّل بارزة في مسار التأليف في كتب الأربعينات الحديثية، حيث بدأت تظهر أنماط موضوعية متنوعة: ككتب الأربعين في التصوف، وفي الأخلاق، والمعاملة، والتوحيد، مع بروز المنهج النقدي الحديثي في تخريج الأحاديث والاعتناء بالأسانيد، ومن أبرز تلك المصنفات:

1. كتاب الأربعين في التصوف
   - المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي (ت: 412هـ)
   - الوصف: يُعد من أوائل ما كُتب في الأربعينات الصوفية، ويحتوي على أحاديث منتقاة تتعلّق بمقام السلوك وأحوال المتصوفة.
   - الناشر :حيدر آباد – الهند، 1401هـ (طباعة قديمة ضمن مجموعة رسائل)
2. كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية
   - المؤلف: أبو سعيد الماليني (ت: 412هـ)
   - الوصف: خصّصه لجمع أربعين حديثًا عن شيوخ التصوف وأقوالهم وأحوالهم، مع ترتيب يظهر الأثر الصوفي العرفاني.
   - التحقيق :عامر حسن صبري
   - الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ.
3. كتاب الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية
   - المؤلف: أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 430هـ)
   - الوصف: يبرز هذا الكتاب انخراط المحدّثين في خدمة المدارس الصوفية من خلال الحديث، ويركّز على أخلاق "التحقق" والصفاء.
   - التحقيق: بدر بن عبد الله البدر
   - الناشر: دار ابن حزم، بيروت، 1414هـ.
4. كتاب الأربعين الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله وأخلاقهم
   - المؤلف: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ(
   - الوصف: من أوائل كتب الأربعين التي جمعت بين المتن والسند والتخريج، واهتمت بالصناعة الحديثية الدقيقة.

- التحقيق: محمد نور المراغي (رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ونُشر لاحقًا بتحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول
- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.

5. كتاب الأربعين في تصحيح المعاملة

- المؤلف: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري (ت: 465هـ)
- الوصف: يجمع أربعين حديثًا تؤسس لمفهوم المعاملة في التصوف، أي تهذيب النفس ومراعاة الآداب الشرعية.
- التحقيق :السيد أبو عِمَّه
- الناشر: دار الصحابة، طنطا، 1413هـ.

6. كتاب الأربعين في دلائل التوحيد

- المؤلف: عبد الله بن محمد الهَرَوي (ت: 481هـ)
- الوصف: يحتوي على أحاديث تُثبت توحيد الله تعالى من خلال نصوص مختارة بعناية.
- التحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
- الناشر: المدينة المنورة، 1404هـ.

7. كتاب الأربعين

- المؤلف: الإمام الحافظ القاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني (ت: 489هـ)
- الوصف: يضم أربعين حديثًا، ويظهر فيه الحس الانتقائي من حيث السند وقوة الإسناد.
- التحقيق: مشعل المطيري
- الناشر: دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ.

هـ- مصنفات من القرن السادس الهجري:

في القرن السادس الهجري استمر ازدهار التأليف في كتب الأربعينات الحديثية، وبرزت فيه أنماطٌ جديدة كالجمع على أساس "المساواة في الإسناد"، أو "البلد"، أو "الصحابي"، أو "الشيخ"، مع ملاحظة حضور واضح للصناعة الحديثية والمقاصد التعليمية والروحية. ومن أبرز المصنفات ما يلي:

1. كتاب الأربعين حديثًا من المساواة مستخرجة عن ثقات الرواة[21]

- المؤلف: الإمام محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي الفُراوي (ت: 530هـ)
- الوصف: جمع فيه أربعين حديثًا مما ساوى في سنده بين الأئمة الخمسة: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، أو أحدهم.
- التخريج: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت: 571هـ)
- التحقيق: أبو علي طه بو سريح
- الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ.

2. كتاب الأربعين المخرجة عن أربعين صحابيًا في أربعين بابًا من أبواب الدين وشرائع الإسلام

- المؤلف :أبو سعد محمد بن يحيى بن منصور الشافعي النيسابوري (ت: 548هـ)
- التحقيق: قاسم بن محمد قاسم ضاهر
- الناشر: دار البشائر، بيروت، 1435هـ.

3. كتاب أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا عن أربعين صحابيًا

- المؤلف: الحافظ عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشحامي (ت: 549هـ)
- التحقيق: أبو عبد الرحمن بن عيسى الباتني
- الناشر: دار الهدي، الجزائر، 1420هـ.

---

[21] أبو عبد الله الوادي آشي الأندلسي، شمس الدين محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق: محمد محفوظ، (بيروت، دار المغرب الإسلامي1400هـ) صـ285.

4. كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين
   - المؤلف: أبو الفتوح محمد بن محمد الطائي (ت: 555هـ)
   - التحقيق: علي حسين البواب
   - الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، 1417هـ.
5. كتاب أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا في أربعين معنى وفضيلة
   - المؤلف: أبو بكر أحمد الكرخي (ت: 563هـ)
   - التحقيق: صلاح عايض الشلاحي
   - الناشر: دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ.
6. كتاب أربعين حديثًا لأربعين شيخًا من أربعين بلدة
   - المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت: 571هـ)
   - التحقيق: مصطفى عاشور (ط)، ومحمد مطيع الحافظ (ط)
   - الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة، 1989م / مركز جمعة الماجد، دبي، 1413هـ.
7. كتاب الأربعين البلدانية (المسمى: الأربعين المستغنى بما فيها عن المعين)
   - المؤلف: أبو طاهر أحمد بن السِّلفي (ت: 576هـ)
   - التحقيق: عبد الله رابح
   - الناشر: دار البيروتي، دمشق، 1412هـ.
8. كتاب الأربعين من مسانيد المشايخ العشرين عن الأصحاب الأربعين
   - المؤلف :أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أبي نصر سبط القشيري (ت: 600هـ)
   - التحقيق: بدر بن عبد الله البدر
   - الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1420هـ.

و- مصنفات من القرن السابع الهجري:

في القرن السابع الهجري بلغت كتب الأربعينات الحديثية درجة من الترتيب المنهجي والتنوع الموضوعي، فظهر فيها التقسيم الطبقي، والمقاصد التعبدية والجهادية، والاهتمام بشخصيات السند، وبرز حضور المؤلفات النسائية والصحابية. ومن أبرز ما أُلّف:

1. كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين
   - المؤلف: شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي الإسكندراني المالكي (ت: 611هـ)
   - التحقيق: محمد سالم بن محمد بن جمعان العبادي
   - الناشر: مكتبة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1413هـ.
2. كتاب الأربعين عن المشايخ الأربعين عن أربعين صحابيًا وصحابية
   - المؤلف: أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي (ت: 617هـ)
   - التحقيق:عمار حسن صبري
   - الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1418هـ.
3. كتاب الأربعين في الجهاد والمجاهدين
   - المؤلف: أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن المقرئ (ت: 618هـ)
   - التحقيق: بدر بن عبد الله البدر
   - الناشر: دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ.
4. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين
   - المؤلف: أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عساكر (ت: 620هـ)
   - التحقيق: محمد مطيع الحافظ
   - الناشر: دار الفكر، دمشق، 1406هـ.
5. كتاب الأربعين حديثًا الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها
   - المؤلف: عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، المعروف بالموفَّق (ت: 629هـ)
   - الشارح: محمد بن يوسف البرازلي (ت: 636هـ)
   - النشر: مجلة معهد المخطوطات العربية، 1972م – ثم: تحقيق كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1405هـ.
6. كتاب أربعين حديثًا في اصطناع المعروف
   - المؤلف: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت: 656هـ)
   - الشرح: عبد الرحمن الثعالبي (ت: 875هـ)
   - النشر: وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، 1382هـ

7. كتاب الأربعين حديثًا
   - المؤلف: صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد الصدر البكري (ت: 656هـ)
   - التحقيق: محمد محفوظ
   - الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1400هـ.
8. كتاب الأربعين النووية
   - المؤلف: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)
   - التحقيق: خالد البيطار
   - الناشر: مكتبة المنار، عمّان، 1407هـ.
   - الوصف: أشهر كتب الأربعينات على الإطلاق، حظي بعناية وشرح يفوق سائر ما كتب في هذا الفن.

ز ـ مصنفات من القرن الثامن الهجري وما بعده:

شهد القرن الثامن الهجري وما بعده تنوعًا في موضوعات الأربعينات واتساعًا في أغراضها التربوية والطبية والعقدية والروحية، وبرز التأليف عند علماء كبار كابن تيمية، والذهبي، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم. ومن أبرز المصنفات:

1. كتاب أربعين بابًا في الطب من الأحاديث الصحاح والحسان
   - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي (ت: 709هـ)
   - التحقيق: علي رضا عبد الله، وأحمد البزرة
   - الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1405هـ.
2. كتاب الأربعين
   - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: 728هـ)
   - التحقيق: أحمد إبراهيم الحاج
   - الناشر: مؤسسة الريان، بيروت، 1418هـ.
3. كتاب الأربعين في صفات رب العالمين
   - المؤلف: شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)
   - التحقيق: عبد القادر بن محمد عطا صوفي
   - الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1413هـ.
4. كتاب الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين
   - المؤلف: صلاح الدين خليل العلائي (ت: 761هـ)
   - التحقيق: مشهور آل سلمان
   - الناشر: الدار الأثرية، 1429هـ.

5. كتاب الأربعين العشارية
   - المؤلف: الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: 806هـ)
   - التحقيق: بدر بن عبد الله البدر
   - الناشر: دار ابن حزم، بيروت، 1413هـ.
6. كتاب الأربعين المتباينة
   - المؤلف: أبو الطيب تقي الدين محمد الحسني المالكي (ت: 832هـ)
   - التحقيق: محمد بن إبراهيم الحسين
   - الناشر: دار البشائر، بيروت، 1432هـ.
7. كتاب الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع
   - المؤلف: الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)
   - التحقيق: محمد صلاح الدين مقبول أحمد
   - الناشر: الدار السلفية، الكويت، 1408هـ.
8. كتاب أربعين حديثًا في فضل الجهاد
   - المؤلف: جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)
   - التحقيق: مرزوق علي إبراهيم
   - الناشر: دار الاعتصام، القاهرة، 1988م.
9. كتاب الأربعين في فضل الرحمة والراحمين
   - المؤلف: شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي (ت: 953هـ)
   - التحقيق: السيد أبو عِمَّه
   - الناشر: دار الصحابة، طنطا، 1412هـ.
10. كتاب أربعين حديثًا في فضل سورة الإخلاص
   - المؤلف: يوسف بن عبد الله الأرميوني (ت: 958هـ)
   - التحقيق: طارق الطنطاوي
   - الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة، 1411هـ.
11. كتاب أربعين حديثًا في فضل القرآن
   - المؤلف: ملا علي سلطان محمد الهروي (ت: 1014هـ)
   - التحقيق: أبو عمار مراد بن عبد الله
   - الناشر: دار عمار، القاهرة، 1411هـ.
12. كتاب عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثًا من أحاديث سيد المرسلين ﷺ
   - المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت: 1162هـ)
   - التحقيق: محمد مطيع الحافظ
   - الناشر: دار البشائر، بيروت، 1417هـ.
13. كتاب الأربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ
   - المؤلف: يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: 1350هـ)
   - الناشر: مطبعة صبرا، بيروت، 1329هـ.

14. كتاب المختار من كنوز السنة: شرح أربعين حديثًا في أصول الدين
   - المؤلف: أ.د. محمد عبد الله دِرَاز (ت: 1377هـ)
   - الناشر: مطبعة محمد هاشم الكتبي، دمشق، 1397هـ.
15. كتاب الأربعين البلدانية
   - المؤلف: محمد بن ياسين الفاداني، مسند العصر (ت: 1410هـ)
   - الناشر: طبع لأول مرة سنة 1364هـ، ثم أعادت نشره دار البشائر، 1407هـ.

ثانيًا: الكتب المصنفة في الأربعينات الحديثية (المخطوطة)

1. كتاب أحاديث الأربعين

المؤلف: أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد، الصوفي، الأصبهاني (ت: 418هـ)

الراوي: أبو مطيع محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصري (ت: 497هـ)

النسخ: بخط الحافظ عبد الغني المقدسي (ت: 600هـ)

عدد الأوراق: 8 (192–197)

المصدر: مخطوطات المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، دمشق – مجموع رقم (3792 مجاميع 56). [22]

2. كتاب الأربعين المستخرجة من الصحاح من روايات المحمدين

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي (ت: 530هـ)

المُخرج: أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد الطبسي (ت: 537هـ)

عدد الأوراق: 12 (164–175)

المصدر: مخطوطات المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، دمشق مجموع رقم (3797 مجاميع 61).[23]

3. كتاب الأربعين من الأحاديث النبوية عن أربعين من مشايخ الإسلام مروية

- المؤلف: أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي الحنبلي، المعروف بابن الرسام (ت: 844هـ)
- عدد الأحاديث: 47 حديثًا- عدد الأوراق: 45(185–229)
- المصدر: مخطوطات المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، بدمشق، (مجموعة رقم 3795 عام، مجاميع59). [24]

---

[22] السَّوَّاس، ياسين محمد، **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق**، (الكويت: معهد المخطوطات العربية، 1408هـ) صـ 283

[23] المصدر نفسه، صـ 306.

[24] المصدر نفسه، صـ295.

4. كتاب الأربعين (وفي آخرها من الحكايات الحسان)
- المؤلف: أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الشافعي (ت: 490هـ)
- التخريج: أبو حفص عمر بن محمد الداهستاني
- الرواية: عن أبي يعلى حمزة بن أحمد السلمي الدمشقي (ت: 557هـ)
- عدد الأوراق:23 ((65–43)
- المصدر: مخطوطات المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، بدمشق(مجموع رقم3803 عام، مجاميع67). [25]

5. كتاب الأربعين الدعائية في الأحوال الإنسانية
- المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسي الأندلسي المالكي (ت: 737هـ)
- الخزانة: العامة بتطوان – رقم (532م)

6. كتاب الأربعين المخرج من الصحيح بذكر شعار أهل الحديث
- المؤلف: الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ)، صاحب المستدرك
- المخطوط: الجامعة الإسلامية – رقم (122/2)

[25] السَّوَّاس، ياسين محمد، **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق**، صـ341.

المبحث الثاني: التنوّع المنهجي في كتب الأربعينات الحديثية: بين الوحدة الموضوعية والصناعة الإسنادية والاختيار العام

تُعدّ كتب الأربعينات الحديثية ظاهرة فريدة في مسار التأليف الإسلامي، وقد شغلت حيّزًا واسعًا من اهتمامات العلماء، خاصة في عصور ازدهار علوم الحديث والتربية. وقد تنوّعت هذه الكتب وتمايزت في مناهجها وأساليبها، بما يعكس تعدد الأهداف العلمية والتربوية لدى المؤلفين، ويُبرز في الوقت ذاته مرونة علم الحديث وقدرته على الاستجابة لحاجات الأمة.

ومن الملاحظ أن هذا التنوع لم يكن عشوائيًّا أو ارتجاليًّا، بل قام على أسس معرفية ومنهجية واضحة، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسة:

1. مناهج موضوعية، يختار فيها المؤلف موضوعًا معينًا، فيجمع الأحاديث المرتبطة به، مثل أحاديث الزهد أو الجهاد أو التصوف، خدمة لمقاصد تربوية أو علمية.
2. مناهج إسنادية، يُولي فيها المؤلف اهتمامًا واضحًا بعلم الرواية، فيسند الأحاديث ويُبرز علو الأسانيد، ويذكر الشيوخ والبلدان وطرق التحمل، على طريقة أهل الحديث.
3. مناهج عامة أو اختيارية، يجمع فيها المؤلف أحاديث متنوعة في مواضيع متفرقة دون تقيد بموضوع واحد أو شرط إسنادي، وتُعد هذه الطريقة الأشهر والأكثر رواجًا.

وقد يجمع بعض المؤلفين بين أكثر من منهج في الكتاب الواحد، مما يدل على تداخل الأساليب وتكامل الأغراض.

ومن هنا، جاء هذا المبحث ليُسلط الضوء على هذه المناهج، محللًا خصائصها، ومقاصدها، وتمثلاتها التطبيقية، ضمن ثلاثة مباحث رئيسة، ترصد: المنهج الموضوعي، والمنهج الإسنادي، والمنهج العام، في محاولة لفهم البنية المنهجية لهذا النمط التأليفي، وإبراز قيمته العلمية والتربوية في خدمة السنة النبوية.

المطلب الأول: المناهج الموضوعية:

يُقصد بالمناهج الموضوعية في تأليف كتب الأربعينات الحديثية تلك الطريقة التي يعتمد فيها المؤلف على اختيار أربعين حديثًا تدور حول موضوع محدد، أو تتناول مبحثًا علميًّا معينًا، يجمعها وحدة الغرض أو المقصد، دون اشتراط كونها من رواية صحابي واحد أو من مصدر معين، بل العبرة فيها باتحاد الموضوع وتشابك مضامين الأحاديث في خدمة الفكرة المحورية التي تدور حولها الأربعون.

أولًا: تعريف المنهج الموضوعي:

المنهج الموضوعي في التأليف الحديثي هو اختيار مجموعة من الأحاديث النبوية وفق معيار الموضوع، بحيث يشكّل كل حديث جزءًا من صورة كلية لمفهوم شرعي أو تربوي أو عقدي أو اجتماعي، ويهدف إلى تقديم رؤية نبوية متكاملة حول ذلك الموضوع.

ثانيًا: أبرز سمات المنهج الموضوعي في كتب الأربعينات:

1. وحدة الموضوع: يلتزم المؤلف بمحور واحد، كالإخلاص، أو الصدق، أو الجهاد، أو الزهد، أو الأخلاق، ويجعل جميع الأحاديث خادمة لهذا المحور.
2. الانتقاء من مصادر متعددة: لا يشترط المؤلف مصدرًا واحدًا، بل ينتقي من الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها بحسب ما يخدم موضوعه.
3. الشرح والبيان: غالبًا ما تُرفق الأحاديث بشرح موجز أو تعليقات توضح معانيها وتربطها بالمحور الموضوعي.
4. الترتيب المنطقي أو التدرج المفهومي: يتدرج المؤلف في عرض الأحاديث ترتيبًا يعكس نضج الفكرة أو تسلسلًا تربويًّا.

ثالثًا: دوافع التأليف وفق المنهج الموضوعي:

- الحاجة التعليمية: لتيسير تعليم موضوع معين من السنة بأسلوب مختصر ومنظَّم.
- الهدف التربوي: لتربية النفوس على خصلة أو خلق معين، مثل كتب الأربعين في الإخلاص أو في الزهد.
- المقصد الدعوي: تأليف الأربعينات الموضوعية من أجل التذكير والوعظ في موضوعات بعينها.

رابعًا: نماذج من كتب الأربعينات ذات المنهج الموضوعي:

1. أحاديث التصوف والسلوك: وتتضمن أحاديث تُبرز صفات الصوفية وأخلاقهم، مثل:

أحاديث الإخلاص: تضم أحاديث تحث على الإخلاص في العمل والنية.

أحاديث الزهد: ترسّخ مفاهيم الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة.

أحاديث التوبة: تهدف إلى ترسيخ مفهوم التوبة والدعوة إليها

2. أحاديث التوحيد وإثبات الصفات: كأربعينات تتعلق بأسماء الله وصفاته، أو بإثبات العقيدة السليمة.
3. أحاديث الأحكام الفقهية: تشمل أبوابًا فقهية متنوعة مثل المعاملات والحدود والمواريث.
4. أحاديث العبادات: وتفصيلها في: الصلاة (شروطها، أركانها، فضائلها)، (الحِكم والآداب والفضائل)، الزكاة (أهدافها ومصارفها)، الحج (مناسكه وأسراره)
5. أحاديث المواعظ والرقائق: تتضمن أحاديث الترغيب والترهيب، واليوم الآخر، وقِصر الأمل، وزوال الدنيا.
6. أحاديث الآداب والأخلاق: كأحاديث الصدق، الحياء، التواضع، بر الوالدين، حسن الجوار.
7. أحاديث الطب: كالأربعينات في الطب النبوي، أو ما يعرف بـ"الطب الروحي والبدني".
8. أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وبيان فضله وأثره في إصلاح المجتمع.
9. أحاديث الأذكار اليومية: مثل أذكار الصباح والمساء، والنوم، ودخول المنزل والخروج منه.
10. أحاديث المناقب: التي تُظهر فضائل الصحابة أو البلدان أو بعض الأماكن المقدسة.
11. أحاديث النكاح :وفيها بيان فضله، وآدابه، وأحكامه.
12. أحاديث الجهاد: تجمع الأحاديث المتعلقة بفضل الجهاد وآدابه وأحكامه.

ملاحظات منهجية:

1. تداخلت بعض هذه الموضوعات في بعض المؤلفات، فجمع المؤلف بين أكثر من باب تحت مظلة واحدة.
2. تأثر اختيار الموضوع بالسياق الثقافي والتربوي لعصر المؤلف، مما يبرز الجانب الوظيفي لهذه الكتب في خدمة الواقع.
3. أحيانًا يكون التصنيف ظاهريًّا، بينما المقصد التربوي أو العقدي هو الغالب.

خامسًا: أثر هذا المنهج في خدمة السنة:

- ساعد في تقريب السنة للناس، وجعلها أداة تربوية وتعليمية مركّزة.
- ساهم في إبراز تنوع مضامين السنة واتساعها في معالجة قضايا الحياة.
- أتاح فرصة للباحثين وطلبة العلم لتتبع الموضوعات الشرعية في ضوء السنة النبوية.

المطلب الثاني: المناهج الإسنادية:

يُقصد بالمناهج الإسنادية تلك الطريقة التي يُولي فيها المؤلف عناية خاصة بسند الحديث، فيجتهد في رواية الأحاديث بأسانيد متصلة، ويُبرز العناية بالتحمّل والأداء، وقد يصرّح بالسماع أو الإجازة، ويحرص على انتقاء الأربعين من طريق شيوخه أو من روايته الخاصة، فيجمع بين جمع النصوص وتوثيقها بسلسلة النقل، على طريقة المحدّثين.

أولًا: تعريف المنهج الإسنادي:

المنهج الإسنادي هو اعتماد المؤلف في جمع الأربعين حديثًا على رواية الأحاديث بأسانيد متصلة إلى النبي ﷺ، أو إلى المؤلفين من قبله، مع الالتزام غالبًا بذكر طبقة الشيوخ أو الإجازات التي حصل منها على تلك النصوص.

ثانيًا: خصائص التأليف الإسنادي وسماته في كتب الأربعينات:

تميّزت كتب الأربعينات الحديثية ذات الطابع الإسنادي بجملة من الخصائص المنهجية والسمات الفنية، التي تُبرز تعلقها بعلم الرواية، وتُظهر تميزها عن بقية المناهج، ومن أبرز تلك الخصائص والسمات:

1. الاعتماد على الأحاديث الموثوقة: يحرص المؤلف على جمع الأحاديث التي ثبتت صحتها أو حسنها، وفق قواعد علم الحديث، إما من خلال عزوها إلى مصادر معتمدة، أو عبر ذكر أسانيدها المتصلة، طلبًا للثقة والاعتماد في النقل والاستدلال.
2. العناية بالإسناد العالي أو النادر: يُقدّم المؤلف الأحاديث ذات الإسناد العالي، أي التي يقل فيها عدد الرواة بينه وبين النبي ﷺ، كما قد يبحث عن الطرق الغريبة أو غير المشهورة، لما في ذلك من مفخرة علمية وفضيلة حديثية عند أهل الرواية.
3. إبراز السند بوصفه عنصرًا توثيقيًّا: لا تُذكر الأحاديث مجردة، بل تُسند بسلسلة الرواة كاملة، من الشيخ المباشر إلى النبي ﷺ، مما يمنح الأحاديث قوة في الثبوت، ويُعزز ثقة القارئ بالمادة الحديثية المقدَّمة.

4. الاهتمام بشيوخ الرواية وذكر طبقاتهم: يُبرز المؤلف أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم الأحاديث، ويحرص على التوثيق بذكر أماكن السماع أو صيغة التحمل، مما يُعد توثيقًا علميًّا وتاريخيًّا مهمًّا، ويُظهر جانبًا من الحركة العلمية في عصره.

5. ترتيب الأحاديث بحسب طبقات الرواة أو تواريخ التحمل: في بعض الكتب، يلاحظ ترتيب الأحاديث بحسب طبقات الشيوخ أو التدرج الزمني للسماع، ما يمنح الكتاب بُعدًا علميًّا وتاريخيًّا مهمًّا في دراسة الرواية والسند.

6. محاكاة منهج المحدثين الأوائل: يتبع المؤلف طريقة الأجزاء الحديثية أو المعاجم، التي تجمع بين الإسناد والمتن، وتُظهر العناية بالسماع والتحمّل، ويُلاحظ في بعض الكتب الترتيب على أسماء الشيوخ أو البلدان.

7. الجمع بين الرواية والدراية: رغم الطابع النقلي الغالب، إلا أن كثيرًا من المؤلفين لا يُهملون الجانب الشارح أو التربوي، فيرفقون بالأحاديث تعليقات موجزة، أو إشارات فقهية، أو فوائد تربوية، مما يُضفي بعدًا درايًّا على النصوص.

8. التوثيق العلمي والتربوي في آنٍ واحد: يسعى هذا المنهج إلى الجمع بين حفظ السند النبوي، وتربية النشء على آداب الطلب ومنهج التلقي، فكان أداة علمية لحفظ الدين، ووسيلة تربوية لتعميق الارتباط بالسنة النبوية وعلومها.

ثالثًا: دوافع اتباع المنهج الإسنادي:

- إحياء سنة الإسناد، كما قالوا : "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".
- الحفاظ على السند المتصل بوصفه من خصائص الأمة المحمدية.
- الفخر بالإجازة والرواية عن الشيوخ والأعلام.
- رغبة في تحصيل الفضيلة الشرعية المترتبة على رواية الأربعين حديثًا، كما في حديث: " من حفظ على أمتي أربعين حديثًا..."، وهو وإن كان في سنده مقال، لكنه أثّر في دافعية كثير من المؤلفين.

رابعًا: نماذج من كتب الأربعينات الإسنادية:

1. أربعون حديثًا من رواية شيخ واحد: كمن جمع الأربعين من طريق شيخه المباشر، أو بإسناد واحد.
2. الأربعون البلدانية: يُسند المؤلف كل حديث عن شيخ في بلد مختلف، كما فعل السخاوي في "الأربعون البلدانية".

3. الأربعون العوالي: جمع فيها المؤلفون أربعين حديثًا بإسناد عالٍ، قَلّ عدد الرواة بينه وبين النبي ﷺ.
4. الأربعون في مسموعات المؤلف: يجمع ما سمعه من شيوخه، كما فعل ابن ناصر الدين الدمشقي.

خامسًا: أثر هذا المنهج في خدمة السنة:

- صيانة الحديث النبوي بالسند والضبط.
- توسيع دائرة الرواية وتوثيق طرق التحمّل.
- ربط الخلف بالسلف العلمي من خلال سلسلة الرواية.
- تقديم نموذج تطبيقي لطريقة المحدثين في جمع الحديث ونقله.

المطلب الثالث: الجمع العام:

يُقصد بالمنهج الجمعي أو العام في تأليف كتب الأربعينات الحديثية، ذلك الأسلوب الذي لا يلتزم فيه المؤلف بمنهج محدد من حيث الموضوع أو الإسناد، وإنما يجمع أربعين حديثًا متفرقة، في أبواب متعددة، ومن مصادر متنوعة، دون التقيد بوحدة موضوعية أو اشتراط إسناد معين، وهو النمط الأكثر شيوعًا بين المؤلفين، لا سيما في البدايات الأولى لهذا النوع من التأليف.

أولًا: تعريف المنهج الجمعي:

هو طريقة في التأليف تعتمد على جمع أربعين حديثًا في مواضيع متنوّعة، دون التزام بموضوع موحَّد، أو سند معين، وقد يكون الحافز الرئيس لهذا المنهج هو نية نيل فضل حفظ أو رواية أربعين حديثًا عن النبي ﷺ.

ثانيًا: سمات المنهج الجمعي في كتب الأربعينات:

1. التنوع في الموضوعات: تشمل الأحاديث المختارة مختلف أبواب الدين، مثل: العقيدة، العبادات، المعاملات، الأخلاق، الآداب، الزهد، النكاح، الجهاد، وغيرها.
2. عدم التقيّد بالترتيب الموضوعي أو الفقهي: فقد ترتّب الأحاديث بحسب ورودها في المصادر، أو بحسب ما استحسنه المؤلف، دون منهجية ترتيب صارمة.
3. الاكتفاء بالنقل دون الإسناد: يكتفي المؤلف غالبًا بعزو الحديث إلى مصدره (كصحيح البخاري أو مسلم) دون ذكر السند كاملًا، خاصة في الكتب المتأخرة أو التربوية.

4. التركيز على الأحاديث الجامعة أو المشهورة: يُفضّل المؤلفون اختيار الأحاديث المشهورة، أو ما عُرف عند العلماء بـ"جوامع الكلم"، لما لها من أثر تعليمي وتربوي.
5. سهولة التناول وشيوع الانتشار: يسهل تداول هذا النوع من الكتب، لما فيها من تنوّع يُناسب مختلف القراء، مما جعلها شائعة بين طلاب العلم والمبتدئين.

ثالثًا: دوافع اعتماد هذا المنهج:

- الرغبة في نيل أجر الحديث الوارد في فضل حفظ الأربعين حديثًا.
- التعليم والتذكير العام لجمهور المسلمين، دون الدخول في تفاصيل علمية دقيقة.
- الوعظ والإرشاد في المجالس، والخطب، والدروس العامة.
- التحفيز على حفظ السنة النبوية بأسلوب مبسّط ومتنوع.
- تيسير التأليف والانتشار، خاصة لمن لم يتخصص في علم الحديث سندًا أو دراية.

رابعًا: أمثلة من كتب الأربعينات ذات المنهج الجمعي:

1. الأربعون النووية للإمام النووي: وهو من أشهر كتب الأربعينات، وقد مزج بين أحاديث العقيدة، والفقه، والأخلاق، والزهد، دون ترتيب موضوعي دقيق.
2. أربعون حديثًا لابن عساكر ويجمع فيه أحاديث متفرقة مما سمعه من شيوخه، دون وحدة موضوعية، بل يظهر فيه البعد التعليمي والرواي.
3. الأربعون الودعانية، والأربعون لأبي بكر الشافعي، وغيرها من كتب القرن الثالث والرابع، التي تتبع هذا النسق العام في الجمع.

خامسًا: أثر هذا المنهج في خدمة السنة:

- ساعد على نشر السنة بين عموم الناس بوسيلة ميسّرة.
- مكّن طلاب العلم من حفظ جملة من الأحاديث المختارة في وقت قصير.
- أسهم في تحفيز حركة التأليف المبكر، وكان مدخلًا لتطوّر المناهج لاحقًا (الموضوعي، الإسنادي، الصوفي، التربوي...).

وخِتاما: فقد تنوّعت مناهج المؤلفين في كتب الأربعينات الحديثية، وتفرعت بحسب مقاصدهم واهتماماتهم، ويمكن تقسيمها إجمالًا إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

1. الوحدة الموضوعية: وهو ما يلتزم فيه المؤلف بجمع أربعين حديثًا أو نحوها في موضوع محدد، كالإخلاص، أو الزهد، أو الآداب، أو العقيدة، أو التصوف، أو الأخلاق، أو الفضائل. ويُعنى فيه المؤلف بتقريب المفهوم وتوضيحه عبر الأحاديث النبوية.

2. الصناعة الحديثية واللطائف الإسنادية: ويُقصد به الكتب التي تظهر فيها العناية الواضحة بأسانيد الحديث، وذكر العوالي، وتراجم الشيوخ، وبلدان الرواية، وأوجه التحمل، وتكون أقرب إلى الأجزاء الحديثية من حيث المنهج والأسلوب.

3. الاختيار العام أو الانتقاء المتنوّع: وفيه يجمع المؤلف أحاديث من أبواب متفرقة دون تقيد بموضوع واحد أو بسند معين، ويغلب على هذا القسم الطابع التعليمي أو الوعظي، ويُعد من أكثر الأنماط انتشارًا.

ومن خلال دراسة كتب الأربعينات يظهر أن المصنفين لم يلتزموا دائمًا بعدد الأربعين على وجه الدقة؛ فمنهم من زاد أو نقص بحسب ما يراه مناسبًا، كما اختلفوا في طريقة العرض:

- فبعضهم أسند الأحاديث كاملة، وبعضهم اكتفى بذكر المتن دون سند.
- وبعضهم اقتصر على الصحيح، وبعضهم أورد ما هو حسن أو ضعيف مع التنبيه أو بغيره.
- كما أن منهم من شرح الأحاديث بنفسه، ومنهم من تركها دون شرح أو فُسّرت لاحقًا من قِبل شُرّاح آخرين.
- بل قد يجمع المؤلف بين أكثر من منهج في الكتاب الواحد؛ فينتقي الأحاديث من موضوع معين، ويورد بعضها بالإسناد، ويشرح بعضها دون بعض.

وإن هذا التنوّع المنهجي في تأليف كتب الأربعينات يُظهر المرونة العلمية والثراء المعرفي لدى علماء الحديث، ويعكس قدرة المؤلفين على تكييف عرض السنة النبوية بحسب حاجات المتعلمين والسياقات الثقافية والدعوية ،وقد شكّلت هذه الكتب عبر العصور مدخلًا ميسرًا لحفظ الحديث، ومجالًا تربويًّا لنقل القيم، وأداة علمية لتوثيق الرواية.

المبحث الثالث: الدوافع التأليفية والقيمة العلمية لكتب الأربعينات الحديثية

عرفت كتب الأربعينات الحديثية رواجًا وانتشارًا واسعًا في تاريخ التأليف الإسلامي، حتى أضحت ظاهرة علمية مميزة، تستدعي النظر في مقاصدها ودوافعها، وقيمتها ومكانتها ضمن علوم السنة النبوية، ولم يكن هذا النوع من التصنيف مجرد تقليدٍ شائع أو تكرارٍ شكلي، بل كان نتاجًا لتراكم دوافع علمية وتربوية ودعوية، جعلت من "الأربعين "صيغة محببة وسهلة الانتقال بين طبقات العلماء والمتعلمين على السواء.

ولقد اختلفت مقاصد المؤلفين من كتاب إلى آخر، فمنهم من أراد التقرب إلى الله بحفظ سنة نبيه ﷺ، ومنهم من قصد تربية النفوس وتعليم المبتدئين، ومنهم من عني بـالتوثيق والإسناد والرواية، ومنهم من أراد خدمة موضوع محدد أو التمرين على التصنيف والاختيار، مما يعكس ثراء الخلفية العلمية والروحية لهذا النوع من التأليف.

وفي مقابل هذه الدوافع، نالت كتب الأربعينات قيمة علمية معتبرة في التراث الإسلامي، إذ لم تكن مجرد كتيبات تجميعية، بل أسهمت في: ترسيخ مفاهيم السنة النبوية، وتيسير حفظ الحديث، وتدريب الطلاب على مهارات التوثيق والشرح، وإحياء الوظائف الدعوية والتربوية للحديث النبوي، ومن هنا جاء هذا المبحث ليسلّط الضوء على الدوافع الرئيسة للتأليف الأربعيني، ويُبرز في الوقت ذاته القيمة العلمية المتنوعة التي حازتها هذه المؤلفات، بما يخدم فهم هذه الظاهرة في سياقها العلمي والتربوي والتاريخي.

المطلب الأول: دوافع التأليف في كتب الأربعينات الحديثية:

تمثل كتب الأربعينات الحديثية ظاهرة تأليفية ذات طابع خاص في التراث الإسلامي، وقد تعددت الدوافع التي حملت العلماء على تصنيفها، وتنوّعت بحسب السياقات التاريخية، والمقاصد العلمية، والوظائف التربوية والدعوية المرجوة منها. ويمكن تصنيف هذه الدوافع إلى ما يأتي:

1. التحفيز النبوي على حفظ أربعين حديثًا: يُعد هذا الدافع من أبرز الأسباب التي دفعت العلماء إلى تصنيف كتب الأربعين. فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: "من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينهم، بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء"، رُوي من طرق متعددة، وإن كان فيه ضعف من حيث الإسناد، إلا أن العلماء تلقّوه بالقبول من جهة المعنى والعمل.

2. التعليم والتربية: شكّلت كتب الأربعينات وسيلة تعليمية مبكرة لنقل مفاهيم الشريعة إلى المتعلمين والمبتدئين، خاصة حين تُختار الأحاديث الجامعة التي تتناول جوامع الكلم، أو أصول الدين، أو الأخلاق، أو آداب السلوك. وقد جمع بعضها بين الوجازة والوضوح، مما سهّل حفظها وتدريسها، وقد أشار كثير من المؤلفين إلى هذا المقصد، حيث يُقصد بالتأليف تقريب السنة إلى الطلاب والناشئة بأسلوب مختصر وميسر.
3. خدمة مقصد علمي محدد: بعض كتب الأربعينات صُنّفت لخدمة موضوع معين، مثل الزهد أو الإخلاص أو فضائل الصحابة أو التفسير أو التصوف، وذلك من أجل جمع النصوص المتعلقة بذلك الباب وتيسير دراستها، والتأصيل العلمي لموضوعها، ويُلاحظ أن هذا الدافع هو الذي ميّز الكتب الموضوعية من كتب الأربعينات، إذ يُراعي فيه المؤلف التكامل في الطرح، والتدرج في عرض الأحاديث.
4. الحفاظ على الأسانيد: في كتب الأربعينات ذات الطابع الإسنادي، نجد دافعًا علميًا واضحًا يتمثل في توثيق الرواية بالسند، وحفظ الطرق العالية، وإبراز جهود التحمل والرحلة، وبيان شيوخ المحدثين، وهذا ما يظهر جليًّا في كتب العوالي، والأجزاء الأربعينية التي تُسند فيها الأحاديث بالكامل.
5. التدريب على التصنيف والانتقاء: يُعد تأليف الأربعينات من التمارين العلمية التي كان العلماء يحثون طلابهم على خوضها، لما فيها من تمرين على الانتقاء، والترتيب، والشرح، والعزو، فكم من أربعينٍ ألفها طلاب في بداياتهم، ثم أصبحت من أشهر المصنفات! وهذا يُظهر أن تأليف الأربعين كان أيضًا مدخلًا للتمرس المنهجي وبوابة للتكوين العلمي في مجال الحديث.
6. المقاصد الدعوية والتربوية: كثير من المؤلفين قصدوا بكتب الأربعينات تحريك القلوب، وتزكية النفوس، وتذكير الناس بأصول الدين وآدابه، ولهذا كثر التأليف في أبواب الزهد، والرقائق، والأخلاق، والمواعظ، وهي كتب غالبًا ما كانت تُقرأ في المجالس العامة والخطب والدروس.
7. الرغبة في الإسهام في ميراث النبوة: من أعظم دوافع العلماء في تأليف الأربعينات الشوق إلى خدمة السنة النبوية، وإحياء معانيها، وبثّها في الأمة، كلٌّ بحسب طاقته وتخصصه، وكانت كتب الأربعين مجالًا يسيرًا ومنضبطًا يُمكّن المؤلف من تقديم مساهمة نافعة ومختصرة ضمن الميراث النبوي.

المطلب الثاني: القيمة العلمية لكتب الأربعينات:

إنّ كتب الأربعينات الحديثية تتمتع بقيمة علمية وتربوية كبرى، لا تنبع فقط من كونها تضم أحاديث النبي ﷺ، بل لِما تحققه من وظائف متعددة تجمع بين الرواية والتعليم، والتوثيق والتزكية، والإفادة العامة والخاصة، ويكفيها شرفًا أنها تتعلق بسنة النبي ﷺ، المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتمثل بذلك بابًا من أبواب تدوين السنة وتصنيفها، وتسهم في الحفاظ على هذا الإرث النبوي العظيم ونشره، وتتجلّى القيمة العلمية لهذه الكتب من خلال النقاط الآتية:

1. مصدر أصيل من مصادر السنة النبوية: تُعد كتب الأربعينات الحديثية مرجعًا مباشرًا في فهم السنة النبوية، إذ تُنتقى أحاديثها غالبًا من دواوين الحديث المعتمدة، فتعكس بذلك خلاصة سنية مركّزة، تمثل مدخلًا مبسطًا وسليمًا إلى علم الحديث.
2. إظهار الوحدة الموضوعية للأحاديث: في العديد من هذه الكتب، وخاصة الموضوعية منها، تتجلى الروابط المعنوية والمقاصدية بين الأحاديث، فيُلاحظ التركيز على غرض معين كالتوبة، أو الزهد، أو الآداب، مما يُبرز تماسك البناء الموضوعي للسنة، ويدعم فهم الحديث في سياقه الكلي.
3. الترجمة للمشايخ والرواة: يظهر في بعض الكتب، خصوصًا ذات الطابع الإسنادي، اهتمام بتراجم الرواة وشيوخ المؤلفين، مما يعزز علم الرجال، ويُسهم في توثيق سلسلة الإسناد، ويكشف عن الشبكات العلمية بين علماء الحديث.
4. إبراز أهمية الرحلة في طلب العلم: تتضمن بعض كتب الأربعينات إشارات إلى البلاد والمواطن التي التُقي فيها بالرواة، أو التي نُقلت منها الأحاديث، وهو ما يعكس جانبًا من ثقافة الرحلة العلمية في الإسلام، ويُظهر التضحيات في طلب السنة وتلقيها من مظانّها.
5. سهولة روايتها وسرعة انتشارها: صغر حجم هذه الكتب، ووضوح مقاصدها، وارتباطها بهموم الناس، جعلها سريعة الانتشار بين طلبة العلم والعامة على حد سواء، وتُعد من أكثر أنواع الكتب تداولًا وتعليمًا، وبلغت شهرة بعض هذه الأربعينات مبلغًا واسعًا في العالم الإسلامي.
6. التيسير على عامة المسلمين: أسهمت هذه الكتب في تيسير حفظ السنة وفهمها لغير المتخصصين، إذ تقدم لهم مجموعة منتقاة من الأحاديث بأسلوب موجز وسهل، فيستطيع المسلم أن يقرأها ويحفظها ويعمل بها دون عناء، فكانت مدخلًا تعليميًا وتربويًا رفيقًا لعامة الأمة.
7. التدريب على التصنيف والاختيار: كانت كتب الأربعينات فرصة عملية لتدريب طلاب العلم على التأليف، والاختيار، والشرح، والتحقيق، مما جعلها مدرسة حقيقية في تنمية مهاراتهم الحديثية والمنهجية، وكثير من العلماء بدأوا مسيرتهم العلمية بتأليف "أربعينات"، قبل أن يتوسعوا في التصنيف الكبير.

8. إثراء المكتبة الإسلامية: أسهمت كتب الأربعينات في إثراء المكتبة الإسلامية، سواء بأصولها، أو بما كُتب حولها من شروح وتعليقات، كتلك التي كُتبت على الأربعين النووية، أو كتب التصوف والزهد، مما جعلها حاضرة في التعليم، والخطابة، والإفتاء، والدعوة.

وخِتاما: فإن كتب الأربعينات الحديثية تمثل ظاهرة تأليفية أصيلة، حملت على عاتقها نشر السنة النبوية بوسائل تربوية، ومناهج علمية متنوعة، فتجاوزت دورها التقليدي كمختصرات، لتصبح وسيلة تعليمية وتوثيقية وتربوية كبرى، تحتل مكانة معتبرة في منظومة علوم الحديث الشريف، وتخدم أهدافًا علمية وروحية عالية في آنٍ واحد.

الفصل الثاني

المقارنة المنهجية بين الأربعينات الصوفية والعلمية: المقاصد، المعايير، والصناعة الحديثية

تُعد كتب "الأربعينات الحديثية" مظهرًا فريدًا من مظاهر التأليف في التراث الإسلامي، حيث اجتمع فيها البعد التعليمي والتربوي، والروحي والعلمي، في آنٍ واحد، غير أن هذا الاشتراك الظاهري يخفي وراءه تباينًا منهجيًّا عميقًا في الرؤية والمقصد والأسلوب.

فقد اتجه المحدثون إلى تأليف الأربعينات بدافعٍ علميٍّ وتعليمي، هدفه خدمة الحديث من جهة الصناعة الحديثية، والتأسيس لمعارف معياريةٍ قائمة على قواعد الجرح والتعديل، والتخريج، والنقد السندي والمتني. في حين اتجه الصوفية إلى تأليف الأربعينات بروحٍ ذوقية وتربوية، تسعى إلى تهذيب النفس، وإصلاح القلب، وتغذية السالك بمختارات نبوية تؤسس للمقام الروحي والحال السلوكي.

ويأتي هذا الفصل للكشف عن هذه الفوارق المنهجية الدقيقة، من خلال مقارنةٍ بين مقاصد التأليف في كلا الاتجاهين، وتحليل المعايير العلمية والمنهجية التي تحكم كل نمط من أنماط التأليف، وصولاً إلى بيان الفروق في الصناعة الحديثية ذاتها، من حيث التعاطي مع السند، والمتن، والإخراج الفني للمادة الحديثية.

ولا تهدف هذه المقارنة إلى المفاضلة بين المنهجين، بقدر ما تسعى إلى بيان تنوّع وظائف الحديث النبوي الشريف في الحقل الإسلامي، ما بين وظيفة تهذيبية تربوية في البناء الروحي، ووظيفة علمية تأصيلية في الحقل المعرفي والفقهي.

المبحث الأول: المقاصد من التأليف

يشكل الوقوف على مقاصد التأليف أحد أهم المفاتيح المنهجية لفهم الفروقات البنيوية بين مؤلفات "الأربعينات الحديثية" ذات الطابع الصوفي، وتلك التي اتسمت بالطابع العلمي الحديثي. فالمقصد العلمي أو التربوي أو الروحي لا يُعَدّ مجرد دافع فردي للتأليف، بل هو محدِّد جوهري ينعكس على طبيعة الانتقاء، والهيكلة الداخلية، والمعايير المنهجية المعتمدة في كل كتاب.

المطلب الأول: المقصد التربوي والروحي في الأربعينات الصوفية:

برزت كتب الأربعينات الصوفية ضمن سياق ديني تربوي عميق، حيث لم يكن غرض المؤلفين الصوفيين الإحاطة بالحديث النبوي من حيث الصناعة النقدية الصارمة، بل كان المقصد الأساس هو بناء السلوك الروحي لدى المريد والسالك من خلال انتقاء أحاديث نبوية ذات طابع أخلاقي وزهدي وقلبي، وعليه، فإن هذه الكتب جاءت لخدمة الوظيفة التربوية والتهذيبية، وقد تجلى هذا في عدة مظاهر:

1. انتقاء الأحاديث ذات البعد الروحي والوجداني، مثل: أحاديث الإخلاص، والنية، والخوف من الله، والرجاء، والزهد في الدنيا، وحب الله ورسوله، ونحوها، وهي موضوعات تُغذي البعد القلبي عند السالك، وتُوجهه نحو معارج السمو الروحي.
2. ربط الحديث بالسلوك العملي:عمد المؤلفون الصوفية إلى شرح الحديث وبيان تطبيقه العملي في حياة المريد، مما يجعل الكتاب أقرب إلى دليل سلوكي منه إلى عمل علمي صرف.
3. تضمين الشروح الإشارية: كثيراً ما تتضمن هذه الكتب تأملات ذوقية أو شروحات إشراقية للحديث، تنطلق من المعاني الباطنية المستوحاة من الحديث.

المطلب الثاني: المقصد العلمي (الفقهي، العقدي، الحديثي):

تميَّزت كتب "الأربعينات الحديثية" العلمية، بخلاف نظيراتها الصوفية، باعتمادها مقصدًا علميًا تأصيليًا في المقام الأول، اتجه نحو تثبيت أصول الدين، وتدريس قواعد الشريعة، وترسيخ المنهج الحديثي النقدي، سواء في الفقه أو العقيدة أو علم الحديث ذاته، وقد تعددت أغراض التأليف ضمن هذا الإطار العلمي، مما يمكن تصنيفه في ثلاث جهات رئيسية:

أولاً: المقصد الفقهي: كان من أبرز دوافع التأليف الأربعيني عند المحدثين جمع أحاديث الأحكام الشرعية التي تمثل أساس الاستنباط الفقهي، ويهدف هذا النمط إلى:

- تبويب الأحاديث بحسب أبواب الفقه: كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والمعاملات، والجهاد، والحدود، وغيرها.
- تيسير وصول الفقيه إلى النصوص الأصلية: بحيث تكون الأربعون مدخلاً لفهم الأحكام من مصدرها الحديثي المباشر.
- تحقيق الاستدلال الفقهي: من خلال إيراد الأحاديث التي عليها مدار الحكم، وغالبًا ما يَليها تعليق أو شرح بياني للمسائل.

ثانيًا: المقصد العقدي: كما ألّف بعض العلماء أربعينات حديثية تهدف إلى بيان أصول العقيدة الإسلامية، ورد الشبهات، وتقرير الإيمان بالله وصفاته، واليوم الآخر، والنبوّات، ومن معالم هذا المقصد:

- الرد على الفرق الكلامية: من خلال عرض أحاديث تدل على منهج أهل السنة والجماعة في الصفات، أو القدر، أو الإيمان.
- تقوية التصور العقدي لدى طلبة العلم: بوضع مجموعة مختارة من الأحاديث الصحيحة التي تُبنى عليها أركان الاعتقاد.
- استلهام المعتقد من النص النبوي مباشرة: بدلًا من الاكتفاء بالمباحث الكلامية النظرية.

ثالثًا: المقصد الحديثي (الصناعة والوظيفة): وهو مقصد يختص به المحدثون تحديدًا، حيث يبرز في الكتب التي أُلِّفت لأغراض حديثية محضة، منها:

- التدريب على علوم الحديث: كأن يجمع المؤلف أربعين حديثًا على درجات متفرقة من الصحة أو الضعف، ليبيّن كيفية التصحيح أو التضعيف.
- التركيز على الأنواع الحديثية، مثل: "أربعون حديثًا متواترًا"، أو "أربعون من الأفراد"، أو "أربعون بعوالي الإسناد" .

- تدريب الطلاب على التخريج والتعليل: حيث يورد المؤلف الحديث ثم يتبعه بالتخريج، ودراسة الرجال، وبيان علل الإسناد.

وخِتاما: فإن هذه التباينات في المقاصد لا تُفهم بمعزل عن الخلفية المنهجية والمدرسية لكل طائفة:

- فالصوفية تتعامل مع النصوص بوصفها إشارات نورانية، توجه السالك في الطريق، فالمقصد عندهم وظيفي روحاني.
- والمحدثون يتعاملون مع الحديث بوصفه نصًّا منضبطًا من حيث النقل والمتن، ومصدراً من مصادر التشريع.

وهذا لا يعني أن أحد الفريقين أهم من الآخر، بل يشير إلى تعدد أوجه الاستفادة من السنة النبوية، وفقًا للمقاصد التي تحكم منهج التأليف.

المبحث الثاني: معايير الاختيار والتنظيم الداخلي

إن الناظر في كتب الأربعينات الحديثية، سواء ذات النزعة الصوفية أو ذات الطابع العلمي، يدرك أن اختلاف مقاصد التأليف عند كل فريق قد انعكس بوضوح على آليات الاختيار، وأساليب تنظيم المادة الحديثية، وهي الجوانب التي تُشكّل البنية الداخلية لهذه المصنفات، فلم يكن اختيار الأحاديث ولا ترتيبها عملية عشوائية أو محايدة، بل جاءت محكومة برؤية معرفية ومنهجية تعكس الخلفية العلمية أو الذوقية للمؤلف، وتُجسّد بعمق تصوّره لوظيفة الحديث النبوي: هل هو وسيلة للتربية والتهذيب؟ أم أداة للضبط والتعليم؟ أم مصدر للتشريع والاستدلال؟

ومن هنا برزت معايير مختلفة لدى كل اتجاه:

- ففي التأليف الصوفي، يغلب معيار الأثر الروحي والسلوكي، ويتم ترتيب الأحاديث على نسق مقامات السلوك.
- أما عند المحدّثين، فيُقدّم معيار الصحة والشهرة الحديثية، ويُبنى الترتيب على أساس موضوعي وعقدي وفقهي.

ويمثل هذا المبحث محاولة لقراءة هذه الفوارق من منظور منهجي تحليلي، من خلال الوقوف عند ثلاثة محاور رئيسة:

- المعيار الحاكم في اختيار الأحاديث (الأثر التربوي مقابل الصحة الحديثية).
- طريقة تنظيم النصوص داخليًا (الترتيب الذوقي والمقامي مقابل الترتيب الموضوعي والعقدي).
- الموقف من الحديث الضعيف بين التوظيف التربوي والتحفظ العلمي.

وبذلك يهدف هذا المبحث إلى إبراز المنطق البنائي الذي يحكم بنية كتب الأربعينات، والذي يتجاوز ظاهر النص إلى عمق المنهج، ويُساعد في تفسير كيفية تلقي هذه الكتب، ودورها في البيئة العلمية والتربوية عبر التاريخ.

المطلب الأول: معيار الأثر السلوكي والروحي – معيار الصحة والشهرة:

يُعدّ معيار اختيار الأحاديث وتنظيمها الداخلي في كتب الأربعينات الحديثية من أهم ما يميز الاتجاهات التأليفية المختلفة، سواء عند الصوفية أو المحدثين. فكل مدرسةٍ علميةٍ انطلقت من تصوّرها للوظيفة الأساس للحديث النبوي، فرسخت بذلك معاييرَ مختلفة في الانتقاء والترتيب. ويمكن تمييز معيارين متباينين من حيث المنهج والغاية:

أولاً: معيار الأثر السلوكي والروحي عند الصوفية: تبنّى الصوفية في كتبهم الأربعينية منهجًا يقوم على اختيار الأحاديث التي تُحدِث أثرًا في النفس، وتستنهض الهمة الروحية للسالك. فكان المعيار الأساس في الانتقاء هو قوة الأثر التربوي، لا صحة الإسناد ولا كثرة الطرق.

مظاهر هذا المعيار:

1. اختيار الأحاديث ذات المضامين الزهدية والوجدانية: كأحاديث الإخلاص، والمراقبة، وحب الله، والتوبة، والخوف والرجاء.
2. الاهتمام بالمعنى قبل السند: لم يكن من أولويات المصنِّف الصوفي التحقق من صحة الإسناد، بل كان يكفيه موافقة الحديث لمعنى مقبول شرعًا ومجرب سلوكيًا.
3. الاستحضار الذوقي في الترتيب: يُرتّب الحديث بحسب "سُلَّم المقامات" الصوفي: من التوبة، إلى الورع، إلى الزهد، إلى التوكل، إلى الرضا... وهذا يعكس تصورًا تدرجيًا لطريق السالك.
4. توظيف الحديث كوسيلة للترقية الروحية: فالحديث ليس فقط مصدرًا للعلم، بل هو منبعٌ للأنوار، وجسرٌ إلى الله، لذا كانت العناية بالأحاديث "المؤثرة في القلب" أكبر من العناية بالأحاديث "الصحيحة في الصناعة."

نقد المنهج: رغم ما لهذا الاتجاه من أهمية في التزكية والتربية، إلا أن غياب التمحيص العلمي أوقع بعض المؤلفين في الاستشهاد بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، مما دفع بعض المحدثين إلى انتقاد هذه المؤلفات أو التعليق عليها.

ثانيًا: معيار الصحة والشهرة عند المحدثين:

في المقابل، انطلق المحدثون في تأليف كتب الأربعينات من منهج نقدي صارم، يركز على صحة الحديث، وشهرته، وثبوته سندًا ومتنًا، وكان هذا هو المعيار الأول عندهم في اختيار الحديث، ومظاهر هذا المعيار:

1. التحري في التصحيح والتضعيف: لا يدخل الحديث في الأربعين إلا إذا كان صحيحًا أو حسنًا في الجملة، أو على الأقل مشهورًا عند العلماء، أو عليه مدار أصل فقهي أو عقدي.
2. الاعتماد على تخريج دقيق: تُذكر مصادر الحديث من كتب السنة، مع تعقيبات على رجاله، وبيان درجته في بعض الحالات.
3. اختيار الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل العلم: مما يجعلها صالحة للتعليم، وضبط العلم، والاستدلال.
4. ترتيب الأحاديث وفق منهج تعليمي منطقي: كأن يبدأ بأحاديث العقيدة، ثم العبادات، ثم المعاملات، ثم الآداب، مما يجعل الكتاب نافعًا في الدراسة المنهجية.

نتائج هذا المعيار:

- تحقيق الضبط العلمي والموثوقية الحديثية.
- جعل الكتاب مصدرًا تأصيليًا صالحًا للتدريس، والشرح، والاستنباط الفقهي.
- صيانة الحديث من العبث أو التوظيف الذوقي الخاطئ.

المطلب الثاني: الترتيب الذوقي والمقامي – الترتيب الموضوعي والعقدي:

لا يقف الاختلاف بين كتب الأربعينات الصوفية والعلمية عند حدود نوع الأحاديث المنتقاة أو مقاصد التأليف، بل يمتد ليشمل طرائق الترتيب والتنظيم الداخلي لتلك الأحاديث داخل المؤلَّف، فكما أن المعيار الحاكم في الانتقاء متباين، فإن ترتيب الأحاديث يعكس بدوره رؤية المؤلف وفلسفته، ويُعبّر عن خلفيته العلمية أو الروحية، بين من ينظمها وفق مدارج السلوك والمقامات، ومن يصوغها في سياقات تعليمية وموضوعية.

أولًا: الترتيب الذوقي والمقامي عند الصوفية:

الصوفية لم ينظروا إلى ترتيب الأحاديث نظرةً شكلية أو محايدة، بل كان الترتيب نفسه جزءًا من التجربة التربوية والسلوكية التي يخضع لها المريد. فالنص الحديثي لديهم يُرتب وفق سُلَّمٍ روحانيٍّ متدرّج، يعكس مقامات الطريق الصوفي، لا الموضوعات الفقهية أو العقدية، ومظاهر الترتيب المقامي:

1. البدء بالتوبة والنية: باعتبار التوبة أول المنازل التي يدخل منها السالك، تليها النية والإخلاص.
2. الترقي إلى المقامات العليا: كالزهد، والتوكل، والرضا، والخشية، ثم الحب، والأنس، والمراقبة.
3. الترتيب بوصفه ذوقًا: في بعض الأحيان لا يعتمد الترتيب على منطق علمي صارم، بل على الذوق الخاص للمؤلف، وما يشعر أن الحديث التالي هو الأنسب تأمليًا للذي قبله.

أثر هذا الترتيب:

- يجعل الكتاب أشبه برسالة تهذيبية أو دليل للسلوك.
- ينسجم مع التصور الصوفي بأن الحديث مرآة القلب، وترتيبه يشبه ترتيب الواردات لا العناوين.

ثانيًا: الترتيب الموضوعي والعقدي عند المحدثين:

في المقابل، عمد المحدثون وأهل العلم إلى ترتيب الأحاديث ترتيبًا موضوعيًّا وتعليميًّا دقيقًا، يراعي قواعد التأليف الفقهي، والمنهج العقدي، والتدرج العلمي، ومظاهر هذا الترتيب:

1. البدء بأحاديث العقيدة وأصول الدين: لكونها قواعد عامة ومقاصد أساسية.
2. الانتقال إلى أبواب الفقه العملي: كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والحج، والمعاملات،... إلخ.
3. تخصيص أحاديث الآداب العامة في نهاية الكتاب: كأحاديث الصمت، والحياء، وحسن الخلق، والنصيحة، مما يختم الكتاب بأحاديث جامعة للسلوك الاجتماعي.
4. تقسيم واضح بحسب المباحث العقدية أو التشريعية: في كتب مثل "الأربعون في أصول الدين"، أو "الأربعون في دلائل التوحيد"، حيث يُبنى الترتيب على أبواب علم العقيدة: التوحيد، النبوة، اليوم الآخر، القدر... إلخ.

المطلب الثالث: موقف كل منهج من الحديث الضعيف:

يمثل الحديث الضعيف منطقة تباين حاد بين المنهجين الصوفي والعلمي في تأليف كتب الأربعينات الحديثية، إذ يتباين موقف كل فريق منه بحسب غايته من التأليف، وتصوراته عن معيار القَبول، ووظيفة الحديث ذاته: هل هو مصدرٌ للتشريع والمعرفة؟ أم وسيلةٌ للتزكية والتربية؟
لذا كان من الطبيعي أن يختلف تعاطي كل منهج مع الحديث الضعيف: بين تساهلٍ صوفيٍّ في قبوله إن أثمر أثراً في النفس، وتحرّزٍ علميٍّ عند المحدثين في قبوله أو الاستشهاد به إلا بشروط.

أولًا: موقف الصوفية من الحديث الضعيف:

1. التساهل في قبول الضعيف: اعتمد جمهور الصوفية في كتبهم الأربعينية على الحديث الضعيف بوصفه أداة تربوية وأخلاقية، لا وسيلة لتقرير عقيدة أو استنباط حكم فقهي، مستندين إلى ما اشتهر عند العلماء من جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال .ومن هذا المنطلق، لم يكن ضعف الإسناد مانعًا لديهم من إيراد الحديث، ما دام معناه سليمًا، ومضمونه نافعًا في التهذيب.

2. المعيار هو "أثر الحديث" لا قوته الإسنادية، وغالبًا ما يُقبل الحديث إذا:
- وافق الذوق الروحي والسياق التربوي.
- لم يكن مكذوبًا أو موضوعًا صريحًا.
- كان معناه مقبولًا في الشرع، أو ورد له شاهد من القرآن أو السنة الصحيحة.

3. غياب التحقيق النقدي: غالبًا ما يُسند الحديث دون عزو دقيق أو تخريج نقدي، بل يُكتفى بعبارات مثل "ورُوي عن النبي" أو "قال ﷺ"، فيغيب التفصيل الحديثي، لصالح التوظيف السلوكي.
4. انعكاسات هذا الموقف:
- إيجابًا: إغناء الجانب التربوي بأحاديث تُحرك القلوب وتبني الأخلاق.
- سلبًا: التساهل في نسبة الحديث إلى النبي ﷺ، مما قد يُدخل أحاديث واهية أو موضوعة في الخطاب التربوي، وهو ما تعقّبه المحدثون.

ثانيًا: موقف المحدثين من الحديث الضعيف:

1) الحذر الشديد والضبط المنهجي: اتسم موقف المحدثين بالصرامة في ضبط الأسانيد، وبيان درجات الأحاديث، فجعلوا من الصحة أو الحُسن شرطًا لإيراد الحديث في كتبهم، خاصة في أربعينات تتضمن أصولًا في الفقه أو العقيدة.
2) رفض الاحتجاج بالضعيف في العقائد والأحكام، وهو أصل من أصول منهج المحدّثين:
- الحديث الضعيف لا يُحتج به في العقيدة لأنه يتعلق بأصول الدين.
- ولا في الأحكام، لأنه مصدر تشريع، ما لم يُعضد بقرائن أو شواهد.

3) انعكاسات هذا الموقف:
- إيجابًا: حماية الحديث النبوي من الدخيل، وتوثيق السنّة بالسند الصحيح.
- سلبًا: حرمان بعض الجوانب التربوية من أحاديث مؤثرة وجدانيًا، إذا لم تثبت صناعيًا.

المبحث الثالث: الصناعة الحديثية ومنهجية الشرح

يُعدّ الحديث النبوي الشريف محورًا أساسيًّا في البناء المعرفي الإسلامي، ومن ثمّ فإن طريقة التعامل مع نصوصه، من حيث الصناعة الحديثية ومنهجية الشرح والتفسير، تمثل معيارًا دقيقًا في تمييز اتجاهات التأليف والمقاربات العلمية والذوقية على السواء، وفي سياق كتب "الأربعينات الحديثية"، تنكشف ملامح هذا التباين المنهجي بصورة واضحة بين من يتعامل مع الحديث كأصل للتحقيق والضبط العلمي، ومن يتلقّاه كمنبع للذوق والسلوك والتأمل الروحي، وفي هذا الإطار، يبرز الفرق الجوهري بين النزعتين الصوفية والعلمية في طريقة التعامل مع الحديث الشريف، ليس فقط في اختياره وتنظيمه، بل في مستوى التحرير الحديثي ومنهج الشرح والتوظيف؛ إذ تتسم الكتابات الصوفية غالبًا بحضورٍ إشاريٍّ وذوقيٍّ، يُعلي من الرمزية والروحانية، ويُراهن على الأثر القلبي في المتلقي، في حين تنزع المؤلفات العلمية – خصوصًا عند المحدثين والفقهاء – إلى الدقة في التوثيق، والنقد السندي، والشرح التحليلي الذي يستند إلى قواعد أصول الفقه واللغة، ومن ثمّ، يُعالج هذا المبحث ثلاثة أبعاد رئيسة تُظهر ملامح الصناعة الحديثية في كتب الأربعينات واتجاهات شُرّاحها:

1. حضور الإسناد ووظيفته: بين من يراه رمزيًّا للبركة والاتصال الروحي (الصوفي)، ومن يجعله أداة للتحقيق والتصحيح (العلمي).
2. منهجية الشرح والتفسير: بين الشرح الذوقي الإشاري، والشرح الفقهي اللغوي القائم على التحليل والاستدلال.
3. مستوى التوثيق والتحقيق النصي: بين من يكتفي بالنقل والتلقي، ومن يلتزم بالتخريج والتوثيق الدقيق للمصادر.

ومن خلال تحليل هذه الأبعاد، نستطيع الوقوف على المنطق المعرفي والتربوي الذي يحكم كلا الاتجاهين، وتحديد أثره في تشكيل العقل المسلم ذوقًا وفهمًا، سلوكًا وتأصيلاً

المطلب الأول: حضور الإسناد: رمزية وبركة (الصوفي) – توثيق وتحقيق (العلمي):
يمثل الإسناد في التراث الإسلامي أحد الخصائص الفريدة لعلوم الحديث، وقد أولاه العلماء اهتمامًا بالغًا بوصفه الضامن الأساسي لصحة النسبة إلى النبي ﷺ غير أن دور الإسناد ووظيفته في كتب الأربعينات الحديثية يختلف بين المنهج الصوفي والمنهج العلمي، من حيث الحضور، والغرض، وكيفية التوظيف، ففي حين تعامل المحدثون مع الإسناد بوصفه أداة للتحقيق والتوثيق والنقد، نظر إليه الصوفية نظرة رمزية وروحية، تتعلق ببركة السلسلة واتصالها القلبي، أكثر من تعلقها بالنقد الفني أو الضبط العلمي، وفي هذا السياق تتجلى الفوارق المنهجية التالية:

أولًا: الإسناد عند الصوفية: رمزية وبركة:

1. الإسناد أداة للتبرك والاتصال الروحي: في التصوف، يُنظر إلى الإسناد لا كمعيار نقدي، بل كـ"سلسلة روحية" تصل القلب بالقلب، والشيخ بالشيخ، والنور بالنور، إلى حضرة النبي ﷺ. وبالتالي فإن الإسناد يُقصد به البركة، والاستمداد، والانتساب، لا التحقيق والتوثيق.

2. الحضور الشكلي أو الإجمالي للإسناد:

- قد يُذكر الإسناد بإجمال دون تفصيل، أو بصيغة "أخبرني شيخي فلان عن شيخه فلان"، دون عناية بالضبط.
- لا يُلتزم غالبًا بذكر طبقات الإسناد بدقة، وقد يُستغنى عنه تمامًا إذا كان الحديث مشهورًا بين القوم.
- تغيب أدوات الجرح والتعديل، فلا يُوصف الراوي بثقة أو ضعف، ولا تُناقش العلل.

3. الهاجس الروحي: من التوثيق إلى الاستحضار

- يُنظر للإسناد على أنه وسيلة لاستحضار المعنى، والنور، والوصل بالجناب النبوي.
- حتى إن الحديث الموضوع أحيانًا يُورد إذا وافق المقصد التربوي، متجاهلين التحقيق السندي.

4. انعكاسات هذا الحضور:

- إيجابيًا: تعزيز معنى الصحبة النبوية الممتدة، وتقوية الرابطة القلبية مع النبي ﷺ.
- سلبيًا: تهميش الصناعة الحديثية، ودخول روايات غير محققة في المتون الصوفية.

ثانيًا: الإسناد عند المحدثين: توثيق وتحقيق:

1. الإسناد عمود الدين ومنهج الفحص:

اعتبر المحدثون أن الإسناد هو الوسيلة الأولى لحفظ السنة، وبُنيت عليه علوم الرواية كلها: الجرح والتعديل، العلل، المتابعات، الشواهد، اختلاف الروايات... إلخ.

2. الإسناد حاضر بتفصيل ونقد:

- يُذكر الإسناد كاملًا مع اسم كل راوٍ، وطبقته، ومكانته.
- يتم التدقيق في الاتصال والانقطاع، وعدد الطرق، واختلاف الروايات.
- يُتبع الحديث غالبًا بتخريج دقيق (رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود...) مع ذكر الدرجة (صحيح، حسن، ضعيف)

3. الصناعة النقدية المتصلة بالإسناد:

- الإسناد مدخل لتصنيف الحديث، وتحديد درجته، وتوجيه الفقه المستنبط منه.
- يتم تحليل الرواة: ثقة، صدوق، متروك، مع توثيق من كتب الرجال.
- يستخدم كأداة لبيان العلو، والزيادة، والتفرد، والاضطراب.

4. انعكاسات هذا الحضور:

- حفظ المرويات وضبطها على وجه الدقة.
- تقنين طرق الاستدلال الشرعي.
- صيانة السنة من التحريف والدخيل.

المطلب الثاني: الشرح الإشاري الذوقي – الشرح التحليلي الفقهي واللغوي:

تُعد منهجية شرح الحديث من أهم المؤشرات التي تعكس طبيعة الرؤية المعرفية للمؤلف، والمقصد الذي انطلق منه في بناء كتابه الأربعيني، فإذا كان نص الحديث مادةً مشتركة بين الاتجاه الصوفي والعلمي، فإن أسلوب شرحه هو الذي يكشف عن الفروق المنهجية العميقة في طريقة التناول والتفسير، وقد سلك المؤلفون في كتب الأربعينات اتجاهين متمايزين في شرح الأحاديث:

- اتجاه صوفي ذوقي إشاري، يُركّز على المعنى الباطني والتأويل الروحي.
- واتجاه علمي فقهي لغوي، يُعلي من التحليل المنضبط بالأصول والقواعد.

ويُظهر هذا المطلب المقارنة بين المنهجين، في ضوء نماذج تطبيقية وتحليلٍ دقيق.

أولًا: الشرح الإشاري الذوقي (عند الصوفية):

1. ملامحه العامة:

الشرح الإشاري الذوقي لا يقوم على تفكيك الألفاظ أو تتبع دقائق اللغة والفقه، بل يُعنى بـالمعاني الخفية والمقاصد القلبية الكامنة في الحديث، وينطلق المؤلف الصوفي من خلفية روحية تجعل الحديث مرآةً للسلوك، ومحطةً للتأمل، لا نصًا تقنيًا يُشرح بمصطلحات الفقهاء والمحدثين.

2. خصائصه:

- تأويل رمزي للعبارات قد يحمّل الحديث معاني إشارية تتجاوز الظاهر.
- تركيز على المعنى القلبي، بأن يُقرأ الحديث على ضوء مقامات السالكين: التوبة، الإخلاص، المحبة، الفناء...
- غياب البنية العلمية التقليدية لا نجد تقسيمًا فقهيًا أو لغويًا، بل خطابًا وجدانيًا تأمليًا، غالبًا بصيغة خطاب مباشر للمريد.
- استخدام اصطلاحات الصوفية، كالمقام، الحال، السير، البسط، القبض، الإلهام، الخاطر...

3. غاياته:

- إثارة الذوق والتجربة الروحية.
- تحفيز السالك على التأمل والتزكية.
- توظيف الحديث كأداة تهذيب لا تعليم.

ثانيًا: الشرح التحليلي الفقهي واللغوي (عند المحدثين والفقهاء):

1. ملامحه العامة

هذا الشرح يقوم على تفكيك الحديث إلى عناصره العلمية، مع ضبط ألفاظه لغويًا، وتحديد دلالاته الفقهية، وربطه بالقواعد والأصول.

2. خصائصه:

- شرح لغوي دقيق، ببيان معاني المفردات، وتصريف الألفاظ، وإعراب الجمل.
- تحليل فقهي ممنهج ،باستنباط الأحكام من ألفاظ الحديث، وذكر الخلاف الفقهي، وتحرير محل النزاع.
- ربط الحديث بالقرائن، كأحاديث أخرى تؤيده أو تقيده أو تخصصه.
- توظيف أدوات الأصوليين، كالعام والخاص، المطلق والمقيد، دلالة المفهوم، دلالة الاقتضاء...

3. غاياته:

- ضبط الفهم الشرعي للحديث.
- استخلاص الأحكام والاستدلال.
- توظيف الحديث في التقعيد والتدريس.

وخِتاما: يتّضح من خلال هذا المبحث أنَّ الفارق المنهجي بين التأليف الصوفي والعلمي في كتب الأربعينات الحديثية لا يكمن فقط في انتقاء الأحاديث أو ترتيبها، بل يتجلى بعمق في طريقة التعامل مع الحديث من حيث الصناعة والتحرير والشرح، فقد تميز المنهج الصوفي بالنزوع إلى الرمزية والإشارة والتلقي الذوقي، مما جعله يُعلي من قيمة الإسناد بوصفه رابطة روحية أكثر منه أداة توثيق، ويعتمد في الشرح على المعاني الباطنية والتأملات القلبية، مع ميل إلى الاكتفاء بالنقل والتلقين في التوثيق دون غوص في التحقيق النقدي.

وفي المقابل، حافظ الاتجاه العلمي المتمثل في المحدّثين والفقهاء على أُسس الصنعة الحديثية المعروفة من توثيق الأسانيد، وتخريج الأحاديث، وشرحها على ضوء التحليل اللغوي والفقهي والأصولي، مع التزام صارم بالتحقيق النصي وتوثيق الروايات وفق قواعد المحدثين.

وبذلك تتجلّى أمامنا رؤيتان متكاملتان للحديث النبوي:

- إحداهما تربوية تهذيبية تسعى إلى تزكية النفس وبناء القلب والروح.
- والأخرى علمية استدلالية تهدف إلى حفظ السنة واستثمارها في بناء المعرفة الشرعية.

وهذا التنوع مع اختلاف أدواته ومقاصده لا يُعبّر عن تعارض بقدر ما يعكس ثراء التراث الحديثي الإسلامي، واتساعه لمناهج متعددة تخدم السنة النبوية من جهات شتى، فجمعت بين نور الهداية، ونظام العلم، وذوق القلب، ودقة العقل.

الباب الرابع

الأسس النظرية والتاريخية للتصوف الإسلامي: دراسة في المفهوم والتطور والمقامات

يُعد التصوف الإسلامي أحد أبرز المكونات الروحية في التراث الإسلامي، وهو تعبير حيّ عن البُعد الإحساني في الدين، كما عبّر عنه النبي ﷺ في حديث جبريل بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وقد شكَّل التصوف، على امتداد التاريخ الإسلامي، تيارًا تربويًا عميقًا، جمع بين التزكية الفردية، والتأمل العقلي، والتجربة الذوقية، والسلوك الأخلاقي، وظهر التصوف أول ما ظهر في القرون الهجرية الأولى، كحركة زهدية إصلاحية تُعلي من شأن التقوى والورع، وتُقاوم الترف والانغماس في الدنيا، ثم ما لبث أن تطور إلى علم مستقل له أصوله ومصطلحاته ومدارسه، وانفتح على آفاق معرفية جديدة، حيث اقترن بالسلوك والمقامات، وأصبح له نظام تربوي واضح المعالم، ولم يكن التصوف وليد بيئة جغرافية أو ثقافية بعينها، بل كان استجابة روحية داخلية لفهم عميق لجوهر الإسلام، وامتدادًا لما عُرف في صدر الإسلام من الزهد، والخشية، والمراقبة، والورع .وقد تطوّر مع مرور الزمن، فظهر فيه علم الأحوال والمقامات، ونشأت مدارس ومذاهب، وتبلورت فيه رؤى معرفية وفلسفية عميقة، خاصة في مراحل لاحقة، ويُعَدّ تتبع الأسس النظرية والتاريخية للتصوف الإسلامي مدخلًا مهمًا لفهم المنهج الصوفي، لا بوصفه مجرد حالة روحية فردية، بل باعتباره بنية معرفية وتربوية متكاملة، لها أدواتها ومرجعياتها، وتاريخها الذي تأثر بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي عبر العصور.

وفي هذا الإطار، نسعى هذه الباب إلى تناول التصوف الإسلامي من خلال ثلاثة محاور رئيسة:

1. المفهوم: من خلال تحليل دلالات التصوف، وأصوله الشرعية.
2. التطور التاريخي: عبر تتبع المراحل الزمنية الكبرى التي مر بها التصوف.
3. علم المقامات: باعتباره الإطار العملي للسير والسلوك، والذي يمثل الهيكل التربوي لتدرج السالك في طريقه إلى الله عزوجل.

وتتجلى أهمية هذا المدخل في أنه يربط بين النظري والتاريخي والتطبيقي في بنية التصوف، مما يسمح بفهم أكثر عمقًا لهذا التيار الروحي، بعيدًا عن الصور النمطية، أو النظرات الاختزالية، ويُبرز التصوف بوصفه أحد أهم الأنساق الإسلامية في تربية النفس وبناء الشخصية الإيمانية.

الفصل الأول: المفاهيم الأساسية في التصوف الإسلامي

المبحث الأول: تعريف التصوف

المطلب الأول: التصوف لغة:

مصدر على وزن تفعّل، فهو مصدر اشتق من اسم، يعني لبس الصوف، فالتصوف :عبارة عن قصد طريق طائفة مخصوصة سموا بالصوفية، يتلبس بها فقيل فيه :إنه من باب تفعل، إذا دخل في الفعل كقولك: تقمص، إذا لبس القميص.[26]

المطلب الثاني: التصوف اصطلاحا:

قال: أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني(ت:322هـ) "هو: صفاء ومشاهدة"، وهذا التعريف جمع بين الوسيلة والغاية، فالوسيلة: الصفاء، والغاية: المشاهدة، فيكون التصوف من هذا التعريف طريق وغاية [27] ، والطريق هو: تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة، فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له. [28]

وإذا حصل ذلك كانت المشاهدة التي هي غاية التصوف.[29]

---

[26] الأُدفوي المصري، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب، **الموفي بمعرفة التصوف والصوفي**، تحقيق: محمد عيسى صالحية، (الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع 1408هـ) صـ34.

[27] عبد الحليم محمود، **قضية التصوف المنقذ من الضلال**، (القاهرة: دار المعارف2003م) صـ43.

[28] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة1402هـ) جـ3، صـ19.

[29] عبد الفتاح محمد سيد أحمد، **التصوف بين الغزالي وابن تيمية**، (مصر: دار الوفاء 1420هـ) صـ85.

المبحث الثاني: التصوف كعلم وممارسة

المطلب الأول: تعريف التصوف كعلم تربوي وأخلاقي:

أما تعريف التصوف كعلم فهو: علم يعرف به طريق الوصول إلى الله تعالى، بالزهد في الدنيا، والإعراض عن زينتها الفانية، وتهذيب النفس وتصفيتها، والانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة، والتخلق بالأخلاق الكريمة، ونبذ الأخلاق الذميمة، والسير على هدي الرسول ﷺ، والإعراض عن كل شيء يبعد عن الله تعالى. [30]

والصوفي هو: من اتصف بالصفات المحمودة في الشرع، وتخلق بالأخلاق الممدوحة، وإن بعُدَ منها الطبع، مُعرِضٌ عن الدنيا، مُقبلٌ على الأُخرى، سالك الطريق التي هي أولى بالمرء وأحرى. [31]

المطلب الثاني: أركان التصوف:

إن التصوف الإسلامي، كما هو منهج تربوي وأخلاقي، يقوم على أركان أربعة رئيسة تمثل دعائم السلوك إلى الله تعالى، وهي:

1. المجاهدة: محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب في الشرع، وحمل النفس مخالفة الهوى، وبذل المستطاع في أمر المطاع، وبذل الجد في القصد وصدق الجهد في العهد وقطع الراحة وإن تكثر من القلب جماحه[32] ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾العنكبوت[69] ، وهي أساس السير إلى الله، إذ لا يمكن تحصيل مقام أو حال إلا بمجاهدة.
2. التصفية: وهي تطهير القلب من أمراضه كالرياء، والحسد، والعجب، والتكبر، حتى يكون محلاً قابلاً لتجليات الأنوار الربانية.[33]
وقد عدّ الصوفية التصفية مدخلاً للوصول إلى صفاء السر والصدق في العلاقة مع الله، وهي غاية المجاهدة.

---

[30] محمد أحمد سالم، **قطوف من بساتين التصوف**، صـ26

[31] الأُدفوي، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب، **الموفي بمعرفة التصوف والصوفي**، صـ46

[32] عبد الرؤوف بن المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان(مصر: عالم الكتب، القاهرة 1410 هـ) صـ297.

[33] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **التبصرة**، (بيروت: دار الكتب العلمية 1406 هـ) جـ2، صـ208.

3. الإخلاص: وهو تصفية العمل من التهمة والخلل، والخلاص عن رؤية الأشخاص[34]، قال تعالى﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة [5]، والإخلاص عند الصوفية لا يتحقق إلا بتجريد النية وتجاوز شهود النفس في العمل، وهو لبّ الطريق كله.

4.المتابعة: وهي الاتباع الكامل لهدي النبي ﷺ، في القول والفعل والحال، إذ لا تصوف بدون سنة، فكل الطرق مسدودة إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ، والصوفية الأوائل كانوا شديدي الالتزام بالسنة، معتبرين كل خروج عنها ضلالًا، ولو ادعى صاحبه الكشف أو الولاية.

وتُعد هذه الأركان الأربعة بمثابة الأساس الذي يقوم عليه التصوف السني الصحيح، فهي تحقق توازنًا بين الظاهر والباطن، بين العمل القلبي والسلوكي، وتضمن للسالك طريقًا آمنًا يوصله إلى معرفة الله، دون انحراف أو بدعة.

المطلب الثالث: أهداف التصوف وغايته في تهذيب النفس:

إن التصوف الإسلامي لم يكن في جوهره إلا محاولةً عمليةً جادةً لإحياء البعد الأخلاقي والسلوكي في حياة المسلم، وقد حدد أهل التصوف غايات واضحة لطريقتهم يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. تهذيب النفس وتزكيتها: يُعدّ تهذيب النفس محور التصوف وأصله، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ الشمس [9، 10]، فالتصوف يعالج أمراض النفس كالكبر، والرياء، والحقد، والكسل، ويُحليها بالصفات المحمودة كالتواضع، والإخلاص، والرضا، والحياء.
2. الوصول إلى رضا الله ومعرفته: وهي غاية التصوف الكبرى، وبلوغ مقام القرب والمعرفة به، والمعرفة عندهم ليست معرفة عقلية أو نظرية، بل "ذوقية شهودية"، يصل إليها السالك بالتدرج والمجاهدة.
3. إقامة العبودية الكاملة: التصوف يعلّم الإنسان كيف يحقق العبودية الصادقة لله، في القول والعمل والنية والسلوك، حتى يصير عبدًا لله في السر والعلن.
4. التخلق بالأخلاق المحمدية: من أعظم أهداف التصوف أن يسير المريد على هدي النبي ﷺ في أخلاقه وهديه وزهده وعبادته.
5. تحرير القلب من التعلقات: فالتصوف يسعى إلى تحرير القلب من التعلّق بالدنيا، والخلق، والشهوات، حتى يصفو لله وحده، وهذا هو الفناء عن حظوظ النفس لا عن الوجود.

[34] عبد الرؤوف بن المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، صـ42.

فالتصوف غايته تزكية الباطن، وتحقيق مقام العبودية، والوصول إلى رضا الله. وهو بذلك طريق تربية شاملة تشمل النفس، والعقل، والسلوك، وتعيد الإنسان إلى فطرته الأولى، مسترشدة بالوحي، ومنضبطة بهدي الرسول ﷺ.

الفصل الثاني: تطوّر التصوف الإسلامي عبر العصور

المبحث الأول: الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين

المطلب الأول: جذور التصوف في عهد الصحابة والتابعين:

لقد مرَّ التصوف بمراحل مختلفة مُتمايزة لكلٍّ منها مميزاته وخصائصه، بل يكاد يكون لكلّ منها زمن معيَّن ظهر فيه، واسم الصوفي لم يظهر ولم يَشِع استعمالُه قبل المائتين، والحقيقة أنه لم يُوجد إلى ذلك العهد شيء يَنطبق عليه وصف التصوف بمعناه الدقيق؛ أي الحياة الروحية المنظَّمة ذات الأحوال والمقامات والمواجد والأذواق والإشراق، وإنما الذي وُجد هو الزهد .فلو فهمنا التصوف بمعناه العام، اعتبرنا الزهد أول دور من أدواره، ولم يكن الصوفي في هذا الدور يعرف باسم الصوفي، بل كان يطلق عليه اسم الزاهد أو العابد أو الفقير أو الناسك أو القارئ، والقراء اسمٌ قديمٌ للزهاد.[35]

ولم يكن لهذه الألفاظ معنًى زائد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة والفقر والزهد في الدنيا بعض مظاهر ذلك، فأساس الزهد في العصر الأول كان الفقر وإنكار الذات وهجر الدنيا، أو على الأقل تحقيرها، مع مراعاة دقيقة لآداب الشريعة وأوامرها، وبهذا المعنى نستطيع أن نعدَّ النبي عليه السلام والصحابة والتابعين من الزُّهَّاد وكان زهدهم من النوع البسيط الذي لا يعدو ما ذكر مع استِشعار شديد بالخوف من الله وعذابه، والرجاء في جنَّته وثوابه، والمبالغة في تقدير المعصية. [36]

ولم يكن الزهد في هذا العصر الإسلامي المبكِّر حركة من الحركات الدينية، ولا مذهبًا من المذاهب، ولا نظامًا جماعيًّا، بل كان نزعة فردية رائدها الدين وحده؛ القرآن وسنة الرسول ﷺ وفي ذلك يقول ابن خلدون: إنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف، فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة. [37]

---

[35] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **تلبيس إبليس**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر1421هـ) صـ160

[36] أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي2020م) صـ77

[37] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحاته، سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر1401هـ) جـ1، صـ611

ولكن سرعان ما تحول هذا الزهد البسيط إلى زهد عميق معقَّد، وأصبحت له حياة منظمة وقواعد وشروط وشيوخ؛ فقد ظهر بعد الزهاد الأوائل زهاد آخرون سموا أنفسهم بأسماء مختلفة: كالقُصاص والبكَّائين والوعاظ، وأصبح لهؤلاء حلقات يَعقدونها للوعظ والقصص والتعليم، صارت فيما بعد نواة لمدارس الزُّهاد التي بدأت تظهر بعد القرن الأول الهجري بقليل، وهنا أصبح الزهد حركة دينية واتجاهًا خاصًّا في الحياة،ومن مُميزات هذا الزهد الجديد المبالغة في ناحيتَين؛ الناحية التعبُّدية التي ظهرت في المبالغة في النوافل والذِّكر، والناحية الأخلاقية التي أهم مظاهرها التوكُّل الذي هو أساس الأخلاق الصوفية جميعها، كالزهد في الدنيا والاشتغال بالله وحده ومراعاته في كل فكر وعمل، وترك الكسب والتطبب، وعدم الاكتراث بحظوظ النفس ومدح الناس وذمهم، وقد ظهر في هذه الحقبة من الزمن مدرسة المدينة ومدرستا البصرة والكوفة على التوالي.[38]

وفي أخريات القرن الثاني الهجري تحوَّل الزهد إلى التصوف وولد في الإسلام علم جديد في مقابل علم الفقه، أو بعبارة أدق: انقسم علم الشريعة إلى قسمين؛ علم الفقه الذي يبحث في الأحكام التي تجري على الجوارح، وعلم التصوف الذي يبحث في باطن الشريعة وتفهُّم أسرارها، والنظر في العبادات وأثرها في النفوس وما يترتَّب عليها من أحوال نفسية وفوائد روحية، وكان بدء هذا التحول في البصرة التي كانت مركزًا للزهاد والمحاربين لاستعمال الطقوس الدينية والتقاليد، مُعتبِرين الزهد أمرًا باطنيًّا وصلةً روحيةً صرفةً بينهم وبين الله، مخالفين في ذلك أهل الشام الذين كانوا يُعظمون من شأن هذه الطقوس والتقاليد. [39]

وأول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (المُتوفَّى سنة177 هـ) من أصحاب الحسن البصري، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار؛ ولهذا كان يقال:" فقهٌ كوفيٌّ وعبادة بصرية". [40]

وهنا تدرَّجَ التصوف من زهدٍ بسيط لا قواعد له ولا أصول غير قواعد الدين وأصوله، إلى حياة روحية منظَّمة مؤسسة على قواعد مرسومة، وعلى أساليب من الرياضات والمجاهَدات مقررة، وعلى دراسة لأحوال النفس لمعرفة أمراضها وعِلَلها، ثم معالجة هذه الأمراض والعلل، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء القرن الثاني تقريبًا، وأهم مميزاته :الزهد المنظَّم، والرضا والتوكل، ومن أشهر من ظهر فيه من الصوفية :إبراهيم بن أدهم(المُتوفَّى سنة161 هـ)، ومعروف الكرخي

---

[38] أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية** صـ78.

[39] المصدر نفسه صـ81.

[40] ابن تيمية، **الصوفية والفقراء، تحقيق: محمد جميل غازي، (جدة: دار المدني**) صـ15

(المُتوفَّى سنة200 هـ)، ورابعة العدوية البصرية (المتوفَّاة سنة185 هـ)، وداود بن نصير (المُتوفَّى سنة165 هـ) ، والفضيل بن عياض المُتوفَّى(سنة189 هـ).[41]

المطلب الثاني: خصائص مرحلة الزهد المبكر:

أولا: تقوم هذه المرحلة على فكرة مجانبة الدنيا من أجل الظفر بثواب الآخرة واتقاء عذاب النار، استنادا إلى تعاليم القرآن والسنة.

ثانيا: أن هذا الزهد كان زهدا عمليان ولم يهتم أصحابه بوضع القواعد النظرية له، ومن وسائله العملية العيش في هدوء وبساطة تامة.

ثالثا: في أواخر هذه المرحلة بدا الناس يتحدثون عن المراقبة والإحسان والإخلاص والتقوى ومحاسبة النفس ومراقبة حق الله والصدق في معاملته.[42]

---

[41] أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية** ، صـ78

[42] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع 1399هـ) صـ90؛ محمد أحمد سالم، **قطوف من بساتين التصوف** ،صـ68

المبحث الثاني: مرحلة الأحوال والمقامات والكشف (القرنان الثالث والرابع)

المطلب الأول: التحول من الزهد إلى التصوف المنظّم:

لقد دخل التصوف في هذه المرحلة في دور جديد هو دور المَواجد والكشْف والأذواق، ويقع هذا الدور في القرنين الثالث والرابع اللذَين يُمثلان العصر الذهبي للتصوف الإسلامي في أرقى وأصفى مراتبه، وكان الدور السالف دور انتقال كما قلنا، اعتبر فيه التصوف طريقًا من طرق العبادة يتناول أحكام الدين من ناحية معانيها الباطنية وآثارها في القلوب، فكان بذلك مقابلًا لعلم الفقه الذي يَتناول ظاهر العبادات، فأصبح في هذا الدور طريقًا لتصفية النفس وتحصيل المعرفة في مقابل طريقة أهل النظر من المُتكلِّمين، ولم يقف الأمر عند القيام بالرياضات والمجاهَدات بقصد تحصيل الأحوال والمقامات، بل اتخذ الصوفية من طريقهم وسيلةً للكشف عن معاني الغيب وأداةً لتحصيل المعرفة الذوقية التي لا وسيلة لغيرهم إلى إدراكها؛ ولذلك أطلقوا على علمهم أسماء جديدة تُشير إلى هذا المعنى، فسمَّوه علم الأسرار وعلم المكاشَفات وعلم الأحوال والمقامات وعلم الأذواق وما شاكل ذلك. [43]

وظهر في هذه المرحلة التدوين في التصوف، ومن أقدم من صنف فيه المحاسبي(المتوفى سنة243هـ) ، والخراز(المتوفي سنة277 هـ) ، والحكيم الترمذي(المتوفى سنة285 هـ)، والجنيد(المتوفى سنة297 هـ)، وكلهم جميعا من صوفية القرن الثالث. [44]

وتميز التصوف عن علم الفقه من ناحية الموضوع والغاية والمنهج، يقول ابن خلدون :وصار علم الشّريعة على صنفين :صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامّة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النّفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفيّة التّرقّي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات الّتي تدور بينهم في ذلك، فلمّا كتبت العلوم ودوّنت وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتّفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطّرقة في طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النّفس على الاقتداء في الأخذ والتّرك[45] .

وأصبح التصوف في هذه المرحلة طريقا للمعرفة بعد أن كان طريقا للعبادة وأصبح له اتجاهين:

الاتجاه الأول: التصوف السني، يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة، ويربطون أحواله ومقاماته بهما.

---

[43] أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية**، صـ82

[44] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، صـ95

[45] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، جـ1، صـ613

الاتجاه الثاني: التصوف شبه الفلسفي، ينزع أصحابه فيه إلى الشطحيات، وينطلقون من حال الفناء إلى إعلان الاتحاد أو الحلول. [46]

وظهرت في هذا الدور مدارس صوفية كثيرة ونبغ فيه من كبار المشايخ من لا يُحصَون عدًّا، وهي مدارس تتلاقى عند المعالم العامة في الطريق الصوفي، وتختلف اختلافًا قليلًا في اتجاهات وتفاصيل مذاهبها، وأهم هذه المدارس على الإطلاق: مدرسة بغداد ومؤسسها أبو عبد الله الحارث المحاسبي(المُتوفَّى سنة243 هـ)، ومدرسة مصر والشام: ومؤسسها ذو النون المصري (المُتوفَّى سنة245 هـ)، ومدرسة نيسابور: ومؤسسها حمدون القصار(المُتوفَّى سنة 271هـ). [47]

المطلب الثاني: خصائص مرحلة الأحوال والمقامات والكشف:

أولا :اكتمال التصوف من الناحية النظرية والعملية.

ثانيا: كان الطابع العام لهذه المرحلة طابعا نفسيا أخلاقيا.

ثالثا: ظهور بعض النظريات الفلسفية كنظرية الحلول التي أعلنها الحلاج.

رابعا: بداية التدوين في التصوف الإسلامي.

---

[46] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، صـ145

[47] أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية**، صـ83

المبحث الثالث: حركة الإصلاح في القرن الخامس الهجري

المطلب الأول: ظهور الاتجاه السنّي الإصلاحي في التصوف:

تعد هذه المرحلة تجديدا للتصوف الإسلامي وإصلاحا لما أفسدته الفلسفة وانتصارا للتصوف السني، واختفاء للتصوف الفلسفي وهذا يرجع إلى غلبة مذهب أهل السنة والجماعة الكلامي (الأشاعرة والماتريدية)، ومحاربته الغلو الذي ظهر في التصوف من أصحاب الشطحات، وكل أنواع الانحرافات الأخرى التي بدأت تظهر في ميدان التصوف، ولذلك اتخذ التصوف في القرن الخامس اتجاها إصلاحيا واضحا، على أساس من إرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة، ويعتبر القشيري والهروي من أبرز صوفية هذا القرن الذين نحوا بالتصوف هذا المنحى السني، ونهج نهجهما في الإصلاح الإمام الغزالي في النصف الثاني من هذا القرن، ويكتب بذلك الانتصار للتصوف الإسلامي السني، فينتشر على نطاق واسع جدا في العالم الإسلامي، وتستقر دعائمه زمنا طويلا في المجتمعات الإسلامية [48] ،ويلحق بهؤلاء الإمام أبو منصور معمر بن أحمد الأصبهاني الذي كان له قدم كبير في إصلاح التصوف الإسلامي، ويتضح ذلك من خلال كتابه نهج الخاص، الذي تحدث فيه عن المقامات الصوفية، وغيره من مؤلفاته العلمية القيمة

المطلب الثاني: خصائص مرحلة الإصلاح في القرن الخامس الهجري:

أولا: ظهور الاتجاه الإصلاحي للتصوف على أساس إرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة.

ثانيا: اختفاء العنصر الفلسفي الذي ظهر في المرحلة السابقة على يد الحلاج.

ثالثا: أصبح التصوف طريقا للمعرفة ووسيلة يستعان بها على تحقيق السعادة. [49]

رابعا: ظهور مصنفات منهجية في التصوف السُّني ومن أبرزها: (إحياء علوم الدين للغزالي، والرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري، ونهج الخاص لأبي منصور الأصفهاني).

---

[48] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، صـ145

[49] محمد أحمد سالم، **قطوف من بساتين التصوف**، صـ76

الفصل الثالث: البنية الروحية للتصوف: المقامات والأحوال

المبحث الأول: مقامات التصوف

إن التصوف الإسلامي في أول تكونه العلمي كان أخلاقا دينية، فمن الطبيعي أن يكون مصدره الأول إسلاميا، فقد استُمِد من القرآن الكريم والسنة ومن أحوال الصحابة وأقوالهم، على أن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن تخرج عن نطاق الكتاب والسنة، وبهذا يكون المصدران الأساسيان للتصوف في الحقيقة هما القرآن والسنة، ومنهما استمد الصوفية أول ما استمدوا آرائهم في الأخلاق والسلوك ورياضاتهم العملية التي اصطنعوها من أجل تحقيق هدفهم من الحياة الصوفي قال الطوسي: وللصوفية أيضا تخصيص من طبقات أهل العلم، باستعمال آيات من كتاب الله متلوه، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرويه، ما نسختها آية، وما رفع حكمها خبر ولا أثر، يدعوا ذلك إلى مكارم الأخلاق ويبحث عن معالي الأحوال وفضائل الأعمال، وينبئ عن مقامات عالية في الدين[50] ، اقتداء بالنبي وصحابته ومن تبعهم، وهذا كله على حد تعبيره موجود علمه في كتاب الله -عزوجل- وطريق السلوك إلى معرفة الله يبدأ بمجاهدة النفس أخلاقيا، ويتدرج السالك له في مراحل متعددة تعرف عندهم بالمقامات والأحوال، وينتهي من مقاماته وأحواله إلى المعرفة بالله، وهي نهاية الطريق. [51]

ويعني الصوفية بالمقام مقام العبد بين يدي الله فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات، ومن أمثلة المقامات التوبة والزهد والورع والفقر والصبر والرضا والتوكل وما إلى ذلك، أما الأحوال فهي ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات ومن أمثلة الأحوال عندهم :المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك. [52]

---

[50] الطوسي، أبو نصر السراج، **اللمع**، تحقيق:عبد الحليم محمود،وطه عبد الباقي سرور،(مصر: دار الكتب الحديثية1380هـ) صـ31.

[51] التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، صـ38.

[52] المصدر نفسه (صـ39).

المطلب الأول: تعريف المقام لغةً واصطلاحًا:

المقامات لغة: جمع مقامة ومقامات الناس: مجالسهم، ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة، ويقال: أقمت بالمكان مُقاما وإقامة، ومن هنا فالمقام يعني المجلس أو المكان الذي يتخذه الإنسان في اجتماعه، هذا بالنسبة للشيء المحسوس، أما الشيء المعنوي الذي يقابل المحسوس فإنما يعني ما يسير عليه العبد في حياته من دوام الذكر والتوبة والصبر وغيرهم من المقامات والفضائل المحمودة التي حث عليها الإسلام والتي تحتاج إلى المجاهدة الروحية. [53]

المقام اصطلاحا:

عرف الغزالي المقام فقال: هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال، فهو مقامه حتى ينتقل منه إلى غيره. [54]

وقال القشيري: أن المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له، وشرطه ألا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام. [55]

ويقول الدكتورعبد الحليم محمود: المقامات هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله، فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدا في إطارها حتى يهيئ الله سبحانه وتعالى له سلوك الطريق إلى المنزل الثاني، لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف إلى أشرف ومن سام إلى أسمى، وذلك مثلا كمنزل التوبة الذي يهيئ إلى منزل الورع، ومنزل الورع يهيئ إلى منزل الزهد، وهذا حتى يصل الإنسان إلى منزل المحبة، وإلى منزل الرضى، وهذه المنازل لا بد لها من جهاد وتزكية، [56]فهي إذا مكتسبة بالمجاهدة والرياضة ولايصل إليها العبد إلا بالعمل والمثابرة وجهاد النفس [57].

---

[53] أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي 2001م) جـ9، صـ270؛ البربري، محمد محمد بيومي، **الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي- دراسة تحليلية-**، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، مجلد41، عدد41، ديسمبر2022م، صـ151

[54] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **الإملاء في إشكالات الإحياء، إحياء علوم الدين**، جـ5،صـ320.

[55] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، تحقيق:عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، (القاهرة: دار المعارف) جـ1، صـ153.

[56] عبد الحليم محمود، **قضية التصوف المنقذ من الضلال**، صـ48.

[57] عبد الفتاح محمد سيد أحمد، **التصوف بين الغزالي وابن تيمية**، صـ86.

المطلب الثاني: أشهر المقامات عند الصوفية (نظرات متعددة):

1. قال شقيق البلخي (ت:194هـ) في كتابه آداب العبادات: إن المنازل التي يعمل فيها أهل الصدق هي أربع منازل: أولها الزهد، والثاني الخوف والثالث الشوق إلى الجنة، والرابع المحبة لله، وهذه منازل الصدق. [58]

وهذا أول قول يتعرض لمقامات التصوف، وسمها منازل أهل الصدق لعدم شيوع مصطلح التصوف أو الصوفية، أو المقام أو الحال في هذا الوقت المبكر، وتأتي هذه الرسالة سابقة على كل من :أبي سليمان الدارني (ت:215هـ)، وذو النون المصري (ت:246هـ)،وفيها نجد موقف ورؤية شقيق البلخي حيث يقدم ترتيبًا منهجيا ويبين بطريقة واضحة الترتيب الداخلي للحركة الروحية نحو الله عزوجل، حيث يوضح في رسالته "منازل أهل الصدق"، وبوضوح تام التقدم من مرحلة إلى أخرى وحال المؤمن في كل مرحلة من المراحل، وفى كل مرحلة يميز بين أمرين الفعل أو ما يمكن أن نسميه المجهود البشري من ناحية، والهبة الإلهية الواردة بعد الفعل المجهود البشري من ناحية أخرى، ويطلق على الأخير اسم النور كنور الزهد، ونور الخوف، ونور الشوق، ونور المحبة، ولم يكتف شقيق البلخي في هذه الرسالة بترتيب وتوضيح المنازل الأربع التي يعمل فيها أهل الصدق فقط، بل رتب وقسم أيضا أصناف أهل الصدق ثلاثة أقسام فقال: صنف منهم بمنزلة الزهد والخوف، لا يخرجون منها ولا يعرفون غيرهما، وصنف منهم في منزل الشوق إلى الجنة لا يعرفون فوقها منزلة، ولا يخرجون منها، وصنف منهم قد قطعوا المنزلتين إلى الله جميعا، فصاروا في روح الله ورحمته وصارت قلوبهم معلقة بربهم يتلذذون بمناجاته إذا خلوا به، ويعرضون على قلوبهم ما يرجون من رحمته وملاطفته، وهو الغالب على قلوبهم، هو في الدنيا أنسهم وسكونهم وسرورهم وفرح قلوبهم، فإذا أردت أن تبصر بقلبك نور الله فارفع عن قلبك خمسة أشياء:

أولهن: رد المظالم.

والثانية: تقديم الفضل من القوت.

والثالثة: أن تخالف هواك في جميع ما لا يكون لله فيه رضا.

والرابعة: أن لا تخاف الفقر .

---

[58] اليسوعي، بولس نويا، **نصوص صوفية غير منشورة**، (بيروت: دار المشرق، 1982م) صـ17.

والخامسة: أن لا تبالي ما قال الناس فيك من خير أو شر، وعند ذلك يحيى قلبك وتنظر بنور الله تعالى. [59]

2. قد ذكر يحيى بن معاذ الرازي (ت:258 هـ) أحد متصوفة القرن الثالث الهجري المقامات الصوفية سبع مقامات فقال: الدرجات التي يسعى إليها أبناء الآخرة سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضا، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة، فبالتوبة تطهروا من الذنوب، وبالزهد خرجوا من الدنيا، وبالرضا ألبسوا قراطن العبودية، وبالخوف جازوا قناطر النار، وبالشوق إلى الجنة استوجبوها، وبالمحبة عقلوا النعيم، وبالمعرفة وصلوا إلى الله، وهو في البحر السابع، ولا يزالون فيه أبد الآبدين في الدنيا والآخرة. [60]

3. ذكر أبو نصر السراج الطوسي (ت:378 هـ) في كتابه اللمع في التصوف أن المقامات سبع على الترتيب التالي :التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا.

4. ذكر أبو بكر الكلاباذي (ت:380هـ) في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف سبعة عشر مقاما سلوكيا: التوبة، الزهد، الصبر، الفقر، التواضع، الخوف، التقوى، الإخلاص الشكر، التوكل، الرضا، اليقين، والذكر، الأنس، القرب، الاتصال، المحبة.

5. قد عدّ أبو طالب المكي (ت:386 هـ) في كتابه القيم قوت القلوب تسع مقامات للتصوف: التوبة، والصبر، الشوق، الرجاء، الخوف، الزهد، التوكل، الرضا، المحبة.

6. ذكر أبو عبد الرحمن السلمي (ت:412 هـ) في كتاب درجات المعاملات أكثر من أربعين مقاما: التوبة، الإنابة، التقوى، الخوف والرجاء، الزهد، التوكل الإخلاص، الوفاء الفقر، الجود والسخاء، التفكر، الحياء، العناية، الرضا، التصوف، الخلق، الزيارة، السماع الوجد والوجود والتواجد، الحق والحقيقة، المعرفة، اليقين، التفريد، الفراسة، المحبة، الصدق الشوق، علم اليقين وعين اليقين، الموافقة، المشاهدة، الأنس، السكر، الفناء والبقاء، الجمع والتفرقة، ويذكر المؤلف نفسه في كتاب سلوك العارفين تسعة عشر مقاما: التوحيد، التوبة، الورع، الزهد، الخوف، الرجاء، الصبر، الرضا، التوكل، المجاهدة، الحياء والإرادة، الفقر، المكاشفة، الفناء، والبقاء، التمكين، الجمع والتفرقة

7. .ذكر أبو منصور الأصبهاني (ت:418 هـ) في كتابه نهج الخاص أربعين مقاما: التوبة الإرادة، الصدق، الإخلاص، المحاسبة، الورع، الزهد، التوكل، الفقر، الصبر، الرضا،

---

[59] بولس نويا، **نصوص صوفية غير منشورة**، صـ21-22؛ حسن، أحمد حسن أنور، **شقيق البلخي ومراحل الطريق الصوفي من التوبة إلى منازل أهل الصدق**، وداي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، مجلد12، عدد12لسنة2016م ، صـ375-376

[60] أبو نعيم، احمد بن عبد الله الأصبهاني. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (القاهرة: مطبعة السعادة 1394هـ) جـ10، صـ64

الخوف الرجاء، المعاملة، الرعاية، الأدب، الرياضة، الفتوح، الرغبة، الرهبة، الحقيقة، المحبة، الشوق السماع، الوجد، الحركة، السكون، الطمأنينة، المشاهدة، المراقبة، المكاشفة، السر، اليقين المعرفة، التصوف، الغيرة، المكر، الغربة، الورود، الهمة.

8. قد جمع أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي(ت:481هـ) في كتابه منازل السائرين المقامات الصوفية في عشرة أقسام رئيسية، وقسم كل جزء من تلك الأقسام إلى عشرة أبواب، فيكون المجموع مائة باب (مقام):

القسم الأول: البدايات: اليقظة، التوبة، المحاسبة، الإنابة، التفكر، التذكر، الاعتصام، الفرار، الرياضة، السماع.

القسم الثاني: الأحاسيس الإيمانية: الحزن، الخوف، الإشفاق، الخشوع، الإخبات، الزهد، الورع، التبتل، الرجاء، الرغبة.

القسم الثالث: المعاملات: الرعاية، المراقبة، الحرمة، الإخلاص، التهذيب، الاستقامة، التوكل، التفويض، الثقة، التسليم.

القسم الرابع: الأخلاق: الصبر، الرضا، الشكر، الحياء، الصدق، الإيثار، الخلق، التواضع، الفتوة، الانبساط.

القسم الخامس: الأصول: القصد، العزم، الإرادة، الأدب، اليقين، الأنس، الذكر، الفقر، الغنى، مقام المراد.

القسم السادس: الأودية: الإحسان، العلم، الحكمة، البصيرة، الفراسة، التعظيم، الإلهام، السكينة، الطمأنينة، الهمة.

القسم السابع: الأحوال: المحبة، الغيرة، الشوق، القلق، العطش، الوجد، الدهش، الهيمان، البرق، الذوق.

القسم الثامن: الولايات: اللحظ، الوقت، الصفاء، السرور، السر، النفس، الغربة، الغرق، الغيبة، التمكن.

القسم التاسع: الحقائق: المكاشفة، المشاهدة، المعاينة، الحياة، القبض، البسط، السكر، الصحو، الاتصال، الانفصال.

القسم العاشر: النهايات: المعرفة، الفناء، البقاء، التحقيق، التلبيس، الوجود، التجريد، التفريد، الجمع، التوحيد.

المطلب الثالث: أسباب التفاوت في عدد المقامات:

ظهر في تراث التصوف الإسلامي تفاوت بيّن في عدد المقامات التي يذكرها شيوخ الطريق، واختلاف في ترتيبها وأسمائها، وهو أمر أثار اهتمام الباحثين والدارسين لمناهج السلوك عند أهل التصوف، ويمكن إرجاع هذا التفاوت إلى عدة أسباب منهجية ومعرفية، تتعلق بطبيعة المقامات نفسها، وبمنهج التأليف، وباختلاف مشارب المتصوفة بين المتقدمين والمتأخرين.

أولًا: الإجمال والتفصيل: السبب الأول والأوضح في تفاوت عدد المقامات يعود إلى منهج الإجمال والتفصيل في العرض والتقسيم، فقد اكتفى بعض أئمة التصوف بذكر المقامات على سبيل الإجمال، دون تفصيل للمنازل والدرجات الداخلة تحت كل مقام، فاقتصروا على ذكر مقامات كبرى جامعة، مثل: التوبة، والزهد، والصبر، والتوكل، والرضا، والمراقبة، وغيرها، فجاءت أعداد المقامات لديهم محدودة.

أما طائفة أخرى من المتصوفة، وخاصة المتأخرين، فقد عمدوا إلى تفصيل المقامات وتفريعها، فجعلوا لكل مقام منازل ومراتب، وفصلوا القول في دقائق الأعمال القلبية والسلوكية، فبلغ عدد المقامات عندهم أحيانًا عشرين، أو أربعين، أو سبعين، بل وصل إلى مائة مقام كما في بعض التصنيفات الرمزية التي تهدف إلى الإحاطة بمسيرة السالك.

ثانيًا: اختلاف المنهج بين المتقدمين والمتأخرين: تُظهر الكتابات الصوفية أن المتقدمين من أئمة القوم لم يكونوا يميلون إلى حصر المقامات بعدد معيّن، ولم يعتمدوا منهج الترتيب أو التقسيم المرقّم، بل كانت مقاماتهم تنبثق عن تجاربهم الروحية وسلوكهم القلبي، فتأتي إشاراتهم إلى المقامات عفوية، مستندة إلى الممارسة والذوق، لا إلى التصنيف والتقعيد.

وقد اتسم كلامهم بالاختصار والبركة، والتركيز على الجوهر لا على الشكل، كما نجد عند أمثال: الجنيد، وسهل بن عبد الله التستري، وأبي عثمان النيسابوري، وأبي طالب المكي، ويحيى بن معاذ الرازي، وأبي منصور الأصفهاني، وغيرهم، حيث نجدهم يتحدثون عن المقامات من حيث حقيقتها، وأثرها في القلب، وآفتها، وما يقطع السالك عنها، وما يميّز عامّها من خاصّها، دون أن يحصروا عددها أو يلتزموا ترتيبًا زمنيًا أو تربويًا صارمًا.

في المقابل، اتجه المتأخرون إلى تقعيد المقامات وتقسيمها وترتيبها، وغلب على مصنفاتهم الطابع التعليمي والمنهجي، كما في "منازل السائرين" للهروي، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، و"مدارج السالكين" لابن القيم، وغيرهم، ويعود ذلك إلى تطور التصوف من التجربة الفردية إلى المدرسة المنظّمة، وظهور الطرق الصوفية التي احتاجت إلى نظام تربوي تدريبي واضح المعالم.

ثالثًا: المقامات ليست حدودًا جامدة: من الأسباب المهمة أيضًا أن المقامات ليست جواهر منفصلة، بل هي أحوال متداخلة، ومراحل مرنة في الطريق إلى الله - تعالى- فربما يدخل مقام في مقام، وتندرج منزلة تحت منزلة، وقد يُعبّر عن المعنى الواحد بأسماء متعددة بحسب حال السالك.
رابعًا: اختلاف الاصطلاح والتجربة: من الأسباب أيضًا اختلاف الاصطلاح الصوفي باختلاف البيئات والمشارب، فكل شيخ من شيوخ الطريق قد يصوغ تجربته بلغة خاصة، وقد يُطلق على مقام اسمًا لم يُشِر إليه غيره، أو يجعل من حالٍ مقامًا، أو العكس، بحسب ذوقه، وتجربته، ومخاطَباته مع تلامذته.

خامسًا: الحكمة في عدم الحصر عند المتقدمين: ويُلاحظ أن المتقدمين من أئمة التصوف كانوا يتعمّدون عدم الحصر والتقييد، لأنهم يرون أن المقامات أحوالٌ قلبية لا تُحاط بتحديد عددي، ولا تنتهي عند حد، وهي تختلف باختلاف القلوب، وصفاء الأرواح، وصدق الطلب.

وخِتاما: يرجع السبب في تفاوت عدد المقامات المذكورة إلى الإجمال والتفصيل، فهناك من ذكر المقامات بإجمال فكان العدد قليلا، وهناك من ذكرها بالتفصيل، والأَولى: الكلام في هذه المقامات على طريقة المتقدِّمين من أئمّة القوم كلامًا مطلقًا في كلِّ مقامٍ ببيان حقيقته، وموجَبه، وآفته المانعة من حصوله، والقاطع عنه، وذكر عامِّه وخاصِّه، فكلامُ أئمة الطّريق هو على هذا المنهاج لمن تأمَّله، كسهل بن عبد الله التُّسْتَريِّ، وأبي طالب المكي والجنيد بن محمد، وأبي عثمان النَّيسابوري، ويحيى بن معاذ الرَّازي؛ وأرفعَ من هؤلاء طبقةً مثل أبي سليمان الدَّارانيِّ، وعون بن عبد الله الذي كان يقال له حكيمُ الأمّة، وأضرابهما؛ فإنّهم تكلَّموا على أعمال القلوب وعلى الأحوال كلاما مفصّلا جامعا مبيَّنا مطلقا، من غير ترتيب، ولا حصر للمقامات بعدد معلوم، فإنّهم كانوا أجلَّ من هذا، وهممُهم أعلى وأشرف، إنّما هم حائمون على اقتباس الحكمة والمعرفة، وطهارة القلوب، وزكاة النُّفوس، وتصحيح المعاملة، ولهذا كلامُهم قليلٌ فيه البركة، وكلامُ المتأخِّرين كثيرٌ طويلٌ قليل البركة. [61]

[61] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، **مدراج السالكين في منازل السائرين**، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، (الرياض: دار عطاءات العلم 1441هـ) جـ1، 213.

المبحث الثاني: أحوال السالكين

المطلب الأول: تعريف الحال لغةً واصطلاحًا:

الحال لغة :الوقت الذي أنت فيه والكساء يحتش فيه واللبن وحال الدهر صرفه وحال الشيء صفته وحال الإنسان ما يختص به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية والعجلة يعلم عليها الصبي المشي والحال في الطبيعة كيفية سريعة الزوال من نحو حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة عارضة، وعليه فالحال إنما هو صفة يتحلى بها الصوفي وذلك ؛لأنها تتعلق بالمحسوس وغيره من الأمور المعنوية. [62]

الحال اصطلاحا:

أما الحال فيقول الإمام الغزالي: الحال هو منزلة العبد في الحين فيصفوا له في الوقت حاله ووقته، وقيل :الحال هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه، فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال. [63]

ويقول الإمام الطوسي :الحال ما يحل بالقلوب أو تحل القلوب به صفاء الأذكار.[64]

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود :الأحوال هي النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمر تاركة عطرا، تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجه، وذلك مثل :الأنس بالله. [65]

---

[62] (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1392هـ جـ1، صـ209؛ البربري، محمد محمد بيومي، **الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي- دراسة تحليلية**، صـ150.

[63] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **الإملاء في إشكالات الإحياء، إحياء علوم الدين**، جـ5،صـ320.

[64] الطوسي، أبو نصر السراج، **اللمع**، صـ66

[65] عبد الحليم محمود، **قضية التصوف المنقذ من الضلال**، صـ49

المطلب الثاني: الفرق بين الحال والمقام:

لقد فرق الصوفية بين المقام والحال تفرقة دقيقة فالمقام عندهم يتصف بالثبوت، أما الحال فزائل والمقام يحصل للسالك بكسبه وإرادته على حين أن الحال وارد عليه دون تعمد منه، وإلى هذا قال القشيري في رسالته مبينًا الفارق بدقة:" الحال معنى يرد على القلب من غير تعمّد من الصوفية، ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم؛ من طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبة، أو احتياج، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍّ عن حاله ". [66]

فالمقام أشبه بما يرتكز عليه السالك ويستقر فيه، أما الحال فهو ما يرد عليه عَرَضًا ويغشاه، وقد يبقى أو يزول، وليس له عليه سلطان، وللتفصيل ما يلي:

أولا: المقام مكسب، والحال موهبة: من الفروق الجوهرية التي عليها جماهير الصوفية أن:

المقامات تُنال بالمجاهدة، والنية، ومحاسبة النفس، والتدرج في الطاعات، فهي من جنس المكاسب، أما الأحوال، فهي مما يفيضه الله على عباده من رحمته، فهي من جنس المواهب.

لذا قالوا: "الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب"، وهذا تعبير لطيف عن أن الحال لا يُطلب، بل يُوهب، بينما المقام يُطلَب ويُكتَسَب.

والمقامات يُرتقى فيها من الأدنى إلى الأعلى، ولا يُترقى من مقام إلا بعد التمكّن في سابقه، بخلاف الأحوال التي يمكن أن تُشرق على القلب بغير ترتيب زمني أو سببي.

ثانيا: الثبات مقابل الزوال: ومن الفروق أيضًا أن المقام ثابت ومستقر ما دام صاحبه فيه، فهو بمنزلة المرحلة التي يُقيم فيها السالك، أما الحال، فهو طارئ وزائل ومتقلّب، لا يملكه صاحبه، بل يطرأ عليه فجأة ويزول فجأة، ولذا شبّهوه بـ"البرق" الذي يلمع ثم يخبو."

ولذلك فإن الثبات هو سمت أهل المقامات، بينما الاضطراب والتقلب من سمات من غلبت عليهم الأحوال.

ثالثا: أثرهذا الفرق في المنهج التربوي الصوفي: يُرتب الصوفية على هذا التفريق آثارًا تربوية دقيقة، من أهمها:

لا ينبغي للسالك أن يتعلق بالحال أو يسعى لتحصيله، لأن الحال لا يُطلب، بل يُراقب ويُتأدب معه، دون أن يتّكل عليه أو يُعجب به.

---

[66] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، جـ1، صـ154

بل عليه أن يسعى لتحصيل المقامات، لأنها الميدان الحقيقي للمجاهدة، وتزكية النفس، وتقويم السلوك.

فمن رُزق حالًا، فليحمد الله عليه، ولكن ليحرص على المقام، لأنه هو الزاد الباقي، والسند المتين في طريق الله - تعالى- ومصدر هذه المقامات والأحوال مستند إلى شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية، فتستند مجاهدة النفس التي هي بداية الطريق إلى الله -عزوجل - إلى آيات مثل: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾العنكبوت[69]

وقَالَ تَعَالَى :﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ النازعات [41 - 40]

المطلب الثالث: الأحوال كمنح ربانية في طريق السلوك:

يُعدّ مفهوم الأحوال من المفاهيم الأساسية في علم التصوف، وهو وثيق الصلة بالسير والسلوك إلى الله تعالى، إذ تعبّر "الأحوال" عن التجليات القلبية والمقامات الشعورية التي يفيض بها الله تعالى على السالكين، فتكون عونًا لهم على المضيّ في الطريق، وشاهدًا على صدقهم، وإن لم تكن من مكتسباتهم، وهي مواهب ومِنح من الله، لا تكون بكسب ولا طلب، بل يفيضها الله على عباده بحسب استعدادهم وصفاء قلوبهم، فهي أمور غير مكتسبة، عارضة وزائلة، بخلاف المقامات التي هي مكتسبة وثابتة، مما يُظهر الفارق بين الاثنين.

1. طبيعة الأحوال ووظيفتها التربوية: تُعدّ الأحوال بمثابة مؤشرات إلهية تدل السالك على أنه في الطريق، وهي بمثابة مواساة ربانية، وعطايا خاصة لمن صدق في سعيه وصدق في توبته.
ومن ثمّ فهي منح ربانية، وليست مطالب يُسعى لتحصيلها مباشرة، وإذا سعى السالك لتحصيل الحال، ربما انحرف عن المقصد، فالأحوال لا تُنال بطلب، وإنما تُمنح بفضل، ومن ثم كان السالك يُطالب بالثبات عند ورودها، والشكر عليها، دون الاغترار بها أو التعلق بها، إذ إن العبرة بالثبات في المقام لا بالتقلب في الأحوال.
2. الأحوال بين التجلي والاختبار: لا تخلو الأحوال من وظيفة تربوية، فهي ليست مجرد لذة روحية، بل هي اختبار للسالك: هل يشكر أم يغترّ؟ هل يثبت أم يتذبذب؟ وقد يُبتلى السالك بانقطاع الأحوال عنه فجأة، وهو ما يُعرف بـ"سحب الأحوال"، ليختبر الله صدق العبد في الطريق، وليربيه على المجاهدة والثبات دون انتظار عطاء أو لذة.

وإن الأحوال الصوفية ليست غاية في ذاتها، وإنما هي مِنح في الطريق، تُعين السالك على المواصلة، وتزيده شوقًا وصدقًا، لكنها لا تُغني عن المجاهدة، ولا تُعفي من المحاسبة، ومن أدب السالك في الأحوال أن يشكر الله عليها، وألا يتعلّق بها، بل يتعلّق بمن منحها، فإن زالت لم يتغيّر، وإن وردت لم يغترّ، وكان دائمًا عبدًا لا حالًا.

الباب الخامس

كتب الأربعينات الحديثية في التصوف الإسلامي: دراسة في النشأة والمقاصد والمنهج

مدخل: لقد تميَّز التراث الإسلامي بظاهرة فريدة في التدوين الحديثي، هي ظاهرة "الأربعينات الحديثية في التصوف"، وهي جمع أربعين حديثًا نبويًا تحت موضوع معين أو غاية مخصوصة بالتصوف، **و**منذ أن نشأت حركة التصوف في الإسلام كتيار روحي وتربوي، حرص الصوفية على تأسيس خطابهم الشرعي والوجداني على الأحاديث النبوية، واعتبروها ـ إلى جانب القرآن الكريم ـ أساس الطريق، وقد أخذ الصوفية بسنن أهل الحديث في التلقي والتدوين، ولكنهم ميّزوا أنفسهم بتوظيف الحديث في سياقات الذوق، والتزكية، والمراقبة، والأخلاق.

ومع ازدهار الكتابات الصوفية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بدأ بعض أعلام التصوف يتوجهون إلى جمع أحاديث منتقاة ذات صلة بمقامات السلوك ودرجات الإحسان، وجعلوها أساسًا للتربية الروحية، وهو ما مهد لنشأة الأربعينات الصوفية.

ولقد لعب البُعد التربوي دورًا جوهريًا في تشكُّل فكرة الأربعينات الحديثية في التصوف، حيث وجد المشايخ في جمع أربعين حديثًا وسيلة مختصرة لنقل "لُباب السنة" إلى المريدين والمبتدئين في الطريق، فكانوا يختارون الأحاديث التي تتصل بإصلاح الباطن، وتهذيب الأخلاق، وتعظيم الإخلاص، والصبر، والتوكل، والزهد، والمحبة، والرضا، وغيرها من مقامات السير إلى الله، وقد يكون أول من فتح هذا الباب أبو عبد الرحمن السلمي (ت: 412هـ) في مؤلفاته الحديثية ذات الطابع الصوفي، أو من جاء بعده ممن نسجوا على منواله، كما يظهر في "الأربعين " للإمام أبي منصور الأصفهاني (ت:418هـ)، وأبي نعيم الأصفهاني (ت:430هـ)، وهم من أوائل من صرّحوا بهذا المنهج.

وليس التأليف في الأربعينات الصوفية مجرد تصنيف شكلي، بل له عدة مقاصد:

1. الوظيفة التربوية: تهذيب النفس وفق الهدي النبوي، وتيسير العلم على المريدين.
2. إحياء السنة في قالب ذوقي: تقديم الحديث النبوي مشفوعًا بشروح روحية وإشارات رمزية.
3. خدمة المقامات والسلوك: ضبط مسار السالكين عبر نصوص نبوية موثوقة.
4. مقصد الذكر والحفظ: عدد الأربعين يسهل استظهاره وتكراره في المجالس.
5. مقصد الانتساب للنبي ﷺ :إذ في جمع الحديث نوع من التشرّف بخدمة السنة.

الفصل الأول: منهج الصوفية ودوافعهم في تصنيف الأربعينات الحديثية

المبحث الأول: منهج التصنيف عند الصوفية

إن منهجهم لا يقوم على الترتيب المعلوماتي المجرد أو التنظيم الأكاديمي التقليدي فحسب، بل ينبني على رؤية روحية ذوقية، تُراعي مقتضيات السلوك وتربية النفس، ومن ثم، اتّسمت كتاباتهم في الأربعينات بجملة من الخصائص المنهجية التي تميزهم عن غيرهم من المصنفين في هذا المجال، وفيما يلي عرض لأبرز هذه الخصائص:

المطلب الأول: التوظيف التربوي للأحاديث:

لم يكن همّ الصوفي في جمع الأربعين مجرد عرضٍ للحديث أو نقله، بل كان يقصد به توجيه المريد عمليًّا نحو تهذيب النفس وترقية المقام، فالأحاديث المختارة ليست محصورة في التصنيف الموضوعي التقليدي (كالصلاة أو الصيام أو الزكاة)، وإنما تُنتقى بحسب مقامات الطريق مثل:(التوبة- الإخلاص-الزهد-التوكل-المحبة)، ويقوم المؤلف بربط كل حديث بمقام سلوكي، إما بالشرح أو الإشارة أو الترتيب، بحيث تصبح الأربعون كأنها خريطة تربوية مضغوطة لمسار السالك إلى الله، ولذلك تميّز منهج الصوفية في جمع الأربعينات بتركيز واضح على البعد التربوي للنصوص النبوية، إذ لم يكن غرضهم من انتقاء الأحاديث مجرد عرض الفضائل أو جمع الروايات، بل توظيف الحديث الشريف كأداة سلوكية عملية، تُعين السالك على تزكية نفسه، وتُرشده في منازل الطريق إلى الله تعالى، وقد قامت هذه الوظيفة التربوية على ثلاثة أبعاد أساسية:

1. اختيار الأحاديث ذات الدلالة الأخلاقية والسلوكية: ركّز الصوفية في مؤلفاتهم الأربعينية على الأحاديث التي تعالج أمراض القلوب، وتدعو إلى تخليق النفس، وتحث على المجاهدات الباطنية، كالزهد، والإخلاص، والتواضع، والصبر، والمحبة، والخوف من الله، والرضا بقضائه.

2. إسقاط الأحاديث على واقع السالكين: تُشرح هذه الأحاديث – في الشروح الصوفية – ليس من منظور فقهي أو لغوي بحت، بل في سياق حياة السالك اليومية، وسعيه لتطهير قلبه، وكبح شهواته، وتحقيق مراتب التزكية، فيُربط النص النبوي بمقامٍ بعينه، ويُطلب من المريد مُراقبة نفسه في ضوء هذا الحديث، والعمل به لا حفظه فقط فالحديث مرآة السالك، يتأمل فيها حاله.

3. جعل الحديث منطلقًا لبناء المنازل والمقامات: في التصوف، تُبنى المقامات الروحية بناءً على الأدلة الشرعية، لا على الذوق المجرد، ومن ثم فإن الحديث الشريف هو الأصل والمنطلق، والذوق والشرح تبع له، فكل مقام من مقامات الطريق – كالتوبة، والورع، والخشية، والمحبة – يجد في الحديث النبوي أساسه التربوي ومثاله الأعلى.

وهكذا تصبح الأربعينات الصوفية مجموعة من المفاتيح النبوية التربوية، تُفتح بها أبواب المقامات، ويُرشد بها المريد في سيره، وتُختصر له بها مراحل الطريق، بل يُربى على أن يعمل بكل حديث قبل الانتقال إلى غيره، كما قال الجنيد:"طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة".

وذلك التوظيف التربوي للحديث في أربعينات المتصوفة يعكس فهمًا عميقًا لوظيفة السنة النبوية في تربية النفس وتهذيبها، كما يعكس قدرة هؤلاء على الربط بين النص والمقام، وبين القول والعمل، وبين المعرفة والذوق .ولم تكن الأحاديث تُقدّم في هذه المؤلفات لمجرد البركة أو الثقافة، بل كانت تُصاغ وتُشرح وتُرتّب لتُصبح مناهج سلوك عملي وتطبيق تربوي مباشر في حياة المريدين.

المطلب الثاني: العناية بالترتيب الذوقي لا الموضوعي:

غالبًا ما يميل المتصوفة إلى ترتيب الأحاديث أو النصوص بحسب التدرج الروحي أو الذوقي، لا بحسب التقسيم الفقهي أو الأكاديمي. وقد يبدأ المؤلف بالأحاديث التي تحث على التوبة، ثم يثني بما يتعلق بالمجاهدة، ثم الرضا، ثم المحبة، وهكذا، مما يُحاكي مراحل "الترقّي" في الطريق الصوفي، ويُعد هذا الترتيب انعكاسًا لمنهج "السير إلى الله"، الذي يقوم على الترقي التدريجي في المقامات، لا على تصنيف المعارف نظريًّا.

ومن الخصائص المنهجية اللافتة في تأليف الأربعينات عند المتصوفة ميلهم إلى الترتيب الذوقي الداخلي بدلًا من الترتيب الموضوعي الخارجي، فهم لا يصنّفون الأحاديث أو الأقوال وفق أبواب فقهية تقليدية (كالعبادات، المعاملات، النكاح... إلخ)، وإنما يرتبونها على وفق تسلسل المقامات والمنازل الروحية، أو بحسب ما يوحي به الذوق التربوي واحتياج السالك في كل مرحلة من مراحل سيره إلى الله تعالى.

وهذا الترتيب يُعبر عن تصور خاص لهيكلة المعرفة التربوية، يقوم على:

1. مراعاة التدرج في السير والسلوك: يراعي المؤلف الصوفي في ترتيبه أن السالك يبدأ عادةً بـ"التوبة"، ثم ينتقل إلى "الورع"، فـ"الزهد"، ثم "الصبر"، ثم "الرضا"، ثم "المحبة"، وهكذا. فيجعل كل حديث يخدم مقامًا بعينه، ثم يليه حديثٌ يتناول المقام الذي يليه في الطريق، كأنما يُنشئ خريطة ذوقية تربوية متدرجة، وهذا التدرج يُشبه التراتب التربوي في مناهج التعليم، لكنه في التصوف تراتُب وجداني وسلوكي يُبنى على تجربة القلب.

2. تجاوز القيود التصنيفية التقليدية: يتجاوز هذا النهج ما اعتاده المحدثون من تصنيف الأحاديث تحت أبواب ظاهرة، مثل: "باب الصوم"، "باب الصلاة"، "باب الأدب"، ليُنشئ بدلاً من ذلك أبوابًا تحاكي بنية النفس ومراحل السير، مثل:(باب التوبة والخشية- باب المحبة والأنس- باب الصبر والرضا)، فهو ترتيب باطني المعنى، يخاطب القلب والروح، لا الذهن والحافظة فقط.

3. الانقياد للإلهام الذوقي لا للمنهج المدرسي: في بعض المؤلفات، يظهر أن المؤلف لا يتبع ترتيبًا منطقيًا صارمًا، بل يرتّب الأحاديث بحسب ما يفتح الله عليه من المعاني عند التأمل، أو ما يراه مناسبًا لذوق المريد في ذلك المقام، مما يجعل الترتيب انعكاسًا لتجربته الشخصية وتكوينه الروحي،وذلك لأن "الترتيب الذوقي" لا يمكن قياسه بمعايير المناهج المدرسية، لأنه يستجيب للطبائع المختلفة للمريدين، ومنازلهم المتفاوتة، وهذا من أسرار نفع هذه المؤلفات في الواقع التربوي الحي.

واعتناء الصوفية بالترتيب الذوقي لا الموضوعي في تأليف الأربعينات يُعد تعبيرًا عن منهجية تربوية باطنية تستبطن حركة القلب لا حركة العقل فقط، وهو ترتيب نابع من إدراكهم لحقائق السير والمقامات، لا من تصورات نظرية بحتة، ومن ثمّ، جاءت كتبهم مُفعمة بالروح، متناسبة مع وجدان السالك، ومستجيبة لحاجة كل مريد بحسب درجته، وهذا ما منحها خلودًا تربويًّا وثراءً سلوكيًّا لا تزال آثاره قائمة إلى اليوم.

المطلب الثالث: شرح الأحاديث شرحًا إشاريًّا ذوقيًّا:

يتميز الشرح الصوفي للأربعينات بطابعه الذوقي والإشاري، حيث لا يقف عند المعاني الظاهرة للنصوص، بل يتوغّل في أعماقها ليُخرج منها معاني باطنية تخدم المقصود التربوي، ويظهر في هذا الشرح أثر ما يُعرف في علم التصوف بـ"فهم الخواص"، الذي يتجاوز ظاهر الكلام إلى مقاصده الخفيّة.

ومن أبرز السمات المنهجية في تأليف الأربعينات عند المتصوفة اعتمادهم على الشرح الإشاري الذوقي للأحاديث، وهو شرح يتجاوز ظاهر النص إلى مستوياته الخفيّة والرمزية، مستمدًا من الذوق والتجربة الروحية، ومقاصد السلوك القلبي، ويختلف هذا الشرح عن الشروح اللغوية أو الفقهية من حيث المقصد والوسيلة، إذ يركز على ما تحدثه الأحاديث من أحوال في القلب، لا فقط على ما تُقرره من أحكام عقلية أو تشريعية.

ويقوم هذا النوع من الشرح على عدّة أسس:

1. استبطان المعاني الخاصة في النص النبوي: يرى المتصوفة أن كلام النبي ﷺ – وإن كان ظاهرُه موجَّهًا إلى عموم الناس – يحمل معاني خاصة لأهل السلوك والخصوص، تُستخرج بالتأمل الصادق، وتذوق أحوال القلب، مما يفتح أبوابًا من الفهم لا تُدرك بالعقل المجرد.

2. استخدام المصطلحات الصوفية في الشرح: يُلاحظ في هذه الشروح توظيف مصطلحات التصوف ومقامات السلوك، مما يمنح الحديث أبعادًا خاصة، مثل:(التوحيد، الفناء، البقاء، المشاهدة، اليقظة، المحبة، المحو، التجلي، السرّ، إلخ)، فإذا ورد حديث في التوكل، شرحوه بمصطلحات المقام، وبيّنوا الفرق بين التوكل الظاهري والتوكل الحقيقي، وربطوه بحال "إسقاط التدبير"، كما في قولهم: "التوكل ترك الاختيار."

3. إيضاح المقصود من الحديث بالتجربة الذوقية: يشرح الصوفي الحديث لا بوصفه معلومة محفوظة، بل تجربة محققة في النفس والوجدان، فهو قد ذاق المقام الذي يتحدث عنه الحديث، ويُعبر عنه من الداخل، لا كمجرد ناقل، وهذا ما يجعل شرحه ينبض بالحياة الروحية، ويُؤثر في القارئ تأثيرًا وجدانيًّا.

وقد أشار الهروي في "منازل السائرين" إلى هذا المعنى بقوله:"الفهم عن الله على قدر الصدق في التوجُّه إليه."

4. اعتماد الإيجاز والإشارة بدل التفصيل والتحليل: الشرح الصوفي كثيرًا ما يأتي موجزًا، مشبعًا بالمعنى، قابلًا للتأمل، لا يغرق في التحليل اللفظي أو الفقهي، بل يُركّز على الإشارة الدالة والعبارة الواجزة .

ولذلك فإن الشرح الإشاري الذوقي للأحاديث في كتب الأربعينات عند الصوفية يُعدّ تعبيرًا عن منهج تربوي ومعرفي خاص، يقوم على الاستمداد من النور النبوي لا من العقل النظري، وعلى التحقق بالحال لا الاكتفاء بالمقال .وهو شرح ينبع من القلب، ويُوجَّه إلى القلب، يحمل معاني الذوق، وأسرار التزكية، وروح الطريق. وبهذا النوع من الشروح، تحوّلت النصوص النبوية إلى مرايا ذوقية تُرِي السالكين نفوسهم ومنازلهم، وتُرشدهم إلى ربهم بحكمة وإشارة.

المطلب الرابع: استخدام المزج بين النصوص الشرعية والحِكم الصوفية:

من خصائص المؤلفات الصوفية في الأربعينات أنها لا تقتصر على الحديث النبوي وحده، بل تمزج بين:(أحاديث نبوية- آثار صوفية- أقوال حكماء ومرشدين-أبيات شعرية ذات طابع ذوقي)، وهذا المزج يُعبّر عن فهم موسّع للنص التربوي، حيث تتكامل مصادر التزكية وتتناغم لتخدم بناء النفس وتوجيه السلوك، مما يمنح المؤلف بعدًا أدبيًّا وروحيًّا إضافيًّا.

وهذا من الخصائص المنهجية البارزة في التأليف الصوفي بالأربعينات اعتماد منهج المزج بين النصوص الشرعية (من الكتاب والسنة)، والحِكم والمقولات الصوفية، وذلك بطريقة لا تفصل بين النقل والعقل، ولا بين الشرع والذوق، بل تُنتج خطابًا تربويًّا مركبًا، يؤسّس على النص ويُضيئه بالحكمة، ويستند إلى الوحي ويكمّله بالتجربة.

فقد أبدع المتصوفة في تأليفاتهم الأربعينية عبر مزجٍ فريد بين النصوص الشرعية والحِكم الصوفية، مما أنتج بنية تربوية مزدوجة تجمع بين المرجعية والانسياب، والصرامة والمرونة، والدلالة والانفعال، فالنص يُثبّت المعنى، والحكمة تُضيئه، والشعر يُشحنه وجدانيًّا، وبهذا المزج الذكي، نجحوا في تقديم خطاب تربوي شامل يخاطب العقل والقلب والوجدان معًا، ويُعين المريد على الفهم والعمل والتذوق.

المطلب الخامس: التركيز على الاختصار والتكثيف المعنوي:

تميل هذه الكتب إلى الإيجاز في العبارة والتكثيف في الدلالة، حيث يُعرض الحديث أو الحكمة دون إطناب، بل في صورة موجزة يسهل حفظها وترددها، وقد يُكتفى أحيانًا بسطر واحد يحمل دلالة روحية عميقة، تُلهم المريد وتغنيه عن صفحات من الشرح، لذلك يُلاحظ في كثير من كتب الأربعينات الصوفية اعتماد أسلوب الاختصار اللفظي والتكثيف المعنوي، وهو أسلوب يقوم على تقليل العبارة وتكثير الإشارة، بحيث تُختزل المعاني الكبيرة في عبارات موجزة، تُسهّل الحفظ، وتُحفّز على التأمل، وتفتح المجال أمام المريد لاستبطان المقامات بنفسه، وهذا أسلوب نابع من قناعة صوفية راسخة مفادها أن المعاني الروحية لا تُستوعب بالإطناب، بل بالصدق والتلقي، والتذوق والذِّكر، وقد ظهر التكثيف الصوفي في صور متعددة، منها:

1. الاقتصار على متن الحديث أو الحكمة دون شروح طويلة: يعمد بعض مؤلفي الأربعينات إلى ذكر الحديث أو الحكمة مجردة دون شرح موسّع، ثقةً بأن الذوق السليم، والمجالسة الروحية، والذكر الصادق ستُنتج الفهم الحقيقي.

2. استعمال الجُمَل ذات البنية المكثفة والدلالة المركبة: كثير من الحِكم الصوفية التي تُدرج ضمن الأربعينات تأتي على صيغة جُمل قصيرة ذات تركيب لغوي بسيط، لكنها تحتمل أعماقًا ذوقية ومعنوية.

وميل المتصوفة إلى الاختصار والتكثيف المعنوي في مؤلفاتهم الأربعينية يعكس وعيًا عميقًا بطبيعة التربية الصوفية، التي لا تقوم على التلقين اللفظي وحده، بل على الذوق، والمجالسة، والإشارة، والتأمل الشخصي .فقد جعلوا من العبارة القليلة مفتاحًا لمعنى واسع، ومن الكلمة المجردة بابًا إلى مقام، فكانت كلماتهم قليلة الألفاظ، كثيرة الأنوار، بعيدة الإشارة، عميقة الأثر.

وخِتاما: إن الخصائص المنهجية لتصنيف الأربعينات الحديثيةعند الصوفية تعكس رؤية متكاملة للتربية الروحية، تعتمد على التدرج، والرمز، والتكثيف، والربط بين المعنى والسلوك، وقد أصبحت هذه الكتب أدوات فعالة في يد شيوخ التربية، يجمعون فيها زبدة الطريق، وخلاصة المقامات، ويربّون بها النفوس على المعاني، لا على الكلمات وحدها.

المبحث الثاني: دوافع الصوفية في تصنيف الأربعينات الحديثية

إن التأليف بالأربعينات لدى الصوفية لم يكن مجرد تقليد للنهج الحديثي أو مسايرة لنمط شائع، بل كان تعبيرًا عن رؤية تربوية وروحية عميقة، تستهدف إصلاح النفس، وترقية السلوك، وتيسير طريق السالكين إلى الله -عزوجل- وقد تضافرت جملة من الدوافع التي حملت الصوفية على هذا النمط من التصنيف، نعرض أبرزها فيما يلي:

المطلب الأول: خدمة السلوك الأخلاقي والتربوي:

يُعدُّ السلوك الأخلاقي والتربوي محورًا رئيسًا في بنية التصوف الإسلامي، حيث تنصبُّ عناية المتصوفة على تزكية النفس وتطهير القلب وتهذيب الجوارح، باعتبار ذلك السبيل الأقوم إلى القرب من الله - تعالى- ومن هذا المنطلق، اتجه بعض أعلام التصوف إلى جمع أربعينات حديثية أو حكمية تمثّل خلاصة التجربة الأخلاقية الإسلامية، وتُترجم القيم السلوكية إلى نصوص عملية تصلح لتكوين السالك.

ولقد أدرك المتصوفة أن تربية المريد لا تتم بكثرة العلوم ولا بسرد المفاهيم المجردة، بل عبر الإحاطة بمجموعة مركزة من المبادئ الأخلاقية التي تمس القلب والضمير، وتحفّز الإرادة . فجاء جمع الأربعينات تلبية لهذا الغرض، إذ يُنتقى فيه عدد محدود من الأحاديث أو الآثار، يتركز على مقامات أخلاقية بعينها مثل: (الصدق والإخلاص- الزهد والورع- الصبر والرضا)

وتُعرض هذه النصوص في سياق تربوي واضح، يعتمد على التكرار، والإشارة، والاستشهاد، وغالبًا ما يُقرن كل حديث بشرح ذوقي موجز يربطه بسلوك السالك وتربيته.

وبذلك، تحقق هذه الأربعينات هدفًا مزدوجًا:

1. اختزال المبادئ التربوية في عدد يسير يسهل ضبطه والعمل به.
2. غرس المفاهيم الخُلقية في المريد على نحو تدريجي ممنهج.

المطلب الثاني: نقل المقامات الروحية عبر الحديث:

اهتم المتصوفة بجمع الأربعينات لأجل نقل المقامات والأحوال الروحية التي تمثل معالم السير إلى الله - تعالى- وقد وجدوا في الحديث النبوي الشريف مادة غنية تتضمن إشارات دقيقة إلى منازل السلوك، بدءًا من التوبة والانكسار، وانتهاءً بالمحبة والمعرفة والرضا، وكان جمع الأحاديث للتوظيف التربوي العملي لهذه النصوص بما يخدم مسار التزكية والترقي الروحي.

وفي هذا السياق، لا يُقرأ الحديث عند المتصوفة باعتباره نصًّا تشريعيًّا مجردًا، بل يُقاربونه بروحٍ ذوقية عالية، فيستخرجون من ألفاظه الإشارات والمعاني الإشارية التي تنفع السالك، وتوقظه، وتضيء له الطريق. فمثلاً:

وتتميز هذه الطريقة الصوفية في نقل المقامات الروحية عبر الحديث بخصائص عدة:

1. التركيز على المعاني الداخلية للنص النبوي دون الوقوف عند ظاهره التشريعي فقط.
2. الربط بين المقام والسلوك العملي للمريد، وجعل الحديث دليلاً تطبيقيًّا على كل منزلة.
3. الشرح التربوي الذوقي الذي يفتح للحديث آفاقًا جديدة من التأمل والارتقاء.

وبهذا، فإن جمع الأربعينات عند الصوفية يعد أداة فعالة في توصيل معاني المقامات، وتيسير حفظها، وتنزيلها على الواقع السلوكي، مستمدين ذلك من نور النبوة، وأسلوب الحديث الشريف، ومعانيه الروحية العميقة.

المطلب الثالث: التربية بالقدوة والرمز:

من أبرز الخصائص التربوية التي استثمرها المتصوفة في تصنيف الأربعينات اعتمادهم على القدوة الصالحة والرمز التربوي، بوصفهما أداتين مركزيتين في التأثير الروحي، وبناء النموذج الأخلاقي في ذهن المريد، فلم تكن الأحاديث المنتقاة في هذه المؤلفات مجرد نصوص تعليمية أو مفاهيم نظرية، بل كانت تحمل في طيّاتها صورًا حية للقدوة النبوية، وتجسيدًا رمزيًّا للمقامات السلوكية التي ينبغي للمريد أن يسلكها.

وقد تنوعت صور "القدوة والرمز" في هذه الكتب على النحو الآتي:

1. النبي ﷺ كأنموذج تربوي جامع: ركزت كثير من الأربعينات الصوفية على شمائل النبي ﷺ وسلوكه وأدبه مع الله - تعالى- وقد جمع بعضهم أربعينات كاملة في وصف أخلاقه وعبادته و زهده ﷺ وكان الهدف من ذلك ترسيخ صورة الأسوة العملية في وجدان السالك، ليقتدي به في الباطن والظاهر، لا عن طريق التقليد الظاهري فحسب، بل عن تشبّه قلبي وذوقي ومعنوي.

2. إشارات الأولياء ومقولات العارفين: كثير من المتصوفة ضمّنوا أربعيناتهم أقوالًا للأئمة والعارفين والمشايخ السابقين، مما يعزز "التربية بالقدوة" من خلال سِيَر الرجال، وتكرار مقولاتهم، وربطها بمواقف السلوك.

وهذه الأقوال تمثّل رموزًا حيّة للسلوك الصوفي، تنقل للمتلقي معاني التجربة الروحية، وتجعله يشعر بانتمائه إلى "سلسلة من السائرين"، يشده إليها التوق الروحي، ويغذّيه فيها الأمل واليقين.

3. توظيف الرمز الروحي واللغوي: وظّف المتصوفة في شرحهم لهذه الأربعينات الرمز اللغوي والإشاري، حيث يستخرجون من لفظ الحديث إشارات ذوقية تُحيل إلى مقامات عالية، ويقرنون بين الكلمات ومعانيها الخفيّة، فيكون الحديث الواحد بوابة لشرح رمزي يُنمّي الخيال التربوي، ويوسّع أفق التأمل لدى المريد، وهذا النهج يقوم على أن السلوك لا يُدرّس كمعلومة، بل يُنقل كحالة ومقام وإشارة، عبر أنوار اللغة، وظلال الرمز، وهمسات المعنى.

ولذلك، فإن اعتماد الصوفية في كتب الأربعينات على القدوة والرمز يُعد تجسيدًا لروح التصوف التربوي، حيث يُستبدل التلقين النظري بالتأمل النموذجي، ويُقدَّم المعنى عبر النموذج الحي، لا عبر البيان الجاف، وهذه المنهجية تُعين السالك على التخلق لا التعلق، والتطبيق لا التنظير، والتحول لا التحصيل، مما يبرّر استمرارية هذه المؤلفات في التأثير على الأجيال الروحية حتى عصرنا الحاضر.

وخِتاما: إن دوافع التأليف بالأربعينات عند المتصوفة تكشف عن رؤية منهجية واعية، تعمد إلى تيسير الطريق للسالك، وتكثيف المعنى التربوي في صورة مختصرة، وتقديم الحديث النبوي لا كمرجع معرفي فقط، بل كمنبع للذوق والمعرفة والمقام، فهذه الأربعينات كانت بمثابة خرائط روحية مختصرة، ترشد المريد في سفره، وتزوده بالزاد والمعالم على درب القُرْب من الله تعالى.

الفصل الثاني: كتب الأربعينات الحديثية المصنفة على الأبواب الصوفية

لقد دأب عدد من علماء التصوف على جمع أحاديث نبوية شريفة تُترجم مقامات السير إلى الله تعالى، مثل: التوبة، والزهد، والورع، والخوف، والمحبة، والرضا، والصدق، والمراقبة، وغيرها من المقامات والأحوال، ضمن مجموعات من أربعين حديثًا، يُرتّبونها أحيانًا وفق الذوق الصوفي، لا بالترتيب الموضوعي المعهود، وكان ذلك لتأصيل التربية الروحية بالسنة النبوية، وتيسير الاقتداء النبوي لأهل السلوك، وبناء جسورٍ بين المتن النبوي وشهود الأحوال والمقامات، ومن المهم في هذا السياق تتبّع أوائل هذه المؤلفات ومؤلفيها، مع تحليل مضامينها، ومناهجها في ترتيب الأحاديث وشرحها، ومدى التزامها بالشروط الحديثية من حيث الصحة والضبط، وهي قضايا تمثّل منطلقًا حيويًّا لدراسة هذا التراث الحديثي الصوفي الذي ظلّ مهملًا في كثير من الدراسات الأكاديمية المعاصرة.

وقد برز في هذا المجال عدد من أعلام التصوف، ممّن جمعوا بين علم الحديث وذوق السلوك، وألّفوا كُتبًا في الأربعينات الحديثية على الأبواب الصوفية التي اختصّت بجمع أربعين حديثًا تدور حول مقامات السالكين وأحوال المتحققين من أهل التصوف، وهي كتب اعتنت بإبراز الأسس الأخلاقية والروحية للتصوف من خلال الأحاديث النبوية، وإن لم تشترط الصحة التامة في مادتها الحديثية. ومن أبرز هذه المؤلفات:

1. كتاب الأربعين في التصوف، تأليف أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي (ت: 412هـ)، وهو من أقدم من جمعوا أحاديث في هذا الباب، وقد رتّبها على أخلاق المتصوفة، وأورد معها آثارًا عنهم، مما يدل على نزوعٍ توثيقي وسلوكي في آنٍ واحد.

2. كتاب أحاديث الأربعين المحفوظة على المتحققين من المتصوفة والعارفين، تأليف أبي منصور معمر بن أحمد بن زياد الأصفهاني (ت: 418هـ)، ويعد من الكنوز النادرة في هذا المجال، إذ قدّم أربعين حديثًا مرتبطة بحال المتحققين، مصحوبة بشروح ذوقية مختصرة، وهو من أوائل ما أُلّف في شرح الأربعينات الصوفية.

3. كتاب الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية، تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت: 430هـ)، وهو العالم المحدّث الكبير صاحب "حلية الأولياء"، وقد جمع في هذا الكتاب أحاديث تدور حول مسالك السلوك، وكان تركيزه منصبًّا على بيان المعاني الإشارية لا الفقهية أو العقدية.

4. كتاب شرح الأربعين حديثًا، تأليف أبي المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي (ت: 673هـ)، وهو من أعلام المدرسة الفلسفية الصوفية، ويمثل شرحه تطورًا في الذوق الصوفي نحو المجاز العقلي والتأويل الرمزي، حيث اتجه إلى ربط الأحاديث بمفاهيم التوحيد، والتجريد، والعلم الحضوري.

وتجتمع هذه الكتب في جملة خصائص أهمها:

- التركيز على المقامات والأحوال: حيث اختار المؤلفون أحاديث تتعلق بالتوبة، والزهد، والإخلاص، والرضا، والخوف، والرجاء، وغيرها من موضوعات السلوك الصوفي.
- الشرح الإشاري والرمزي: إذ لم يكتفوا ببيان المعنى الظاهري، بل عمدوا إلى إبراز المعاني الباطنية التي يستشفها أهل الذوق من النصوص.
- عدم التقيّد بمرتبة الحديث من حيث الصحة: فقد رويت في هذه الكتب أحاديث صحيحة، وحسنة، وضعيفة، بل وحتى ما لا يُعرف إسناده، وذلك لاتساع القاعدة في باب الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، وهو ما توافق عليه جمهور الصوفية.

وهكذا فإن هذه الكتب لا تمثّل مجرد اختيارات حديثية، بل تعكس رؤية معرفية وسلوكية متكاملة، تُظهر كيف كان أهل التصوف يتعاملون مع الحديث النبوي الشريف لا كمصدر للأحكام فحسب، بل كطريقٍ للهداية والتزكية والذوق الروحي.

ومن هنا، فإن دراسة هذه المصنّفات لا تُسهم فقط في إثراء الفهم الحديثي، بل تفتح مجالًا لفهم التجربة الصوفية من داخلها، من خلال مرآة الحديث النبوي. كما تساعد في الكشف عن ملامح التداخل بين علوم الحديث والتصوف، وتشير إلى ما يمكن تسميته بـ"القراءة الذوقية للسنة النبوية."

ويُعدُّ إحياء هذا اللون من التراث تحقيقًا لامتداد رسالة السنة في ميدان التزكية، وردًّا على الفصل المصطنع الذي أحدثته بعض الاتجاهات الحديثة بين الحديث والتصوف، مع أنّهما كانا متداخلَين في المدرسة العلمية التقليدية، بل إنَّ كثيرًا من المحدثين الكبار كانوا متصوفة، والعكس صحيح.

المبحث الأول: كتاب الأربعين في التصوف لأبي عبد الرحمن السلمي (ت:412هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي النيسابوري، السلمي الأم شيخ خراسان وكبير الصوفية، صاحب التصانيف والسلمي نسبة إلى قبيلة من العرب مشهورة يقال لها: سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

مولده: ولد في عاشر جُمادى الآخرة سنة 325هـ

من شيوخه الذين روى عنهم في هذا الكتاب:

1) أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن متوية البلخي.

2) أبو الحسن محمد بن محمد بن الحارث الكارِزي.

3) أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم.

4) إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء.

5) إبراهيم بن أحمد بن محمد البزاري.

من تلاميذه:

1) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن النيسابوري، راوي هذا الكتاب.

2) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري.

3) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

4) أبو بكر محمد بن يحيى بن إبراهيم المزكي النيسابوري.

من مؤلفاته العلمية:

1) آداب الصحبة، طبع بتحقيق: مجدي فتحي السيد، مصر طنطا: دار الصحابة للتراث 1410هـ.

2) طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، طبع بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية 1419هـ.

3) عيوب النفس، طبع بتحقيق: مجدي فتحي السيد، مصر طنطا: دار الصحابة للتراث.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى بنيسابور سنة 412هـ.[67]

المطلب الثاني: منهجه في التبويب:

اتبَع السُّلَمي في كتابه "الأربعين في التصوف" منهجًا خاصًا في التبويب، يمكن تلخيص ملامحه الأساسية كما يلي:

1. الترتيب على أبواب صوفية خالصة: اعتمد السُّلَمي على ترتيب موضوعي للأحاديث، يتّصل بمفاهيم ومقامات التصوف، مثل: الفقر، القناعة، المجاهدة، الاستقامة، كتمان المصائب، الذكر،التفريد، وغيرها، وهذا التبويب يشير إلى معرفة دقيقة بمسارات السلوك الصوفي وأحوال السالكين.
2. تدرّج ذوقي تربوي لا منطقي أو فقهي: الأبواب لا تتبع ترتيبًا فقهيًا أو زمنيًا، بل يظهر فيها الترتيب الذوقي التربوي، القائم على الارتقاء بمقامات النفس من الظاهر إلى الباطن، ومن المجاهدة إلى الفناء، وهو ما يُبرز التكوين الأخلاقي لدى الصوفي.
3. عناوين ذات طابع صوفي فريد: استخدم السُّلَمي مصطلحات صوفية دقيقة في تسمية الأبواب، مثل: باب المواظبة على الذكر والشكر والصبر، باب في سبيل المنقطعين إلى الله تعالى، محبة الفقر، خدمة المشايخ، لبس المرقعة، باب في ترك ما لا يعنيهم من الأمور، باب في أحوال الاستقامة....مما يدل على أن التبويب لم يكن مجرد تصنيف، بل تجلٍّ لمفهوم التصوف العملي في القرن الرابع الهجري.

[67] شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة 1405 هـ) جـ17، صـ247.

المطلب الثالث: مصادره الحديثية:

تشير المادة المحققة في "التعليق على أربعين السلمي "إلى جملة ملاحظات دقيقة على استخدام السلمي للحديث، ويمكن إجمالها في الآتي:

1. الرواية بالسند غالبًا: أورد السُّلَمي معظم الأحاديث بأسانيد متصلة إلى شيوخه، وهي أسانيد صوفية معروفة في البيئة الخراسانية، ومعظمها يتصل برواة مشهورين في كتب الزهد والرقائق، وكتب السنن والمسانيد.

2. تساهل ظاهر في توثيق الأحاديث: لم يُعنَ السُّلَمي بصحة الأحاديث أو توثيقها من حيث الصناعة الحديثية، كما لم يُعقّب على رواة أسانيده، فكان يورد الحديث لمجرد ارتباطه بالمقام السلوكي، ولو كان ضعيفًا أو موضوعًا. وقد لاحظ المحقق وجود عدد من الأحاديث الضعيفة والواهية في الكتاب، بل وبعض الموضوعات.

3. اعتماده على مصادر مفقودة أو نادرة اليوم: اعتمد السُّلَمي على روايات من كتب أو طرق لم تصلنا، أو على روايات مشهورة في زمنه، لكنها لم تثبت في المصادر المعتمدة عند المحدثين، وهذا يفتح بابًا للتمييز بين التداول الحديثي في بيئة الصوفية وما جرى عليه أئمة الجرح والتعديل.

4. غياب التخريج المقارن: لم يشر السُّلَمي إلى المصادر الأصلية للحديث (كصحيح البخاري أو غيره)، بل اكتفى بالسند أو الرواية المجملة.

المطلب الرابع: تعليقات نقدية:

أ. من الناحية الحديثية:

- تساهل في قبول الضعيف والموضوع: حيث أن أغلب الأحاديث الواردة في أربعين السلمي لم تُراعَ فيها قواعد القبول الحديثي، وأن عددًا منها ضعيف جدًا أو موضوع، مما يجعل الكتاب غير معتمد من الناحية الحديثية البحتة، إلا في سياقه التربوي.

- غياب المنهج النقدي: لا يُظهر السُّلَمي أي ميل إلى التحقيق أو التمحيص، ولم يلتزم بمنهجية تقييم الروايات، بل اعتمد الرواية المجردة، وربما كرر بعض الأحاديث بطرق مختلفة دون إشارة إلى صحتها أو ضعفها.

- عدم العناية بعلم الرجال: لم يُشر السلمي إلى أحوال الرواة الذين ذكرهم، مما يُظهر افتقاره إلى فقه علم الرجال، رغم نقل الكتاب بالسند.

ب. من الناحية الصوفية:

- توظيف الحديث في بناء المقامات التربوية: نجح السُّلَمي في تقديم صورة تربوية متكاملة للمتصوفة من خلال الأحاديث، حيث تتضح فيها مبادئ: الزهد، الورع، محبة الفقر، الذكر، الاستقامة، التفريد... إلخ، في توازن بين السلوك الظاهر والذوق الباطن.
- إبراز التصوف السنّي الأخلاقي: رغم ضعف كثير من الروايات، إلا أن البناء الأخلاقي الذي يُراد منها يتفق غالبًا مع أصول التصوف السنّي، ويهدف إلى تزكية النفس وتطهير القلب، وليس إلى تقرير المعارف الغيبية أو الدعاوى الكبرى.
- غياب الشرح أو البيان الذوقي: على عكس بعض كتب الصوفية الأخرى، لم يُعنَ السُّلَمي بشرح الأحاديث أو التعليق عليها، بل اقتصر على جمعها وترتيبها في أبواب، مما يجعل القارئ في حاجة إلى إعمال فهمه لربط الحديث بالباب.

ج. من حيث القيمة العلمية للكتاب:

- وثيقة نادرة في التصوف الحديثي: يُعدّ الكتاب من أقدم ما وصلنا من المؤلفات التي توظف الحديث النبوي في خدمة السلوك الصوفي، ويكشف عن نموذج للربط بين النص النبوي والأثر السلوكي.
- ينبغي إخضاعه للتحقيق المنهجي: يحتاج الكتاب إلى دراسة حديثية نقدية، تُميّز المقبول من المردود، وتكشف عن أسباب ورود بعض الأحاديث الضعيفة، وأثرها في بناء الفكر الصوفي.

المبحث الثاني: كتاب أحاديث الأربعين المحفوظة على المتحققين من المتصوفة والعارفين لأبي منصور معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني(ت:418هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو الإمام العارف الزاهد، أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد التميمي الأصبهاني، شيخ الصوفية بأصبهان، جليل الشأن، حنبلي المذهب، أوحد عصره في سلوك التصوف وعمارة الوقت، وكثرة الاجتهاد والعبادة، له تصانيف في علوم القوم، ختم به طريقة التصوف، كما ختم بأبي عبد الله بن منده الإتقان والحفظ، والتشدد في السنة.[68]

وأبو منصور الأصبهاني هو أحد الصوفية والأدباء المصلحين الذين عاشوا في أصبهان في واحدة من أهم الفترات في تاريخ الصوفية، في النصف الثاني من القرن الرابع وبداية من القرن الخامس، عاصر مشاهير العلماء مثل أبو نصر عبد الله السراج الطوسي(ت: 378 هـ)، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت: 412 هـ)، وأبو نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ)، وابن منده الحافظ، وأبو الشيخ الأصبهاني، وغيرهم كثيرا، ولعل أهم مصادر شخصية أبو منصور وخاصة آراءه وأفكاره وتصوفه هي أعماله ومؤلفاته ويتضح من هذه المؤلفات أن أبو منصور كان خطيبًا فقيهًا صوفيًا، وكان مذهبه حنبليّا، وكان ملتزمًا بالكتاب والسنة، وكانت ميوله الحنبليّة قوية، وكان يحاول دائمًا تكييف آراءه الصوفية مع الكتاب والسنة ومذهب أحمد بن حنبل.

من شيوخه:

1) أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، الحافظ.

2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبو الشيخ الأصبهاني.

3) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني .

4) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ.

5) أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو النقاش .

---

[68] أبو القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل، **سير السلف الصالحين**، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع) ج4،ص1352؛ شمس الدين الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي:1424هـ) ج9،ص302؛ الملا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي، **نفحات الأنس من حضرات القدس** ج1، ص408؛ خواجه عبد الله الأنصاري، **طبقات الصوفية** جـ1، ص536.

من تلاميذه:

1) أبو مطيع محمد بن عبد الواحد الصحاف المصري.

2) سهل بن محمد الجرجاني المكي.

3) لقمان بن أحمد البخاري.

4)عطاء بن أحمد الهروي.

5) أبو طالب الكُندلاني، أحمد بن محمد بن أحمد.

من مؤلفاته العلمية:

منها ما هو مطبوع ومنها ما زال مخطوط ومنها ما هو مفقود:

أولا: الكتب المطبوعة:

1) نهج الخاص، تحقيق: الأب س .دي بوركي الدومينكي، مصر: دارالمعارف1962م.

2) الاختيارات من كلام أبي منصور معمر، تحقيق :نصر الله بورجوادي، معارف، أغسطس-نوفمبر 1991م، المجلد 8، العدد 2، صـ 3-14.

3) ذكر معاني التصوف على حروف المعجم، تحقيق: نصر الله بورجوادي، معارف، ديسمبر-مارس 1989م، العدد 18، صـ 3-51.

4) المنهاج في السنة، تحقيق: نصر الله بورجوادي، معارف، ديسمبر- مارس 1980م، المجلد 7، العدد 3، صـ 3-25.

5) شرح الأذكار، تحقيق: نصر الله بورجوادي، معارف، ديسمبر- مارس 2002م، المجلد 19، العدد 3، صـ 3-30.

6) شرح الأربعين حديثا في التصوف، تعليق :محمد تقيمقالات ومراجعات، مجلة كلية الإلهيات والدراسات الإسلامية، جامعة طهران، دفتر (1370-71)51-52، صـ.299-247

7) آداب المتصوفة وحقائقها وإشاراتها، تحقيق: نصر الله بورجوادي، معارف، ديسمبر- مارس 1993م، العدد 27، صـ 15-48.

ثانيا: الكتب المخطوطة:

1) كتاب أحاديث الأربعين، مخطوط، المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، بدمشق، مجموع رقم 3792) :(مجاميع56).[69]

2) كتاب طبقات النساك، ذكره السخاوي في كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ صـ .572 وهذا الكتب مفقود.

3) فوائد أبو منصور معمر (أحاديث مستخرجة منها)، مخطوط المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة38/546مجاميع. [70]

4) إظهار دقائق الآفات الخفيات، مخطوط، مكتبة معهد البيروني للدراسات الشرقية أوزباكستان، برقم .3100

وفاته: وبعد حياة مليئة بالجد والاجتهاد كانت وفاة أبي منصور في رمضان من سنة ثماني عشرة وأربعمئة418 هـ.[71]

---

[69] السَّوَّاس، ياسين محمد، **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق**، (الكويت، معهد المخطوطات العربية 1408هـ) ص 283.

[70] علي الرضا بلوط، أحمد طوران بلوط، **معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**،(تركيا: دار العقبة 1422هـ) ج5، ص3773

[71] شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، (بيروت: دار الكتب العلمية) ج2،ص235؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمد الأرناؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، 1406هـ) ج5،ص92.

المطلب الثاني: السمات الفكرية للكتاب:

يُمثِّل كتاب "أحاديث الأربعين المحفوظة على المتحققين من المتصوفة والعارفين" لأبي منصور الأصبهاني نموذجًا فريدًا لما يمكن تسميته بـ "التصوف الحديثي"، حيث يُوظَّف الحديث النبوي في بناء المقامات التربوية والذوقية للصوفية، مع بروز نزعة رمزية وإشارية في الشرح والتأويل، وقد اجتمع في هذا الكتاب اتجاهان متمايزان: الأول حديثي من جهة جمع النصوص، والثاني صوفي ذوقي من جهة تأويلها وبناء المقامات عليها.

ومن السمات الفكرية للكتاب:

1. الربط بين الحديث النبوي والسلوك الصوفي: قام المؤلف بجمع أربعين حديثًا يشهد كلٌّ منها لحال من أحوال المتحققين من الصوفية، بحيث يُعاد إنتاج الحديث بوصفه دليلاً على مقام ذوقي، وهذا يعكس تكاملًا بين الرواية والتجربة.

2. بناء المقامات وفق مراتب المريدين والمرادين: يُفرّق المؤلف بين طريق المريدين الذين يسلكون إلى الله عبر المجاهدة، وطريق المرادين الذين يجتبيهم الله بعين الجود دون طلب. ويُسقط هذا التقسيم على ترتيب الأحاديث ومضامينها، مما يمنح الكتاب بنية معرفية مزدوجة.

3. التأصيل المفاهيمي الصوفي من خلال الحديث: يستخرج المؤلف من الأحاديث معاني صوفية كبرى كالتوحيد، الفناء، المعرفة، المراقبة، الإخلاص، التجريد، ويعيد شرحها بلغة صوفية دقيقة.

4. نقد ضمني للظاهرية: يُصرّح المؤلف بأن ظاهر الحديث لعامة المؤمنين، وباطنه لأهل التحقيق، مما يعكس نقدًا ضمنيًّا للوقوف عند ظاهر النصوص دون الغوص في مقاصدها.

المطلب الثاني: حضور مقامات التوحيد في الكتاب:

1. التوحيد أساس البناء التربوي :يفتتح المؤلف كتابه بأحاديث تؤصّل للتوحيد، ويجعله أصلًا لكل المقامات، ويؤكد أن العلم دليل إلى التوحيد، والتوحيد وسيلة إلى المعرفة.

2. مراتب التوحيد: يرتّب المؤلف مقامات التوحيد على النحو الآتي:

- الإقرار الظاهر.
- الإخلاص الباطني.
- شاهد التفريد.
- الفناء في التوحيد.

3. التوحيد معيار الأحوال: ينتهي كل باب بربط المقام بالتوحيد، مما يدل على مركزية التوحيد كمقياس لكل حال ومقام.

المطلب الثالث: لغة الإشارة والرمز:

1. المصطلح الرمزي الصوفي: يستعمل المؤلف عبارات دقيقة مثل: شاهد التوحيد، الفناء عن شهود النفس، برق التوحيد، صفاء الإشارة، مما يتطلب فهمًا صوفيًّا خاصًّا.
2. المجاز المنضبط: اللغة مجازية لكنها منضبطة بأصول الشريعة، تُعبّر عن المقامات بأسلوب ذوقي بعيد عن الغلو.
3. تأويل الحديث إشاريًّا: يصرّح بأن ظاهر الحديث للعامة وباطنه للعارفين، ويشرح الأحاديث بتفسير ذوقي يربطها بالسلوك والمقامات.

المطلب الرابع: المنهج الحديثي في الكتاب:

1. ضعف في التوثيق والإسناد: لم يلتزم المؤلف بتخريج الأحاديث ولا بتمييز الصحيح من الضعيف، بل اكتفى بسردها دون عزو أو ضبط.
2. رواية أحاديث ضعيفة وموضوعة: تضمّن الكتاب عددًا من الأحاديث التي لا أصل لها أو شديدة الضعف، خصوصًا في فضائل الفقراء وأهل الذكر، مما يستلزم تحقيقًا حديثيًا دقيقًا.
3. غياب منهج الجرح والتعديل: لا نجد في الكتاب نقاشًا حول حال الرواة أو علل الحديث، مما يُضعف قيمته من جهة علم الحديث.

المطلب الخامس: الوظيفة التربوية للأحاديث:

1. بناء المقامات التربوية: اختيرت الأحاديث لتخدم مسار السالك من التخلية إلى التحلية، ثم التحقق، فالفناء. وهي كالآتي:
   - مقامات التخلية: الزهد، التواضع، القناعة.
   - مقامات التحلية: الإخلاص، الخوف، الرجاء.
   - مقامات التحقق: المعرفة، المحبة، التفويض.
   - مقامات الفناء: التسليم، الرضا، الفناء عن الأفعال.
2. الحديث كأداة ذوقية: يُستعمل الحديث للتزكية لا للتعليم فقط، ويُعدّ شاهدًا وجوديًّا لا دليلًا فقهيًّا.

3. الكتاب موجّه للمتحققين: الأحاديث مختارة لمن بلغ مرتبة العرفان، لا للمبتدئين، ويُشترط في القارئ التلقي بالذوق والعمل.

المطلب السادس: تقييم علمي منهجي:

1. من جهة التصوف: يمثل الكتاب وثيقة صوفية أصيلة، تجمع بين الشريعة والحقيقة، وتعكس تدرج المقامات بناء على الحديث النبوي.
2. من جهة الحديث: الكتاب ضعيف التوثيق، ويفتقر إلى شروط التحقيق العلمي الحديثي، ما يجعله مرجعًا ذوقيًّا لا حديثيًّا.
3. من جهة المقارنة: يتقاطع في منهجه مع كتب السلمي وأبي نعيم، ويعدّ من أقدم النماذج في اعتماد الحديث كأساس لبناء المقامات.

وخِتاما: كتاب أبي منصور الأصبهاني يُمثّل محاولة مبكرة لتأسيس خطاب صوفي يستند إلى الحديث النبوي، ويُعيد تأويله في ضوء التجربة الروحية، وعلى الرغم من ضعف المنهج الحديثي، فإن قيمته التربوية والذوقية تبقى عالية، وتستحق الدراسة والتحليل في سياق التراث الصوفي السنّي.

المبحث الثالث: كتاب الأربعين على مذهب المتحققين لأبي نعيم الأصبهاني (ت:430هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْرَان الأصبهاني، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء الصوفي، ولد في شهر رجب سنة ست و ثلاثين وثلاثمائة للهجرة بأصبهان.[72]

من شيوخه الذين روى عنهم في هذا الكتاب:

1) أبوبكر بن خلاد.

2) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

3) أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي.

4) أبو سعيد أحمد بن أبتاه.

5) أبو الحسن سهل بن عبد الله التستري.

من تلاميذه:

1) أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن علي الأصبهاني الحداد (419 - 515 هـ) راوي الكتاب عن أبي نعيم.

2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن ثابت، الخطيب البغدادي.

3) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الأنصاري الهروي، أبو سعد الماليني.

من مؤلفاته العلمية:

1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، طبع عدة طبعات منها طبعة مطبعة السعادة مصر1394هـ.

---

[72] أصبهان: بكسر الهمزة وفتحها ـ وهو الأشهر ـ وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة ـ ويقال بالفاء أيضاً ـ وفتح الهاء، وبعد الألف النون، **الأنساب**(جـ 1/صـ284)؛ وأصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، تقع أصبهان بين طهران و شيراز في الجنوب الشرقي من المقاطعة المركزية في وسط إيران تقريبا، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت قديماً عاصمة لإيران، ولكنها لا تعدو اليوم كونها مقراً إدارياً للمقاطعة التي تحمل اسم المدينة، وهي عاصمة الإقليم الأوسط في إيران. ينظر: **معجم البلدان** (جـ1/صـ206)، **الدليل السياحي لإيران لعام**(2001م) صـ 85.

2) معجم الصحابة، وقد طبع جزء من الكتاب من أوله إلى آخر حرف الثاء، محققًا مع دراسة له في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية، لنيل درجة الدكتوراه، أعدها د. محمد راضي بن حاج عثمان، وكانت في ثلاث مجلدات، ثم طبع كاملًا، بتحقيق عادل العزازي، سنة 1419هـ

3) المسند المستخرج على صحيح مسلم، وصل فيه إلى باب: الإحداد من كتاب: الطلاق، وعدد الأحاديث فيه ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة عشر حديثًا، وطبع بتحقيق محمد حسن الشافعي، سنة 1417هـ.

وفاته: مات يوم الاثنين العشرين من شهر محرم سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة، ودفن بمردبان، من محلات أصبهان.[73]

المطلب الثاني: مقارنته بمنهج السلمي:

أولًا :الغرض من التأليف:

أبو نعيم الأصبهاني: صرّح في المقدمة أن غايته جمع الأحاديث التي تُشوّق القارئ إلى سلوك طريق المتصوفة، ليقف أثر المحققين منهم ويقتدي بأخلاقهم، وركز على تصوير مباني المذهب الصوفي من خلال أحاديث نبوية تُعلي من شأن الزهد والمراقبة والفقر والصدق والمجاهدة وغيرها من القيم التربوية.

أما أبو عبد الرحمن السلمي: فهدفه الأسمى هو إثبات مشروعية التصوف من جهة، وتعزيز مقاماته وسلوكياته من جهة أخرى، ويعرض التصوف بوصفه امتدادًا للحقائق الإيمانية الكبرى، ويحرص على تأصيل مفاهيم الصوفية بمفهوم الاصطفاء والاختصاص.

ثانيًا :منهج التبويب:

أبو نعيم: قسّم كتابه إلى أربعين بابًا، يُعنونها بجمل صوفية تدل على أصول سلوكية، ثم يورد الحديث المناسب لها، واستخدم الترتيب الذوقي السلوكي (من الفقر والزهد إلى المعرفة والمحبة والمشاهدة)، وكل باب يترجم لخلق أو حالة صوفية محددة، مع تعزيزها بأحاديث نبوية.

السلمي: لم يلتزم بالتقسيم الموضوعي الدقيق، بل جاء اختياره للأحاديث منثورًا بحسب التجليات الروحية أو المعاني الذوقية، ويكتفي بذكر الحديث مجردًا دون شرح.

ثالثًا :الانتقاء الحديثي:

---

[73] شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** جـ17، صـ453

أبو نعيم: لكونه محدثًا حافظًا، فإن العناية بالسند والحديث الصحيح أو المقبول واضحة، وبعض أحاديثه مستخرجة من مصادر حديثية معروفة، وقد يورد الحديث بطريقين أو أكثر، ويذكر بعض ألفاظ الرواة، ما يدل على نزعة حديثية ظاهرة.

السلمي: عنايته بالحديث ليست بنفس عمق أبي نعيم، إذ إن بعض أحاديثه ضعيفة أو غير مشهورة، ويبدو أن المعيار عنده ذوقي ومعنوي لا حديثي، ويغلب على نقوله طابع التلقّي من المشايخ والآثار أكثر من الدراسة الإسنادية.

رابعا: الوظيفة التربوية للأحاديث

أبو نعيم: يوظف الحديث ليكون أساسًا لبناء أخلاق الزهد والورع والصدق والمراقبة، وهو موجه لتربية النفس على المجاهدة والصفاء والانقطاع لله.

السلمي: يسعى إلى ترسيخ المفاهيم العرفانية، وبيان أن التصوف قائم على أصول نبوية، ومقاصد الحديث عنده ترتبط بالذوق والإلهام والمقام.

المطلب الثالث: دقته الحديثية:

يتّسم الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ـ رحمه الله ـ بدقّة علميّة حديثيّة بارزة في تصنيفاته، وقد ظهرت هذه الدقّة جليّة في كتابه الأربعون على مذهب المتحقّقين من الصوفية، ويمكن ملامسة هذه الدقة من خلال عدّة جوانب:

1. توثيق الأسانيد وذكر الشيوخ والمصادر: ابتدأ المؤلّف الكتاب بسند متّصل إليه عن طريق عدد من الحفاظ والمحدثين، وذكر روايته عنهم بإتقان، مما يُظهِر عنايته بالإسناد، واهتمامه بالتلقي الصحيح من أهل العلم، وهي سمة تميّز بها علماء الحديث:.

2. انتقاء الأحاديث المناسبة للمقامات الصوفية: لم يَجمع أبو نعيم أحاديثه جزافاً، بل انتقاها انتقاءً دقيقاً، بحيث تكون شاهدة على خصائص أهل التصوف من الزهد، والفقر، والورع، والمراقبة، والاعتماد على الله، وغيرها من المقامات السلوكية، وقد التزم بأن تكون الأحاديث ذات دلالة على "مباني مذاهب المتحققين" كما قال، مما يعكس وعيًا بالصلة بين المتن الحديثي والمضمون السلوكي.

3. التخريج من مصادر مشهورة مع مراعاة المرويات: جاءت كثير من الأحاديث التي نقلها في هذا الكتاب من كتب المسانيد والمعاجم والتواريخ، مثل مسند الإمام أحمد، مسند الحارث بن أبي أسامة، مصنف عبد الرزاق، المعجم الكبير للطبراني، وغيرها، وقد نسب كل حديث إلى راويه ومخرّجه الأصلي في الغالب، أو بيّن روايته له من أكثر من طريق، مما يدل على تقصٍّ حديثيٍّ واضح.

4. ذكر العلل والاختلاف في بعض الروايات في مواضع قليلة، يُلمّح أبو نعيم إلى غرابة بعض الأحاديث أو تفرد بعض الرواة بها، وهذا النوع من الملاحظات النقديّة يَدل على درايته بمباحث العلل وتفرده بإشارات نقدية، رغم أن الغرض الرئيس للكتاب لم يكن نقد الأسانيد.

5. عنايته بالتفسير اللغوي لبعض الألفاظ: في نهاية بعض الأحاديث، يشرح أبو نعيم كلمات غريبة، وهذا جزء من المنهج العلمي الحديثي الذي يُظهر فهماً للنص ويخدم المقصود السلوكي، كما أنه يعين على دقة الفهم.

وخِتاما: على الرغم من الطابع الصوفي العام للكتاب، فإن أبا نعيم لم يُفرّط في أصول التوثيق الحديثي، بل حافظ على قدر ملحوظ من الدقة العلمية من حيث الأسانيد، والمصادر، والانتقاء، والتفسير، مع إشارات نقدية محدودة، وهذه السمات تُظهر أنه لم يؤلف كتابه على سبيل الوعظ المجرد أو السلوك الذوقي البحت، بل صاغه بمنهج محدّثٍ يخدم التصوف لا صوفيٍّ يَقتحم الحديث دون أدواته.

المطلب الرابع: أثرهذا الكتاب في الأدب الصوفي:

شكّل هذا الكتابُ محطةً مهمّةً في تطوّر الأدب الصوفي، وترك أثرًا بارزًا في طريقة عرض القيم الروحية والسلوكيات الزهدية بأسلوب حديثيّ يزاوج بين الرواية والتربية الذوقية، ويمكن تلخيص أثره في النقاط الآتية:

1. تأصيل المقامات والسلوك الصوفي عبر الحديث النبوي: قدّم أبو نعيم بهذا الكتاب نموذجًا رائدًا لجمع الأحاديث التي تُؤَسِّس للمقامات الروحية وأحوال السالكين، مثل: الفقر، القناعة، المراقبة، الزهد، الإخلاص، البذل، التوكل، مخالفة النفس، وغيرها. فجاءت الأحاديث مؤطرة في أبواب دقيقة تعكس بنية المقامات عند المتصوفة، مما أسهم في ترسيخ هذه المصطلحات ضمن الأدب السلوكي الصوفي.

2. الربط بين السند الحديثي والمقام الصوفي: امتاز أبو نعيم بجمعه بين المنهج المحدثين والإشارات الصوفية، فكان يُسند الحديث بدقة، ثم يختار الأحاديث التي توافق مقاصد أهل التزكية، مما أعطى الأدب الصوفي مصداقية علمية وتاريخية وشرعية في آنٍ واحد، وجعل للذوق الصوفي تأصيلاً يستند إلى الرواية لا إلى التأمل الذاتي وحده.

3. التمثيل الأدبي والبلاغي للمقامات: جاءت تبويبات الكتاب وعناوين أبوابه محمّلة ببلاغة صوفية عالية، تتسم بالإيجاز والتكثيف الرمزي، مثل: "التجزي بالكفاف تزينا للعفاف"، و"التبرم بما ينقضي ويبلى حنينًا إلى ما يدوم ويبقى"، مما جعل هذه العناوين تُقتبس لاحقًا في رسائل الصوفية وشروحهم بوصفها أنموذجًا أدبيًا تعبيريًا راقيًا.

.

4. تحقيق مفهوم "الحديث التربوي: أعاد أبو نعيم من خلال هذا الكتاب الاعتبار لفكرة "الحديث التربوي"؛ حيث يتم اختيار الحديث النبوي لا لمجرد نقله، بل لغرض تهذيب السلوك، وتقويم النفس، وتحقيق التخلق بمقام معين، وهي فكرة رسّخها لاحقًا الغزالي وابن عطاء الله في كتاباتهما.

5. تعزيز حضور الفقراء وأهل الصفّة في الوعي الصوفي: أبرز الكتاب أحوال أهل الصفّة، والشعث الغُبْر من أصحاب النبي ﷺ، ووضعهم كرموز عليا للسلوك والزهد والتجرد.

المبحث الرابع: كتاب شرح الأربعين حديثا لأبي المعالي صدر الدين القُوْنُوِي(ت:673هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو: أبو المعالى محمد بن اسحق بن محمد بن يوسف بن على القونوي، ولد: في الأناضول سنة 605 هـ، وتوفي أبوه وهو صغير السن، فظل يتيما وأمه ثيبة، ثم تزوجت أمه بأستاذه محي الدين بن العربي.

من مؤلفاته العلمية:

1) إعجاز البيان في تفسير أم القرآن، طبع عدة طبعات منها طبعة لبنان: دار الكتب العلمية بتحقيق: د/ عصام إبراهيم الكيالي.

2) مفتاح غيب الجمع والوجود المشتهر ب " مفتاح الغيب "، طبع عدة طبعات منها طبعة لبنان: دار الكتب العلمية 2010م بتحقيق: د/ عصام إبراهيم الكيالي.

3) النفحات الإلهية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، لبنان: دار الكتب العلمية 2007م.

وفاته: وكان وفاته رحمه الله في محرم سنة 673 هـ، وله ثمان وستون سنة.[74]

المطلب الثاني: منهجه في الشرح:

انطلق صدر الدين القونوي في شرحه للأحاديث النبوية من منهج عرفاني فلسفي مركّب، يجمع بين الإشراق الذوقي والتحليل العقلي العميق، ويمتاز بمسلك تأويلي يتجاوز المعاني الظاهرة للحديث إلى كشف أسرار المقصود النبوي في سياق وحدة الوجود والمعرفة الحضورية، وقد تبنّى القونوي مفهوماً خاصاً للحقيقة، يتلخص في أن الحقيقة لا تُدرَك من خلال العقل المجرد أو اللغة الظاهرة فحسب، وإنما عبر تمازج النور القلبي بالشهود الروحي والعقل الكاشف، ولهذا لم يكتف بشرح اللفظ، بل سعى إلى تجلية الحقائق الكامنة خلف الخطاب النبوي.

واعتمد القونوي في تأويله للأحاديث على مفاهيم الوجود، التوحيد، الفناء، البقاء، الحضرات، الذات والصفات، مراتب الإدراك، وهي مفاهيم ذات بنية فلسفية عرفانية لا تتضح إلا في ضوء علوم ابن عربي ومدرسته.

ومن أبرز معالم منهجه ما يلي:

---

[74] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تحقيق: محمود الأرناؤوط،(تركيا: مكتبة إرسيكا2010م) جـ3، صـ105.

1. الابتعاد عن التفسير اللفظي البحت: رفض الاقتصار على بيان الظواهر اللغوية والإعرابية للأحاديث، واعتبر ذلك أدنى من مقصود الشرح النبوي، فقال إن من يقتصر على الظاهر "ليس له كثير فضيلة، ولا مزيد فائدة".[75]

2. السعي لاكتشاف الحكم والأسرار: أكد على ضرورة الوصول إلى مقصد النبي ﷺ، واستنباط ما في الحديث من أسرار وحِكَم مدعومة بأصول الشريعة، مؤيدة بالعقل السليم والفطرة المستقيمة.

3. الإعراض عن الأسانيد للتيسير: رغم تلقيه الأحاديث بسند عالٍ من شيوخ الحديث المتقنين، أعرض عن ذكر الأسانيد اختصارًا وتيسيرًا، مع إشارة إلى صحتها بقوله: "ثبت عن رسول الله"، أو "ثبت في الصحيح."

4. الجمع بين الرواية والدراية: جمع 29 حديثًا أصلية قصد شرحها، واستشهد بحوالي 80 حديثًا أخرى دعّم بها تحليلاته الذوقية، مع تنبيهات نقدية على صحة بعض الروايات، ما يعكس التزامه بمنهج المحدثين في الانتقاء والتمحيص، وإن كانت بعض الأحاديث الضعيفة التي استشهد بها ذات أصل في المصادر المعتمدة[76].

5. النزوع إلى الذوق والكشف: شرح القونوي كثيرًا من الأحاديث وفقًا لفهم كشفٍ روحيٍ خاص، يتجاوز ما يبلغه "علماء الظاهر"، مما جعله عُرضة للنقد، لا سيما في آرائه المتصلة بوحدة الوجود.

6. الإشارة إلى اختلاف الروايات: ختم كثيرًا من الأحاديث بعبارة: "وفي رواية أخرى..." مشيرًا إلى اختلاف ألفاظ الحديث وطرقها، مما يعكس اهتمامه بتنوع الرواية دون توسّع في الصناعة الحديثية النقدية.

وخلاصة منهج القونوي في شرح الأحاديث أن ما يفهمه ويدركه العقل والقلب معا هو الحقيقة.

المطلب الثالث: استمداده من ابن عربي:

يُعدُّ القونوي التلميذَ الأول والأوفى لابن عربي، وقد سار على نهج شيخه في:

1. الاعتماد على وحدة الوجود كإطار لفهم النصوص الشرعية، حيث فسّر الأحاديث في ضوء أن الوجود واحد، وكلّ كائن مظهرٌ للحقّ على تفاوت التجليات.

---

[75] أبو المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القُوْنُوي، **شرح الأربعين حديثا**، تحقيق: حسن كامل يلماز،(تركيا: انتشارات بيدار) ص3

[76] محي الدين أوصال، **صدر الدين القونوي ّمحدثاً في إطار كتاب شرح الأربعين حديثا**، مجلة كلية اللاهوت جامعة سلجوق تركيا، عدد32لسنة2011م صـ96-97.

2. توظيف المفاهيم الصوفية الخاصة بابن عربي، مثل :الإنسان الكامل، الحقيقة المحمدية، حضرة الوجود، مقام الجمع والفرق، مراتب العلم (العلم اللدني، العلم الكسبي، العلم الحضوري).

3. البناء على مصطلحات "فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية "في الكشف عن مرادات الحديث، مع الحرص على تأصيل تلك الرؤى ضمن نظام تأويلي منضبط ظاهرًا وباطنًا.

4. تفضيل الإشارة على العبارة، والذوق على الحرف، وهو ما جعله يكتب للفئة الخاصة من أهل الكشف لا لعامة المتعلمين أو المحدثين.

ومع أنه حافظ على قدرٍ من الاعتناء بالظاهر، فإن جوهر شرحه انبنى على الباطن، وهذا نابع من تأثره العميق بابن عربي من حيث المنهج والمضمون[77].

المطلب الرابع: ميزاته ومآخذه:

أ) الميزات:

1. الربط بين الحديث والعرفان: مزج بين الرواية النبوية والعقل الذوقي، وأنتج بذلك نموذجًا فريدًا للشرح الصوفي الحديثي.

2. الجرأة التأويلية: تميز بتأويلات بعيدة المدى عكست عمقًا فلسفيًّا وذوقًا عرفانيًّا لا يجرؤ عليه إلا من بلغ رتبة إشراقية عالية.

3. التحرر من التقليد الظاهري: لم يكرّر شروح المحدثين، بل قدّم بناءً مستقلاً يغلب عليه طابع التجديد في المقاربة والفهم.

4. الاستفادة من علوم متعددة: مزج بين اللغة، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام، والتصوف، مما منح شرحه ثراءً معرفيًّا وتنوعًا دلاليًّا.

ب) المآخذ:

1. غموض العبارة وصعوبة الأسلوب: اتسم شرحه بكثافة المصطلحات الصوفية والفلسفية، مما جعل فهمه محصورًا في النخبة.

2. التجاوز في التأويل: قدّم أحيانًا تأويلات لا تحتملها الأحاديث في ظاهرها، مما عرضه للنقد من قبل علماء الظاهر.

---

[77]أبو المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القُوْنُوِي، **شرح الأربعين حديثا** (صفحة هـ)

3. إهمال الصناعة الحديثية: رغم إشاراته أحيانًا لصحة الحديث أو ضعفه، إلا أنه لم يتقيد بضوابط أهل الحديث في النقد والمتن والسند، مما جعل منهجه غير مرضٍ للمحدثين.

4. النزوع إلى التأويل الرمزي المفرط: جعل بعض المعاني الرمزية حاكمة على مقاصد النص، وهو ما يوقع أحيانًا في التأويل التعسفي.

وخِتاما: يمثل شرح القونوي للأحاديث النبوية نموذجًا نادرًا في تاريخ التصوف والفكر الإسلامي، إذ جمع بين ذوق العارفين ومنهج الفلاسفة وإشارات المحدثين، واستطاع أن يقدم تفسيرًا عرفانيًا للنص النبوي ينسجم مع رؤية وحدة الوجود، ومع ما في منهجه من عمق وتميز، فإنّه لا يخلو من مواطن النقد والتجاوز، مما يجعله موضوعًا خصبًا للدراسة المقارنة بين ظاهر الشريعة وباطنها.

الفصل الثالث: كتب الأربعينات المصنفة على طبقات المشايخ وزهاد الطريقة

المبحث الأول: كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لأبي سعد الماليني(ت:412هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو: الإمام أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص بن خليل الأنصاري الهروي الماليني الصوفي، الملقب بطاووس الفقراء.

وأما نسبته (الماليني) فهي نسبة إلى مَالِين - بكسر اللام - وهي قرية على شط جيحون، تقع على فرسخين من هَرَاة، ويقال لها: مالان.[78]

من شيوخه الذين روى عنهم في هذا الكتاب:

1) إبراهيم بن عيسى بن داود المصري أبو إسحاق.

2) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق المكي.

3) إبراهيم بن محمد النصر ابادي الصوفي أبو القاسم.

4) أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك أبو بكر البغدادي القطيعي، الإمام الزاهد، وهو راوي مسند أحمد وغيره عن عبد الله بن أحمد.

من تلامذته:

1) أبو الحسن علي بن الحسين بن زكريا الطريثيثي، راوي هذا الكتاب.

2) الإمام الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

3) الإمام الكبير شيخ القراء أبو بكر أحمد بن الفضل الأصبهاني الباطرقاني.

4) الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري.

---

[78] هراة مدينة عظيمة مشهورة تعد من أمهات مدن خراسان الذي يقع جزء اليوم في أفغانستان، وجزء من إيران، وجزء في جمهورية تركمانستان، وكانت هراة من نصيب القسم الأول، إذ تقع في الشمال الغربي من أفغانستان، بالقرب من حدود إيران قال عنها ياقوت: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ستمائة وسبعة مدينة أجل ولا أعظم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابها عين الزمان، ونكبها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان سنة ستمائة وثمانية عشر. ينظر: **معجم البلدان** (جـ5/صـ396).

5) الإمام الحافظ شيخ السنة أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي شيخ الحرم، صاحب كتاب الإبانة في أصول السنة.

وفاته: بعد حياة عامرة بالخير والصلاح في خدمة حديث رسول الله ﷺ والدفاع عنه، انتقل الإمام أبو سعد إلى جوار ربه، وذلك في يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة اثنتي عشرة وأربعمائة في مصر، حيث استقر بها آخر حياته، رحمه الله تعالى.[79]

المطلب الثاني: الجمع بين الترجمة والحديث:

امتاز الماليني في هذا الكتاب بمنهج فريد يقوم على دمج الترجمة الشخصية لشيوخ الصوفية مع الأحاديث النبوية، وقد تجلى ذلك في الآتي:

1. يفتتح كل ترجمة بذكر السند إلى الحديث النبوي الذي يُروى عن الشيخ الصوفي أو يُروى من طريقه، ثم يورد الحديث المرفوع.
2. يتبع الحديث بكلمات أو مواقف للشيخ نفسه، تُظهر ذوقه الروحي ومقامه السلوكي.
3. يربط بين السيرة الذاتية للشيخ وما ورد على لسانه من أدعية وحِكم، وبين الحديث النبوي الذي يرويه أو يعمل به، مما يربط النظر النظري بالتطبيق العملي.

وهذا الجمع بين الرواية الحديثية والترجمة الصوفية يرسخ منهجًا أدبيًا وتربويًا صوفيًا، يُظهر كيف كان الحديث النبوي حيًّا في حياة الشيوخ، لا محفوظًا في الكتب فحسب.

المطلب الثالث: طريقته في سرد الأحوال:

يتبع الماليني في سرده لأحوال الشيوخ منهجًا تقليديًا ذا طابع روحي تأملي، يتسم بما يلي:

1. سرد مختصر غير مطوّل :يكتفي غالبًا بمواقف قصيرة أو كلمات موجزة ذات دلالة تربوية أو روحية عميقة، دون تفصيلات تاريخية أو تحليل شخصي.
2. التركيز على "العبارات النورانية :"كثير من أحوال الشيوخ تأتي على هيئة حكم أو أدعية مثل: "اللهم لا تجعلنا بثناء الناس مفتونين"، أو "من ظن أنه ببذل المجهود يصل، فمتعن"، وهي أحوال تحمل تجارب روحية مركّزة.
3. الاعتماد على النقل الشفوي المسند :يوثق الروايات بأسانيد متعددة، مما يدل على احترامه لعلم الحديث حتى في عرض الأحوال الصوفية.

[79] شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** جـ17، صـ301.

فطريقته أقرب إلى "الاختيارات الروحية" منها إلى السيرة المتسلسلة، يلتقط فيها أضواء من حياة الشيخ لا صورة كاملة، مستهدفًا بها التزكية والتأثر لا التوثيق التاريخي وحده.

المطلب الرابع: تحليل نقدي لمادته الحديثية:

من خلال مراجعة مادته الحديثية يظهر ما يلي:

الإيجابيات:

1. الاعتماد على الأسانيد: حافظ الماليني على تقاليد المحدثين في إيراد الأحاديث بأسانيدها، وهو أمر قلّ في المؤلفات الصوفية، مما يضفي على الكتاب قيمة حديثية.
2. التنوع في الرواية: تنوّعت طرق رواية الأحاديث، فجمعت بين الأحاديث المرفوعة، والآثار، والمواقف الخاصة، بما يُغني الرؤية ويثري السياق الصوفي.
3. دمج الحكمة الصوفية بالمتن النبوي: لم تكن الأحاديث معزولة، بل مرتبطة بأحوال الشيوخ، مما يجعل الحديث عاملًا موجهًا للسلوك الصوفي.

المآخذ:

1. ضعف بعض الأحاديث: وردت في الكتاب أحاديث فيها ضعف أو غرابة سندية (كما هو الحال في بعض روايات معروف الكرخي أو سهل التستري)، وهو أمر لم يُنبّه عليه الماليني غالبًا.
2. غياب النقد الحديثي : لم يُمارس الكاتب أي تحليل نقدي للأحاديث من حيث الصحة والضعف، مما يُضعف الجانب التوثيقي للباحثين المعاصرين.
3. الخلط بين الرواية والسلوك: أحيانًا تُروى أقوال الشيوخ وكأنها في رتبة الحديث دون تنبيه على الفارق، مما قد يربك القارئ غير المتخصص.

4. قد اشتمل هذا الكتاب على واحد وعشرين حديثاً صحيحاً وحسناً، وبعض هذه الأحاديث ضعيفة، ولكنها ارتفعت إلى الحسن لوجود متابعات لها أو شواهد، أما الأحاديث الضعيفة، فقد بلغت أحد عشر حديثاً، وبلغت الأحاديث المتروكة أو التي لا تثبت: سبعة أحاديث.[80]

وخِتاما: يُعدّ كتاب "الأربعين في شيوخ الصوفية "للمالِيني أنموذجًا نادرًا في التداخل بين السيرة والحديث، وبين الرواية والسلوك، وبين التزكية والعلم، وهو مصدر مهمّ لفهم التكوين الروحي والتربوي للصوفية الأوائل، ومع ما يحمله من نورانية الأثر، فإنه يحتاج إلى تحقيق حديثي علمي يُغربل أحاديثه ويُفصّل مراتبها، ليُستفاد منه أكاديميًا وتربويًا على حد سواء.

[80] أبو سعد، أحمد بن محمد بن أحمد الماليني، **الأربعين في شيوخ الصوفية**، تحقيق: عامر حسن صبري،(بيروت: دار البشائر الإسلامية 1417هـ) صـ48-50

المبحث الثاني: كتب الأربعينات الأربعة لأبي صالح المؤذن النيسابوري(ت:470هـ)

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الكتاب:

هو: الإمام الحافظ، الزاهد، المسند، محدث خراسان، أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر النيسابوري الصوفي المؤذن.

قال صدر الدين أبو على الحسن بن محمد البكري (ت:656هـ):الإمام العالم، الحافظ الناسك، أبي صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر المؤذن النيسابوري رحل إلى العراق، والشام، وبلاد الجبل. وسمع، وجمع، وأسمع، وأفاد، واستفاد، وعاد إلى بلده، وانقطع إلى العبادة، وسلك طريق الزهادة، وألف في طريق علم الباطن كتباً، من جملتها أربع أربعينات، رتبها على أربع طبقات، سمعت منها ثلاثاً، ولم يتفق سماع الأولى، وكان حافظاً لكتاب الله، مواظباً على دراسته وإقرائه، ثقة أميناً مخالطاً لأهل التصوف، ومشايخ وقته من أهل العلم والزهد، لم يكن في زمنه مثله في طريقته، روى عنه أبو بكر الخطيب في تاريخه، وأثنى عليه عند ذكره له، أذن محتسباً للأجر سنين وكان مجاب الدعوة.[81]

ولد:في سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة بنيسابور.

من شيوخه:

1) أبو المعمر مسدد بن علي الحمصي.

2) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن سليمان.

3) أبو نصر محمد بن إبراهيم الهاروني.

4) أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي.

5) أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني.

من تلاميذه:

1) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي.

2) أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد القشيري.

3) أبو المكارم عبد الرزاق بن عبد الله القشيري.

---

[81] صدر الدين البكري، أبو علي الحسن بن محمد، **الأربعين حديثا**، تحقيق: محمد محفوظ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي1400هـ) (صـ108-111).

4) أبو علي الحسن بن عمر بن محمد بن أبي بكر الطوسي.

5) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

وفاته: توفي في شهر رمضان سنة سبعين وأربع مائة.[82]

المطلب الثاني: روايات "الأربعينات الأربعة" في كتب الحديث والتراجم:

هذه الأربعينات مكونة من أربع أربعينات رتبها على أربع طبقات، كتاب الأربعين الأول، وكتاب الأربعين الثاني في ذكر طبقات مشايخ الصوفية وزهاد الطريقة، وكتاب الأربعين الثالث، وكتاب الأربعين الرابع، وقد اقتبس ابن عساكر من أبي صالح المؤذن (7) نصوص، منها خمسة نصوص تتعلق بتراجم الزهاد والعباد، أوردها من طريق ثلاثة من شيوخه، وهم:

1) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي.

2) أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد القشيري.

3) أبو المكارم عبد الرزاق بن عبد الله القشيري.

وجمع بين روايتهم، بلفظ: أنبأنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد، وأبو المكارم عبد الرزاق بن عبد الله القشيريان، قالوا: أنا أبو صالح المؤذن.

ولعل مصدر هذه النصوص كتاب الأربعين الثاني.

[82] شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** جـ18، صـ419؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** جـ5،صـ442.

أما النصان المتبقيان فتناولا أحاديث نبوية، وقد أوردها ابن عساكر من طريق شيخه الحسن بن عمر بن محمد بن أبي بكر، أبي علي الطوسي، بلفظ: أخبرنا أبو علي الحسن بن عمر بن محمد بن أبي بكر الطوسي البياع، بنيسابور، أنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن.[83]

وروى صدر الدين أبو على الحسن بن محمد البكري (ت:656هـ) في كتابه الأربعين ثلاثة أحاديث:

1) الحديث التاسع عشر من كتاب الأربعين الثاني، في ذكر طبقات مشايخ الصوفية، وزهاد الطريقة.

2) الحديث العشرون، من كتاب الأربعين الثالث.

3) الحديث الحادي والعشرون، من كتاب الأربعين الرابع.

وهذا الكتاب مفقود الآن ولا يتوفر عنه أي معلومات غير ما سبق ذكره.

[83] طلال بن سعود الدعجاني، **موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية1425هـ) جـ1، صـ363-364؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين، **تاريخ دمشق**، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة،(دار الفكر للطباعة والنشر1415هـ) جـ43، صـ546، جـ38، صـ45.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

1. شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، (بيروت: دار الكتب العلمية).
2. (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1392هـ .
3. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **التبصرة** (بيروت: دار الكتب العلمية 1406 هـ).
4. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **تلبيس إبليس**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر1421هـ).
5. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمد الأرناؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، 1406هـ).
6. ابن تيمية، **الصوفية والفقراء، تحقيق: محمد جميل غازي، (جدة: دار المدني**).
7. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحاته، سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر1401هـ).
8. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين، **تاريخ دمشق**، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة،(دار الفكر للطباعة والنشر1415هـ).
9. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، **مدراج السالكين في منازل السائرين**، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، (الرياض: دار عطاءات العلم 1441هـ).
10. ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي. **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر 1414هـ).
11. أبو العلا عفيفي، **التصوف الثورة الروحية**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي2020م).
12. أبو القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل، **سير السلف الصالحين**، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع).
13. أبو المعالي صدر الدين محمد بن إسحاق القُوْنُوِي، **شرح الأربعين حديثا**، تحقيق: حسن كامل يلماز،(تركيا: انتشارات بيدار).
14. أبو سعد، أحمد بن محمد بن أحمد الماليني، **الأربعين في شيوخ الصوفية**، تحقيق: عامر حسن صبري،(بيروت: دار البشائر الإسلامية 1417هـ).
15. أبو عبد الله الوادي آشي الأندلسي، شمس الدين محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق: محمد محفوظ، (بيروت، دار المغرب الإسلامي1400هـ).

16. أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي 2001م).
17. أبو نعيم، احمد بن عبد الله الأصبهاني. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (القاهرة: مطبعة السعادة 1394هـ).
18. أحمد عبد الله اللحلح ومصطفى محمود أبو بكر، **البحث العلمي: تعريفه خطواته مناهجه المفاهيم الإحصائية**، (القاهرة: مكتبة الدار الجامعية 2002م).
19. أحمد معبد عبد الكريم. **الحافظ العراقي وأثره في السنة**، (الرياض: مكتبة أضواء السلف1425هـ).

20. الأُدفوي المصري، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب، **الموفي بمعرفة التصوف والصوفي**، تحقيق: محمد عيسى صالحية، (الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع 1408هـ).
21. الآمدي، أبو الحسن، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي، (الرياض: مؤسسة النور1387 هـ).

22. البربري، محمد محمد بيومي، **الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي- دراسة تحليلية-**، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، مجلد41، عدد41، ديسمبر2022م.
23. البكري، صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد، **كتاب الأربعين حديثا**، تحقيق: محمد محفوظ، (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1400هـ).

24. البكري، صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد، **كتاب البلدانيات**، تحقيق: محمد الزاهي، (بيروت : دار الكتب العلمية1441هـ).
25. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع 1399هـ) .
26. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تحقيق: محمود الأرناؤوط،(تركيا: مكتبة إرسيكا2010م).
27. حسن، أحمد حسن أنور، **شقيق البلخي ومراحل الطريق الصوفي من التوبة إلى منازل أهل الصدق**، وداي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، مجلد12، عدد12لسنة2016م.
28. حسين عبد الحميد رشوان، **ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي**،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م).

29. السَّوَّاس، ياسين محمد، **فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق**، (الكويت: معهد المخطوطات العربية، 1408هـ).
30. شمس الدين الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي:1424هـ).

31. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء** تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة 1405 هـ)
32. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، (دمشق: دار الكتاب العربي1419هـ).
33. طلال بن سعود الدعجاني، **موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية1425هـ).

34. الطوسي، أبو نصر السراج، **اللمع**، تحقيق:عبد الحليم محمود،وطه عبد الباقي سرور،(مصر: دار الكتب الحديثية1380هـ).
35. عبد الحليم محمود، **قضية التصوف المنقذ من الضلال**، (القاهرة: دار المعارف2003م).
36. عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، (الكويت: وكالة المطبوعات 1977 م).

37. عبد الرؤوف بن المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان(مصر: عالم الكتب، القاهرة 1410 هـ)..
38. عبد الفتاح محمد سيد أحمد، **التصوف بين الغزالي وابن تيمية**، (مصر: دار الوفاء 1420هـ).
39. عقيل، عقيل حسين، **فلسفة مناهج البحث العلمي**، (القاهرة:مكتبة مدبولي1999م).

40. علي الرضا بلوط، أحمد طوران بلوط، **معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**،(تركيا: دار العقبة 1422هـ).
41. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة1402هـ).
42. القزويني، أحمد بن زكريا الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر1399هـ) .

43. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **الرسالة القشيرية**، تحقيق:عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، (القاهرة: دار المعارف).
44. الكتاني، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السن المشرفة**، تحقيق :محمد المنتصر(بيروت: دارالبشائر الإسلامية1421هـ) .
45. مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1983م).
46. محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت:المكتبة العصرية 1999م).

47. محمد خير رمضان، **المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف،** (الرياض: مكتبة الرشد 1423هـ) .
48. محمد زيان عمر، **البحث العلمي مناهجه وتقنياته،** (جدة: دار الشروق 1983 م).
49. محمد عجاج الخطيب، **السنة قبل التدوين،** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
50. محمد قبيسي ونجوى الحسيني، **الأصول المنهجية لكتابة البحث العلمي** (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة 2016).
51. محي الدين أوصال، **صدر الدين القونوي ّمحدثاً في إطار كتاب شرح الأربعين حديثا،** مجلة كلية اللاهوت جامعة سلجوق تركيا، عدد32لسنة2011م.
52. محي الدين عطية، وصلاح الدين حفني، ومحمد خير رمضان، **دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة،** (بيروت، دار ابن حزم1416هـ).
53. مصطفى عمارمنلا، **معجم ما طبع من كتب السنة،** (المدينة المنورة :دار البخاري للنشر والتوزيع1417 هـ).
54. اليسوعي، بولس نويا، **نصوص صوفية غير منشورة،** (بيروت: دار المشرق، 1982م).

فهرس الموضوعات

الباب الأول: الإطار التمهيدي للبحث..... 1
مقدمة:..... 3
الفصل الأول: الخلفية العلمية والموضوعية للبحث 4
المبحث الأول: النشأة التاريخية لكتب الأربعينات الحديثية 5
المبحث الثاني: التطور المنهجي لمقاصد التأليف في كتب الأربعين..... 7
المبحث الثالث: العلاقة بين كتب الأربعينات والتصوف الإسلامي..... 9
المبحث الرابع: نماذج من كتب الأربعينات في التصوف (عرض وتحليل أولي) 11
الفصل الثاني: إشكالية البحث وأهدافه..... 13
المبحث الأول: مشكلة البحث وتساؤلاته الرئيسة..... 13
المبحث الثاني: أهداف البحث..... 15
المبحث الثالث: أهمية الدراسة ودوافع اختيار الموضوع 17
الفصل الثالث: حدود البحث ومجاله..... 19
المبحث الأول: الحدود الموضوعية (نطاق الظاهرة الحديثية الصوفية)..... 19
المبحث الثاني: الحدود الزمانية والمكانية 21
المبحث الثالث: حدود الدراسة في ضوء الأهداف والإمكانيات البحثية 23
الفصل الرابع: الدراسات السابقة 25
المبحث الأول: عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالأربعينات الحديثية..... 26
المبحث الثاني: تقييم النقد الموضوعي لمضمون الدراسات السابقة..... 30
المبحث الثالث: التميّز والإضافة التي يقدمها هذا البحث 32
الباب الثاني: مناهج البحث وإجراءاته 33
الفصل الأول: المفاهيم والمناهج العلمية..... 34
المبحث الأول: المفاهيم الأساسية: البحث – المنهج – المناهج العلمية..... 35
المبحث الثاني: المنهج التاريخي التحليلي ودوره في تتبع النشأة والتطور..... 39
المبحث الثالث: المنهج الوصفي التحليلي وأدواته في تحليل النصوص والمناهج 42
المبحث الرابع: المنهج الاستقرائي ودوره في تتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات..... 45
الفصل الثاني: المناهج التحليلية والنقدية في الدراسة 48

المبحث الأول: المنهج النقدي المقارن ودوره في التقييم والتحليل وتحديد الفروق المنهجية 48
المبحث الثاني: المنهج التحليلي المفهومي وأثره في تفكيك المصطلحات وبناء الفهم الدقيق 51
الفصل الثالث: الإجراءات التطبيقية ومصادر البيانات 54
المبحث الأول :إجراءات البحث ومراحله 55
المبحث الثاني: مصادر البيانات وأدوات جمعها 56
الباب الثالث **58**
كتب الأربعينات الحديثية في السياق المعرفي للسنة النبوية: دراسة في المفهوم والنشأة والمناهج **58**
تأسيس المعرفة الحديثية بالسنة النبوية 59
الفصل الأول: نشأة التأليف في كتب الأربعينات الحديثية وتطوره المبحث الأول: المفاهيم والنشأة 62
و- مصنفات من القرن السابع الهجري: 72
ز ـ مصنفات من القرن الثامن الهجري وما بعده: 73
المبحث الثاني: التنوّع المنهجي في كتب الأربعينات الحديثية: بين الوحدة الموضوعية والصناعة الإسنادية والاختيار العام 78
المبحث الثالث: الدوافع التأليفية والقيمة العلمية لكتب الأربعينات الحديثية 86
الفصل الثاني 90
المقارنة المنهجية بين الأربعينات الصوفية والعلمية: المقاصد، المعايير، والصناعة الحديثية 90
المبحث الأول: المقاصد من التأليف 91
المبحث الثاني: معايير الاختيار والتنظيم الداخلي 94
المبحث الثالث: الصناعة الحديثية ومنهجية الشرح 100
الباب الرابع **106**
الأسس النظرية والتاريخية للتصوف الإسلامي: دراسة في المفهوم والتطور والمقامات. **106**
الفصل الأول: المفاهيم الأساسية في التصوف الإسلامي 107
المبحث الأول: تعريف التصوف 107
المبحث الثاني: التصوف كعلم وممارسة 108

الفصل الثاني: تطوّر التصوف الإسلامي عبر العصور 111
المبحث الأول: الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين..... 111
المبحث الثاني: مرحلة الأحوال والمقامات والكشف (القرنان الثالث والرابع) 114
المبحث الثالث: حركة الإصلاح في القرن الخامس الهجري 116
الفصل الثالث: البنية الروحية للتصوف: المقامات والأحوال..... 117
المبحث الأول: مقامات التصوف 117
المبحث الثاني: أحوال السالكين 124
الباب الخامس **127**
كتب الأربعينات الحديثية في التصوف الإسلامي: دراسة في النشأة والمقاصد والمنهج... 127
الفصل الأول: منهج الصوفية ودوافعهم في تصنيف الأربعينات الحديثية 128
المبحث الأول: منهج التصنيف عند الصوفية..... 128
المبحث الثاني: دوافع الصوفية في تصنيف الأربعينات الحديثية..... 133
الفصل الثاني: كتب الأربعينات الحديثية المصنفة على الأبواب الصوفية 136
المبحث الأول: كتاب الأربعين في التصوف لأبي عبد الرحمن السلمي (ت:412هـ) .. 138
المبحث الثاني: كتاب أحاديث الأربعين المحفوظة على المتحققين من المتصوفة والعارفين لأبي منصور معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني(ت:418هـ)..... 142
المبحث الثالث: كتاب الأربعين على مذهب المتحققين لأبي نعيم الأصبهاني (ت:430هـ) 148
المبحث الرابع: كتاب شرح الأربعين حديثا لأبي المعالي صدر الدين القُوْنُوِي(ت:673هـ) 153
الفصل الثالث: كتب الأربعينات المصنفة على طبقات المشايخ وزهاد الطريقة..... 157
المبحث الأول: كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لأبي سعد الماليني(ت:412هـ) 157
المبحث الثاني: كتب الأربعينات الأربعة لأبي صالح المؤذن النيسابوري(ت:470هـ) 161
قائمة المصادر و المراجع **164**